الجانب العقـــدى
مـــن كتاب العاقـبة

للإمام الحافظ عبد الحق عبد الرحمن الإشبيلى
المتوفى ٥٨٥ سنة

دكتورة
سلوى عبد الرحمن محمد يونس
أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالقاهرة- جامعة الأزهر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

أما بعد

فيحتاج الناس فى كل عصر وأوان إلى من يوقظه من غفلته ليتدبر دنياه لآخرته وأن يجعل الدنيا زاده للآخرة وعمله هو العمل للعاقبة وتعميره هو تعمير الدار الآخرة.

ولذا وجدت كتاب العاقبة للإشبيلى خير ما يقدم وخير ما يعول عليه فى تذكير الغافلين؛ فهو كتاب يدعو إلى التفكر فى الآخرة لمن جعل الدنيا همه وذلك من خلال حديثه عن الموت وأنه الحقيقة الكبرى التى يجب على الإنسان أن يعيشها، ويعمل من أجلها، وقد شمل الكتاب الإسلوب الوعظى المؤثر بأسلوب بديع وعرض فيه المصنف الأحاديث الكثيرة التى تتكلم عن الموت بأسانيد مختلفة كما أنه ضمنه الأشعار الكثيرة والروايات المتعددة سواء كان من الأحياء أو الأموات عن طريق الرؤى. ولما كان هذا الكتاب من الأهمية بمكان وجدت الرغبة ملحة فى إكمال هذا العمل بإبراز الجانب العقدى فى هذا الكتاب القيم، وقد اعتمدت على النسخة التى طبعها ونسخها وخرج أحاديثها أبى عبد الله حسن إسماعيل الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية بيروت.

ومنهجى فى إبراز الجانب العقدى هو عرض كتاب العاقبة أعلى الكتاب ثم قمت بالتعليق على مالحتوى عليه الكتاب من الناحية العقدية ولم أدخل فى كثير من التفصيل والتفريعات مما يطول شرحه حتى يتسنى لى التعليق على أكبر قدر ممكن من الكتاب.

وقد قمت باختصار غير مخل للكتاب فقد حذفت منه الأشعار وهـي كثيرة ، وكـذلك الأحاديث المكررة والضعيفة ، وقد تركت الأرقام التى استعملها المصنف للإشارة إلـى مكان الحذف. وقد قمت بجانب التعليق على المسائل العقدية بشـرح بعـض الآيـات القرآنية التى أشار إليها المصنف وتخريج الأحاديث بقدر الإمكان وشرح ما يحتاج ألى شرح وتكميل مقد يكون فيه نقص فى الحديث، واعتمدت على تخريج ناسـخ الكتـاب لبعض الأحاديث التى لم يتيسر لى تخريجها حيث إن هدفى الأساسى هو الجانب العقدى الذى اشتمل عليه كتاب العاقبة ماأمكننى ذلك ،والكتاب يشتمل علـى سـبعمائة أربـع وأربعين مسألة.

وقد قدمت الكتاب بالتعريف بالمصنف. ثم أعقبته بالحديث عن مضمون كتـاب العاقبـة الذى استعملت فيه إسلوب المصنف نفسه.

وأنا وإن أقدم الجانب العقدى لكتاب العاقبة أتقدم بالشكر لمن نسخ هذا الكتاب أولا فـى صورته الأولى، كما أرجو أن ينفع به المسلمين فى كل مكان.

داسلوى عبد الرحمن

هو الإمام الحافظ عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سـعيد أبـو محمد الأزدى الاشبيلى ويعرف بابن الخراط [1]. من علماء الأندلس.

اختلف فى سنة مولده ففى تهذيب الأسماء واللغات وسيرة النبلاء ولد عام ٥١٤ هـ، وفى معجم المؤلفين وعنوان الدراسة وفى الديباج ولد عام ٥١٠. وكذلك اختلف فى سنه وفاته ففى معجم المؤلفين وفى الشذرات والديباج توفى عام ٥٨١ هـ وفى عنوان الدراية بعد ٥٨٢ هـ.

كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله[٢] روى عن شريح بن محمد وابى الحكم من برجان[٣] وابى حفص عمر بن ايوب وابى بكر بن مرير وابى الحسن طارق وطاهر بن عطيه وكتب اليه محدث الشام ابو القاسم من عساكر وغيره[٤].

كان مشاركا فى الأدب وقول الشعر واللغة، ومن شعره :

إن فى الموت والمعاد لشغلا وادكاراً لذى النهى وبلاغا

فاغتنم حصلتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخى والفراغا[٥].

وأنزل بجابه وقت الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة اللمتونية فنشـر بهـا علمه وصنف وولى الخطبة والصلاة بجامعها.

---

(١) فوات الوفيات جـ١ ص ٥١٨ رقم ٢٠٤. وفى معجم المؤلفين بعد " ابن سـعيد " " ابن ابراهيم ".

(٢) الأعلام للزركلى المجلد الثالث تحت ابن الخراط.

(٣) فوات الوفيات حـ١ ص ٥١٨ رقم ٢٠٤.

(٤) كتاب الريبا المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب.

(٤) كتاب الريبا المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب.

(٥) فوات الوفيات جـ١ ص ٥١٨ رقم ٢٠٤.

كان موصوفا بالصلاة والزهد والورع والخير ولزوم السنة والتقلل من الدنيا. تــوفى في بجاية فور اصابته بمحنه.

مؤلفاته

صنف فى الأحكام نسختين كبرى وصغرى سبقه الى مثل ذلك أبو العباس بــن أبــى مروان الشهير بليله فخطى هو دون ابى العباس.

وله الجمع بين الصحيحين

وكتاب فى الجمع بين المصنفات الستة.

وكتاب فى المعتل من الحديث.

وكتاب فى الرقائق. ومصنفات أخر.

وله فى اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب القريبين للهروى ابى عبيد، ومن جملة تآليفــه ما نقله محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خلف بن يوسف عن المؤلف املاء منه عليه، وكتاب المرشد تضمن حديث مسلم كله وما زاد البخارى على مسلم وأضاف الى ذلك أحاديث حسانا وصحاحا من كتاب ابى داود وكتاب النسائى وكتاب الترمذى وغيــر ذلك وما وقع فى الموطأ مما ليس فى مسلم والبخارى وهو اكبر مــن صــحيح مســلم.

وكتاب الجامع الكبير فى الحديث ومقصوده فيه الكتب الستة وأضاف فيه كثيراً من مسند البزار وغيره من صحيح ومعتل تكلم على علله ونهب منه فى دخله البلد فى الفقه.

وكتاب بيان الحديث وهو قدر صحيح مسلم.

وكتاب التوبة فى سفرين ومعجزات الرسول ص فى سفر ومقالة الفقر والغنى.

وكتاب الصلاة والتهجد فى سفر.

وكتاب العاقبه وهو الكتاب الذى نحن بصدد تقديمه والتعليق عليه وشرحه.

وكتاب تلقين الوليد فى الحديث سفر صغير

وكتاب المنير .

وكتاب الرقائق والأنيس فى الأمثال والمواعظ والحكم والآداب من كلام النبى ρ.

ومختصر كتاب الرشاطى فى الأنساب من القبائل والبلاد وهو فى سفرين

ومختصر كتاب الكفاية فى علم الرواية.

وكتاب فضل الحج والزيارة.

وكتاب الواعى فى اللغة وهو نحو خمسة وعشرين سفراً[1].

---

(1) كتاب الدنيا المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب " قاضى القضاة " برهان الدين ابراهيم ابن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المدى المالكى ص ١٧٥ - ١٧٧.

تكلم المصنف فى المقدمة عن الموت ثم قسم الكتاب بعد المقدمة إلى عـدة أبـواب فذكر عن الموت أنه قدر الإنسان المحتوم. والموت وإن كان مقدراً إلا أن التفكير فيـه واجب لأنه وإن كان أمراً مقدراً مفروغاعنه لا يمكن للإنسان تجنبه فإن التفكيـر فيـه يكسب الإنسان بتوفيق الله سبحانه التجافى عن دار الغرور والإنابة إلـى دار الخلـود، والاستعداد للموت والنظر فيما تقدم عليه يصير أمر الإنسان إليه يهون عليـه مصـائب الدنيا ويصغر نوائبها، وهو التفكير فى الموت – يختلف عن التفكر فى الرزق وانشغال لبال به– كما بين المصنف، وذلك لأن الرزق المقدر المفروغ منه لا يزيد فيه حـرص الإنسان ولا ينقص منه كسل الإنسان وعجزه إن كان له أسباب ولطلبه أبواب فقد يتعلق الإنسان بأسباب الحصول على الرزق ويأتيه فى الظاهر من أبوابه فيكون بسـعيه هـذا أحد المحترمين والمجتهدين المحدودين، فلا يفيد الطلـب إلا الغنـاء والتعـب، ويـرى المصنف أن الساعى لتحصيل الرزق ليس مأجوراً عليه ولا على ما تحمل مـن مشـقة الطلب لأكثر مما يحتاج إليه وربما تبرم فى الحال ولم ينظر فى المآل وسخط قضاء الله عليه وحكم فيه وخاصة إن كان السعى للرزق للتكاثر والتفاخر ومحبة فى المـال، أمـا الذى يسعى فى طلب أكثر مما يحتاج إليه وله فى ذلك نيه صالحة من صدقة أو صـلة رحم أو غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر فهو مأجور على المشقة فى ذلك.

وأسباب الموت أكثر من أن تحصى وهى متعددة ولا يعرف الإنسان ما السبب الذى به يموت ولا الوقت الذى يموت فيه فلعله لا يمهل حتى تفضى الإنسـان نفسـه، ولـذا وجب تمكن القلب من ذكر الموت. والإنسان إزاء ذكر الموت على ضروب[1]، فـذكر الموت يردع عن المعاصى ويلين القلب القاسى ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصـائب فيها.

---

(1) ذكرت هذه الضروب فى التعليق على الكتاب فى الهامش.

والذى يساعد على ذكر الموت تذكر ما مضى من الخلان والإخـوان والأصـحاب والأقران الذين مضوا وتقدموا لقد كانوا يحرصون ويسعون ويأملون ويعملون فى هـذه الدنيا وقضت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين. فيجب أن يكون الإنسان – كما قال الرسول ρ – كعابر سبيل أو غريب ويعد نفسه مـن أهل القبور ويأخذ من حياته لموته ومن غناه لفقره ومن صحته لسقمه. وما يمنـع مـن ذكر الموت – كما ذكر المصنف – كثرة الاشتغال بالدنيا وأفراغ المجهود فيها والميـل بالكلية إليها وحلاوة أحاديثها ولذه أمانيها، كل ذلك يمنع حرارة ذكر الموت أن يرد على القلب لأن القلب إذا إمتلأ بشئ لم يكن لشئ آخر فيه مدخل ولا لسواه فيه مجال، ومتـى دام القلب على هذا لم يكن لذكر الموت فيه تأثير ولا ليزداده عليه حلاوة . ولا يتمنـى الإنسان الموت للتخلص من ضر نزل به

وما قيل عن الموت : حبيب جاء على فاقة قد كنت قبل اليوم أخشاك وأنا اليوم أرجوك. وهو قول حذيفه بن اليمان لما نزل به الموت.

الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وهو قول حيان بن الأسود.

هادم اللذات ومكدر اللذات وهو قول الرسول ρ .

الموت المغير وهو قول الرسول.

وبعد الفراغ من المقدمة التى تكلم فيها عن الموت تكلم عن عده مباحث أذكر منها ما يلى :

أحوال الميت من مرض حتى عذاب القبر.

فقال إن المحبوب من حال الميت عند الموت أن يعلوه الهدوء والسكون من لسان الكلام بالشهادتين، ومن قلبه حسن الظن بالله لأن من يموت وهو يعلم أن لا إله الا الله دخـل الجنة فيجب على من يكون مع الميت حال احتضاره أن يلقنه لا إله إلا الله وينبغـى ألا يلح عليه بتلقين الشهادة فإذا قالها يتركه لأنه يخاف عليه إذا ألح عليه أن يبرم ويضـجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون ذلك سببا لسوء الخاتمة. ويجب أن يقول الحاضرون عنـد الميت خيراً لأن الملائكة يؤمنون على ما يقولون. فمن القول الذى وصى بـه الرسـول

فى القول عند موت الزوج اللهم اغفر لى وله. وأعقبنى منه عقبى حسنة، وكذلك القول اللهم اغفر لفلان وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى الغابرين واغفر لنا وله يا أرحم الراحمين وأفسح له فى قبره ونور له فيه. والقراءة مستحبة عند موته وخاصة سورة البقرة.

والبكاء على الميت ليس حراماً وإنما الحرام هو الصياح وضرب الخدود وشق الجيوب، لقول الرسول ρ ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعاء الجاهلية، وقوله النياحة على الميت من الكفر، وقد أباح الرسول النياحة بعد النهى، فقد فاضت عينا الرسول لوفاة ابن لأحد بناته وقال إنها رحمة جعلها الله فى قلوب عبادة وقال لموت إبراهيم ابنه " تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إن بك لمحزونون" وقد بكى النبى على عثمان بن مظعون. ويكره فى حق الأموات ذكر مساوئهم أو سبهم.

ويذكر المصنف تعذيب الميت ببكاء أهله عليه رغم أن هذا القول من المسائل المختلف فيها وذكر فى ذلك بعض الأحاديث الضعيفة.

وأما عن خروج الروح من الإنسان فقد ذكر المصنف عنها أن روح المؤمن تسل من جسده كما تسل الشعره من العجين، ويقال لها: أيتها النفس المطمئنة اخرجى راضية مرضيه عنك إلى روح الله وكرامته ويذهب به إلى عليين، أما روح الكافر فتنزعه الملائكة انتزاعاً شديداً ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه ثم يذهب إليه إلى سجين.

وقد ذكر المصنف ان نعى الميت والإعلام بموته إذا قصد به اجتماع الناس للصلاة لما يسأله من دعائهم له واستغفارهم ورغبتهم إلى الله تعالى وسؤالهم ولما ينالون أيضا من ثواب الصلاة عليه فمنه مفروض وجائز ومندوب إليه، وقد نعى النبى النجاشى للناس فى اليوم الذى مات فيه وقال استغفروا لأخيكم وخرج بالناس إلى المصلى وصلى

عليه وكبر أربع تكبيرات، وقد نعى زيد بن حارثة وجعفر ابن أبى طالب وعبد الله بن رواحه نعاهم. قبل أن يجئ خبرهم.

وأما اذا كان نعى الميت والإعلام بموته ليجتمع الناس عليه على معنى التعظيم له لفقده والتفاخر بما يجتمع له من الناس ويحضره من الأشراف فهذا لا يجوز وعلى هذا يخرج نهى النبى ρ عن النعى.

وقد ذكر المصنف شيئا عن الجنازة فالمسلم إما أن يتبع الجنازة ويصلى ويفرغ من دفنها، فإن كان كذلك فإن له من الأجر قيراطين كل قيراط مثل أحد، وإما أن يصلى عليها ثم يرجع دون الفراغ من الدفن كان له من الأجر مثل أحد ومن رأى الجنازه يقول امضى ونحن على أثرك، أو يقول أغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة، يذهب الأول والآخر لا عقل له، ويحرم الضحك فى الجنازة يقال فى جنازة الأبناء اللهم منك العدل ومن خلفك الجور وعلى غيره يقال رحمك الله أما فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب – فمن منا غير مذنب وذى خطايا.

وعند دفن الميت يقال على رأس القبر بعد دفن الميت يا فلان ابن فلان فإنه يسمع ولا يجيب يقولها اثنتين فإنه – الميت – يستوى قاعداً ثم يقول يا فلان ابن فلانه فإنه يقول أرشدنا رحمك الله فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماماً فينطقه بذلك منكر ونكير. وعلى الناس الموجودين أن يسألوا الله للميت التثبيت – أى التثبيت على ذكر أن محمداً رسول الله وأن لا إله إلا الله عند سؤال منكر ونكير له. ويستحب قراءة سورة البقرة عند القبر.

وعن القبر فقد شخص المصنف القبر وكأنه يكلم ابن آدم فقال إن القبر أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة هذا ما أعددت لك يا ابن آدم فماذا أعددت لى؟. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت أحب من يمشى على ظهرى إلىّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك، فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة.

أما عن أهل القبور : فالميت يسأل فى القبر يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ محمد ρ. أما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيرى مقعده من الجنة ويفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين، والمنافق يقول لا أدرى فيرى مقعده من النار ويقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، والملكان هما منكر ونكير وهما أسودان أزرقان ، ومن الأمور التى ذكرها المصنف ويعذب بها الميت عدم الاستنزاه من البول والمشى بالنميمة.

يقول القبر للميت إذا وضع فيه ويحك يا ابن آدم، ماغرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى اذ كنت تمر بى فداداً، فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقول القبر إنى إذا أعود عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى رب العالمين.

ولذلك فمن رأى قبراً رأى واعظاً يعظه ومذكراً يذكره فهو ناطق بلسان الحال مفصح بما يكون فى المآل، فكأنه إنما يخاطب الانسان ويبين له عاقبته.

وعذاب القبر ليس مختصا بالكافرين ولا موقوفا على المنافقين بل تشاركهم فيه طائفة من المؤمنين وكل على حاله من عمل وما أستوجبه بخطيئته وزلله وعذاب المؤمن لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله. قد يكون عذاب المؤمن فى ضمة القبر أو ضيقه أو

صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات، وبالحسرات على ما سلف له من الجهالات. وعذاب أهل القبور تسمعه البهائم.

وعن زيارة القبور قال المصنف :

أمر الرسول بزيارة القبور لمن أراد ذلك من الرجال والنساء لأنها تذكرة، بعد نهيه عن ذلك واذا أتى زائر المقابر يقول " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم " وهو قول الرسول ρ.

ويستحب لمن رأى القبور أن يسلم على أهلها وأن يدعو لهم ويسأل الله عز وجل – فيهم ويترك الكلام عندهم بما لا يحل والحديث على رؤوسهم بما لا يحب، فيجب أن لا يؤذيه الزائر بسماع مالا يريد سماعه وأن لا يدخل عليه مما لا يريد إدخاله. والمؤمن فى القبر يرد السلام على أخيه المؤمن ويستأنس بمن يزوره حتى يقوم، وينتفع بالدعوه من ابنه أو أخيه أو صديق له، أو قراءة القرآن يهدى إليه دون أجر عليه.

وذكر المصنف أن قبور الصالحين لا تخلو من بركة وأن زائرها والمسلِّم عليها والقارئ عندها والداعى لمن فيها لا ينقلب إلا بخير ولا يرجع إلا بأجر كريح المسك كقبر أبى معاوية وهو عبيد بن الحارث بن عبد المطلب قتل يوم بدر شهيداً. وكقبر عبد الله بن غالب.

والإنسان فى القبر يبلى كله إلا عظما واحداً وهو عجب الذنب وهو مثل حبة خردل وفيه يركب الخلق يوم القيامة.

التحدث عن أمور الآخرة :

الساعة:

من أشراط الساعة التى ذكرها المصنف خروج الدجال يخرج الدجال ويمكث أربعين – ثم نزول عيسى بن مريم ويقتل الدجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم وهم من كل حدب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشئ إلا أفسدوه فيجأرون إلى ما دعــوا الله فيرسل من السماء ماءا فيحل أجسامهم فيلقيهم فى البحر ثم تتشــق الجبــال وتمــد الأرض مد الأديم ثم ما يكون بعد ذلك من البركات والخيرات.

ولا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمــة ودعواهمــا واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتـــى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهــو القتــل وحتى يكثر المال فيفيض وحتى تطاول الناس فى البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى وحتى تطلع الشمس من مغربها.وذكــر أن أول اشــراط الســاعة نــار تحشرهم من المشرق الى المغرب.

وعلم الساعة عند الله، ثقلت فى السماوات والأرض، تأتى بغتة والناس فـــى غفلـــة، وقتها قريب لأن كل آت قريب يبعث الله ريحا طيبة فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة تقوم فى يوم جمعة فـــى غير شهر معروف ولا سنة معروفة ينتظر صاحب الصور الأمر بالنفخ فينفخ وعلـــى يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل – صلى الله عليهما. فيقول النـــاس حســـبنا الله ونعـــم الوكيل.

موت الخلائق :

قبل النفخ فى الصور للمرة الأولى لموت الخلائق يخرج راعيان بن مزينـــة يريـــدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما مـــن

صيحة يوم القيامة. بعد هلاك الدجال على يد عيسى – عليه السلام – يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قبل الشام فتقبض الخير والإيمان من قلوب الناس، فيبقى شرار الناس ويأمرهم إبليس بعبادة الأوثان ثم ينفخ فى الصور.

وأول من يسمع النفخ فى الصور رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس. فلا تدع على ظهرها شيئاً إلا مات والملائكة إلا جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت وأصبح الله يطوف فى الأرض وقد خلت عليه البلاد فينادى جل جلاله " لمن الملك اليوم " فيجيب نفسه فيقول سبحانه " لله الواحد القهار ".

إحياء الخلائق

يمكث الناس فى البرزخ بعد الصيحة الأولى أربعين عاماً ثم ينزل الله مطراً فتنبت به الأجسام ويحيى به الرفات من العظام وتستعد لقبول الأرواح عند النفخة الثانية. ثم يحيى الله تعالى إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فإذا هم قيام ينظرون وقد أخبر تعالى أن إنشاء الأجسام مثل إخراج النبات من الأرض قال سبحانه " الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور " فاطر ٩ يرجع الله كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الإجسام فتدخل الخياشيم ثم تمشى مشى السم فى اللديغ ، ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم، والرسول ρ أول من يشق عنه القبر يوم القيامة. ثم يقال يا أيها الناس صلوا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون.

حال الأرض وما عليها من جبال:

قد ذكر المصنف من حال الأرض يوم القيامة أنه عند البعث يوم القيامة تسير الجبال كأنها السراب ينسفها الله نسفا فتكون قاعا صفصفا لا يكون فيها عوجا ولا أمتا ، فتبدل

الأرض غير الأرض والسماوات والشمس تدنوا من الخلائق حتى تكون من الناس كمقدار ميل ويزاد فيها كذا وكذا تغلى فيها الهوام كما تغلى القدور على الأثافى – الحجر الذى يوضع عليه القدر – والسماء تشقق كأنها السحاب.

ويتكلم المصنف عن يوم القيامة:

فذكر أن طوله آلاف من الأعوام، طوله خمسين ألف سنة، وهو ليس كيوم من أيام الدنيا ليس فيه ليل ولا نهار، يكون فيه المحاسبة والمناقشة وليس ذلك دفعة واحدة ويسأل المرء عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه .

وأول من يسأل يوم القيامة الأنبياء يسألون عن تبليغهم للرسالة وينكر الناس إنهم بلغوا ويسأل الأنبياء من يشهد لكم أنكم بلغتم فيستشهدون بالرسول ρ وأمته. وقيل يسأل الملائكة قبل الرسل إن كانوا بلغوا عهد الله أم لا فيسأل إسرافيل ثم جبريل ثم الرسل ثم الناس ومنهم من مصدق ومنهم من مكذب ويستشهد الرسل بمحمد – ص– وأمته.

وأول ما يقضى فيه الله بين الناس يوم القيامة فى الدماء، وعلى بن أبى طالب أول من يحثو يوم القيامة بين يدى الله للخصومة.

ويعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان جدال ومعاريض والثالث تطاير الكتب يمينا وشمالا من تحت العرش أول خط فيها (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).

وأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه ولحمه وعظامه ويداه ورجلاه ويكون هناك ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم بين كفتى الميزان فإن ثقل ميزانه نودى بسعادته وإن خف نودى بشقاوته.ولا ينقض هذا اليوم حتى ينزل كل إنسان بداره.

أحوال الناس يوم القيامة:

قال المصنف : أن الناس يومئذ لكل منهم شأن يغنيه ولا يشعر بما هو جانبه إن كان حاف عار أم مكسيا. ويتخافت الناس فيما بينهم فى كم من الزمن مضوا حتى قيام الساعة فيقولون لبعضهم البعض " إن لبثتم إلا عشراً" ويقول أعدلهم ما لبثنا إلا يوما والله أعلم بما يقولون".

ويقفون شاخصة أبصارهم إلى السماء مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم، ثم يموج بعضهم فى بعض ويدخل بعضهم فى بعض، ويتعلق الناس بعضهم من بعض ويطلب بعضهم بعضا ويخاصم بعضهم بعضا.

يأتى وقت من يوم القيامة يتكلم فيه المشركون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين، ويأتى فيه عليهم وقت آخر لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ويكون الناس على قدر أحوالهم فى العرق وأن العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول يا رب أرسل بى إلى النار أهون على.

تتقلب فيه القلوب والأبصار فتنزع القلوب من أماكنها فتغض بها الحناجر فلا هى تخرج ولا هى ترجع إلى مواضعها، وتقلب الأبصار من الكحل إلى الزرق ومن البصر إلى العمى وهو حال الكفار.

وهم يقضون يوم القيامة وطوله خمسون ألف سنة لا يأكلون أكلة واحدة ولا يشربون فيها شربة واحدة.

ويمشون من نبى إلى نبى يطلبون الشفاعة فى الاستعجال والانفصال والتخلص من تلك الأهوال والأنكال. وليس كل الناس يكلم الأنبياء ومن الناس من يكون بمنزلة الرغام تطؤه الأقدام فى ذلك الزحام وضيق ذلك القمام.

فمن الناس من يطول مقامه إلى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله فى ذلك اليوم فى مقدار يوم من أيام الدنيا أو فى ساعة من ساعاته أو فيما أقل من ذلك أو فيما شاء الله ويكون رائحا فى ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يؤمر إلى الجنة ولا عذاب، كما أن منهم من يؤمر به إلى النار فى أول الأمر من غير وقوف ولا انتظار، أو بعد يسير من ذلك النهار. يتمنى رجال أن يبعثهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا تكشف مساوؤهم على رؤوس الخلائق.

عندما تبدل الأرض يكون الناس فى الظلمة دون الجسر، ويهيج الكفار ويصيحون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، فى ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا.

الحساب

أشار المصنف إلى الحساب فقال إن الناس يتوافدون على الأنبياء طلبا للشفاعة فيتنحى عنها جميع الأنبياء إلى أن تنتهى إلى رسول الله فيشفع الرسول إلى الله تعالى فيأمره أن يدخل من أمته من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهذه الشفاعة هى الشفاعة الكبرى لتعجيل القضاء.

وبين أن الناس للحساب على ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة على وجوههم، فيكون المتقون يكرمون، والكفار تسوقهم الملائكة بسياط النار إلى النار، وقوم منهم يمشون على وجوههم وبين المصنف أن هذا فى مقدور الله تعالى الذى أمشاهم على رجولهم فى الدنيا ولا تنكر لمخالفتها قياس الدنيا.

فيؤذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار، فكل ما يعبد غير الله يتساقط فى النار، فيتساقط اليهود فى النار بعد سؤالهم عمن كانوا يعبدون فيقولون عزير وكذلك النصارى يتساقطون بعد قولهم كنا نعبد المسيح. فلا يبقى إلا من يعبد الله من بر وفاجر، فيفرق الله من كان يسجد لله من تلقاء نفسه ومن كان يسجد له رياءا، ثم يضرب الجسر بين

ظهرانى جهنم. وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، وقال عنه الرسول هـو دحـض مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجفيها شويكة يقال لها السعدان يمر عليـه المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكـالطير وكأجاويـد الخيـل فنـاج مسـلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم والرسول صلى الله عليه وسلم أول من يجيز الصراط هو وأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سـلم سـلم. ومن المؤمنين من يدخل الجنة من غير حساب وهم سبعون ألفا تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر متماسكون آخذ بعضهم بعضا لا يدخل أولهـم حتـى يـدخل آخـرهم، والرسول أول الأنبياء دخولا الجنة.

أما الكفار يناديهم الله هم والمنافقين على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله والكافر يسود وجهه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم فيلبس تاجـا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا، فيأتيهم فيقولـون اللهـم أخره، فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا.

أما المؤمن يقول الله له إنى سترت عليك ذنوبك فى الدنيا وإنى اغفرهـا لـك اليـوم ويعطيه صحيفة حسناته ، فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ويبـيض وجهه ويجعل على رأسه تاجا من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه، أما المظـالم مـن المؤمنين فيقتص لها يوم القيامة فإذا خلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطره بين الجنة والنار فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة.

الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين:

إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ودخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنـة وأراد أن يخرج الموحدين من النار يأذن للرسول – ص – بالشفاعة والرسول ρ أول من يشـفع لمن لم يشرك بالله شيئا، ويخرج المسلمون بعد أن تميتهم النار ويلقون على نهر الحيـاة

فيرش عليهم من مائها فينبتون كما ينبت الحبة فى حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين، ويشفع الرسول ρ للرجل والرجلين وللعصبة.

ثم تكون شفاعة المؤمنين لإخوانهم ؛ فإذا خلص المؤمنون من النار يشفعون لإخوانهم بصيامهم وصلاتهم وحجهم معهم فيأمرهم بإخراج من عرفوا من النار حتى لا يبقى فيها أحداً على صفات الذين أمر بإخراجهم، ثم يخرجون من كان فى قلبه دينار من خير، ثم مثقال ذرة من خير بأمر الله تعالى.

ثم يخرج برحمة الله تعالى من أراد الله بإخراجه من النار، فيأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم فى النار، يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل.

ثم تأتى شفاعة الله ؛ يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل، فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه.

صفة النار وأهلها

ذكر المصنف أن للنار سبعه أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما. نار الدنيا التى يوقدها الإنسان جزء من سبعين جزء لنار الآخرة. وهى سوداء مظلمة أو قد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت.لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.

إن أهون أهل النار عذابا يكون فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منـــه دماغـــه وهو أبو طالب. وأهل النار يعذبون فيها على قدر أعمالهم فمنهم من تأخذه النار إلـــى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته ومنهم من قد انغمس فيها.

يرفع لهيب النار أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشـــرفوا علـــى أهل الجنة وبينهم وبينهم حجاب وينادى أصحاب النار حين يرون الأنهار تطرد بينهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله، ولكن الله حرمها على الكافرين، ثم تـــردهم الملائكة الموكلون بالعذاب بمقامع الحديد الى مقر النار.

نفس أهل النار نار حارقة حتى إنها لو أن فى المسجد مائة ألف أو يزيدون تحرقهم، غلظ جلده اثنان وأربعون ذراعاً وضرسه كأسد ومجلسه من جهـــنم كمـــا بـــين مكـــة والمدينة، يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء حتى تصير فى خدودهم كأمثـــال الجداول لو أجريت فيها السفن لجرت. تتلقاهم جهنم فتنفخهم نفخة لم تترك لحمـــاً علـــى عظم إلا ألقته على العرقوب، يصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفـــه فسيلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان. تشـــويه النـــار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضـــرب ســـرته. يصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فسيلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان. طعامهم الزقوم، وأن قطره منه قطـــرت فـــى الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم. ينزل بهم الجوع يعادل ما هم فيه مـــن عـــذاب فيطعموا بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، وطعام ذى غصة وشراب من حميم تشوى وجوههم إذا دنت منها وتقطع ما فى بطونهم إذا دخلتها وهم يائسون من كل خير.

الجنة وأهلها:

أورد المصنف وصف الجنة كما وصفها الرسول ρ فبين أن للجنة ثمانية أبواب منها بابان يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. منهم باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون،فيها الحوض وهو المنهل المورود لصاحب المقام المحمود، الشربة منه تروى من الظمأ وتشفى من الصدى وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها أبداً وأنها ترد العقل العازب والشباب الذاهب. شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج ينفت فيه ميزبان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق. أطيب ريحا من المسك. وأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء. عرضه مثل طوله ما بين المقدس إلى الكعبة.

لا يرده إلا من تمسك بسنته ρ دون من رجع منهم عنها بعد رسول الله ρ ويكون عنده الرسول يمنع الناس لأهل اليمن أولا. وأول وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد.

هى مخلوقة من لبنة من ذهب ولبنه من فضه، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللولؤ والياقوت وتربتها الزعفران، وقال الرسول ρ تربة الجنة درمكة بيضاء مسك خالص فيها جنابز اللؤلؤ وترابها المسك. والجنابز القباب وأحدها جنبذه.

فيها شجرة يسير الراكب فى ظلالها مائة عام لا يقطعها ، وما فيه شجرة فى الجنة إلا وساقها من ذهب وفيها شجرة مستقلة على ساق واحدة عرض ساقها ثنتان وسبعون سنه.

فيها شجرة السدر وهى شجرة لها شوك مؤذي خضد الله شوكه فجعل مكان كل ذى شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمراً تفيق التمرة منها على اثنين وسبعين لون طعام ما فيه لون يشبه الآخر. قال تعالى (سدر مخضوض) وسدرة المنتهى واذا تمرها كالقلال.

إن فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورهـــا وهـــى لمـــن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام.

فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش. إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعده، وأنهار الجنة تخـــرج مـــن تحت تلال أو جبال مسك.

فيها مجتمع للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائـــق مثلهـــا يقلـــن : نحـــن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نيأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له.

وفيها سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولـــم تســـمع الآذان ولم يخطر على القلوب ليس يباع فيها ولا يشترى.

إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى بعدها على أضواء كوكب درى فى السماء وهم لا يبولون ولا يتغوطون حاجة أحد منهم رشح يفيض مـــن جلده فإذا بطنه قد ضمر، ولا يتمخطون ولا يبولون ورشحهم المسك ومجامرهم الألـــوه وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبـــيهم آدم ســـتون ذراعاً فى السماء، من ميلاد ثلاث وثلاثين لا يزيدون عليها أبداً، جرداً مرداً مكحلـــين، ثم يذهب بهم الى الشجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم. لا ينام أهل الجنة لأن النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها.يحل عليهم رضوان الله ولا يسخط عليهم بعده أبداً، ويتنعموم برؤية الله، أول طعام أهل الجنة زيادة كبد الحـــوت، مـــن يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم.

لهم فيها ما اشتهت أنفسهم ولذت أعينهم؛ إذا شاء من الجنة أن يحمل فيها على فرش من ياقوته حمراء تطير به فى الجنة حيث شاء فعلت يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعـــة

من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضه من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت ومنـــابر مـــن زبرجـــد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضه، ويجلس أدناهم وما فيهم من دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا.

إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغـــائر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، ويقول الرسول ρ أنها لرجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحده مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضا. عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضئ ما بـــين المشرق والمغرب.

لكل أمرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الجسم لا اختلاف بينهم ولا تباغض. وما فى الجنة أعزب، أنيتهم من الذهب والفضة.

الجانب العقدى من كتاب العاقبة

للإمام الحافظ عبد الحق عبد الرحمن الاشبيلى

المتوفى ٥٨٥ سنة

بسم الله[1] الرحمن الرحيم

(١) قال الرازى: قد اشتهر عند العلماء أن لله ألفا وواحداً من الأسماء المقدسة المطهرة وهى موجودة فى الكتاب و السنة ولاشك أن البحث عن كل واحد من تلك الأسماء مسألة شريفة عالية، وقد اختلف العلماء فى أن أسماء الله توفيقية أم اصطلاحية قال بعضهم لا يجوز إطلاق شئ من الأسماء والصفات على الله تعالى إلا إذا كان واردا فى القرآن والأحاديث الصحيحة ، وقال آخرون: كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله و صفاته فهو جائز وإلا فلا، وقال الشيخ الغزالى رحمة الله علية: الاسم غير و الصفة غير فإسمى محمد و اسمك أبو بكر فهذا من باب الأسماء وأما الصفات فمثل وصف هذا الإنسان بكونه طويلا فقيها.... إذا عرفت هذا الفرق فيقال : أما إطلاق الاسم على الله فلا يجوز الا عند وروده فى القرآن والخبر وأما الصفات فإنه لا يتوقف على التوقيف. ولكلا الفريقين أدلتهم ومن أراد الإستزاده فى هذا الموضوع يرجع إلى مفاتيح الغيب جـ١ صـ١٩٦ و الصفحات الى تليها.

ويجدر بنا هنا أن ننبه على نقطة وهى هل هناك تعارض بين ما قال به العلماء من إحصاء أسماء الله بالألف والواحد و بين الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول أنه لله تسعا وتسعين إسما مائة إلا واحداً من احصاها دخل الجنة، إنه وترويحب الوتر"رواة البخارى فى الصحيح" يقول البيهقى: ليس فى قول الرسول لله تسعة وتسعون إسما نفى غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء و أبينها معان وفيها ورد الخبر أن من احصاها دخل الجنة. " الأسماء و الصفات للبيهقى صـ٦

بسم الباء باء الإلصاق وهى متعلقة بمضمر وهذا المضمر يحتمل أن يكون اسما وأن يكون فعلا وعلى التقديرين فيجوز أن يكون متقد ماً، وأن يكون متأخراً، أما إذا كان متقدما وكان فعلا كان تقديره أبدأ باسم الله أما إذا كان اسما متقدما كان باسم الله أبدأ وإذا كان اسما فكالقول: باسم الله ابتدائي. والتقدير و التاخير كلاهما وارد فى القران اما التقديم فهو فى قوله تعالى: "باسم الله مجراها و مرساها (هود: ٤١)أما التأخير فهو فى

مقدمة المصنف:

الحمد لله[٢] الذى أذل بالموت[٣] رقاب الجبابرة، وكسر بصدمته ظهور الأكاسرة، وقصر ببغتته آمال القياصرة، الذى أدار عليهم حلقته الدائرة، وأخذهم

قول تعالى(اقرا باسم ربك) العلق:، وإضمار الفعل أولا انتقال من رؤية فعله تعالى الى رؤية وجوب الاستعانة باسم الله ، وإضمار الفعل ثانيا أي تأخير الفعل عن" باسم الله " ففيه رؤية وجوب الاستعانة بالله ثم النزول منة إلى أحوال النفس "الإنسان". مفاتيح الغيب ج١ـ ١٣٩."

(٢) الحمد لله جملة خبرية المقصود فيها الثناء على الله بمضمونها على انه تعالى مالك لجميع الحمد بين الخلق أو مستحق لأن يحمدوه" تفسير الجلالين سورة الفاتحة" والأصل فى "الحمد" النصب" على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة فى معنى الأخبار كالقول شكراً وكفراً وإنما عدل عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، والسر فى الفرق بين الرفع والنصب أن فى النصب إشعار بالفعل وفى صيغة الفعل.

(٣) إشعار بالتجدد و الطرو والرفع ليس كذلك فالرفع " الحمدُ" يستدعى اسما وذلك الاسم صفة ثابتة وذلك فالمقدر مع النصب بحمد الله "الحمد" ومع الرفع الحمد ثابت لله أو مستقر، وقيل الحمد والمدح أخوان وهو الثناء و النداء على الجميل بين نعمة وغيرها، فقول حمدت الرجل علىانعامة وحمدتة على شجاعته وحسبة وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب و اللسان و الجوارح، والحمد باللسان وحده هو إحدى شعب الشكر، وقيل المدح ثناء على ماحد له تعالى من أوصاف الكمال ككونه باقيا قادراً عالما أبديا أزليا و الشكر ثناء على ماهو منه من أوصاف الأفضال و الحمد يشملها. تفسير النسفى ج١ ص٦". ويحمد الله على انعاماتة الصادرة عنة باختياره. الكشاف ص ٤٦ حاشية السيد شريف ج١

بيده القاهرة، فقذفهم فى ظلمات الحافرة[٤]، وصيرهم بها رهناً إلى وقعة الســاهرة، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولن يحصلوا على شئ من الآخرة، مصيبة والله لا يجبر

---

(٤) الموت صفة وجودية خلافا للفلاسفة ومن وافقهم قال تعــالى: "الــذى خلــق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ". سورة الملك:٢ ، فالموت صفة وجوديــة لأن الله تعالى وصفه بأنه مخلوق والعدم لا يوصف بكونه مخلوقا .

وفى الحديث مما يدل على أن الموت صفة وجودية "أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة و النار " و الموت وإن كان عرضا فالله تعــالى يقلبه عينا كما هو الحال فى العمل الصالح فالعمل الصالح عرض لا يوجد دون تعلقــه بشئ مادى فقد ورد أن " العمل الصالح يأتى صاحبة فى صورة الشاب الحسن والعمــل القبيح على اقبح صورة " وفى البخارى ،، أن أعمال العباد تصعد إلى السماء "مــع أن العمل عرض ولكن الله تعالى يقلبه عينا فيصعد.

والموت هو مفارقه الروح للبدن وقد اختلف العلماء فى معنى الموت فمنهم من رسمه بأنه و صف وجودى يضاد الحياة ومنهم من رسمه بعدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا ومنهم من عرفه بفساد بنية الحياة وتعطل القوى و الآلات البدنية تعطلا كليــا أو انطفاء الحرارة الغريزية أو خروج الروح من البدن ومفارقتها أياه كليا إلى غير ذلك من العبارات إلتى تنبئ عن مفهومه و لوازمه. وكلها تستلزم انقطاع التعلق الذى كــان بين الروح والبدن وبطلان الحياة التابعة له. انظر ص ١٧٠ المطالب القدسية فى أحكام الروح و آثارها الكونية للشيخ محمد حسنين مخلوف.

(٤) ظلمات الحافرة قال تعالى: "ائنا لمردودون فى الحافرة " الحافرة اســم لأول الأمر". سورة النازعات أية١٠" لقد جرت سنة الله فى خلقة إهلاك المكــذبين وهزيمــة الظالمين مهما طال بهم الأمد فالله سبحانه يمهل و لا يهمل فالله سبحانه يقسم كل جبــار عنيد ظالم لعباده.

مصابها، ولا يتجرع صباباها ولا تنقضى آلامها ولا أوصابها، لم يمنعهم ما حصنوه من المعاقل والحصون، ولا حرسهم ما بعثوه من الحراس والعيون، ولا فداهم من ريب المنون؛ ما ذخروه من علق مصون، وذهب مخزون، بل صدمهم بركنه الشديد، وطحنهم بجيشه المديد، وأنفذ فيهم ما كتب عليهم من الوعيد، نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللحود، وصيرهم بين حجرها المنضود، وجندلها أكلاً للهوام والدود، ونظر إليهم بعينه الشوساء، وأرسل عليهم

كتيبته الخرساء. فأذل عزتهم القعساء، وأزل من نعمائهم ما شاء، وأنطق بالعويل منهم ألسنة الخُرَساء، وصيرهم حديثاً يذكر على الزمان ولا ينسى ، نزلوا عن الأرائك والكلال، والأسرة والحجال، إلى الحجارة والرمال، والأزاقم والصلال، وشظف العيش بضيق المحالّ وجلوا بَرْبع غير محلال، بحيث لا زوال ولا انتقال، ولا عثرة تقال، ولا يسمع فيها كل مقال، ولا يلتفت عندها إلى كل من قال، أرسل عليهم ربك جنوده العاتية، وأخذهم أخذته الرابية، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية، والقرون الماضية، فهل تحس منهم من أحد أو أهل ترى لهم من باقية.

فسبحان من تفرد بالعزة والكبرياء، وتوحد بالديمومة والبقاء، وطوق عباده بطوق الفناء، وفرقهم بما كتب عليهم من السعادة والشقاء وجعل الموت مخلصاً لأوليائه السعداء، ومهلكاً لأعدائه الأشقياء وخلق خزلانا وقدر توفيقاً، وأنهج سبيلا وأوضح طريقاً، فهدى إليه فريقاً وأضل عنه فريقاً ولايسال عما يفعل وهم يُسألون(°) ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون.

(°) قال تعالى "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون".

الآية تفيد أن الله تعالى لا يسأل عن شئ من أفعاله ولا يقال له لم فعلت. وقد استدل أهل السنة على ذلك بوجوه :

١- استحالة تسلسل العلل إلى مالا نهاية فلو كان كل شئ معلل بعلة لــزم التسلســل فلابد من الانتهاء إلى ما يكون غنيا عن العلة، وأولى الأشــياء بــذلك ذات الله تعــالى وصفاته، وكما أن ذاته متنزه عن الافتقار إلى المؤثر والعلة ، وصــفاته مبــرأة عــن الافتقار إلى المبدع و المخصص فكذا فاعليته يجب أن تكون مقدسة عن الاستناد إلــى الموجب المؤثر .

٢ـ لو كان فعل الله تعالى لعلة كانت هذه العلة إما واجبة أو ممكنة فلو كانــت واجبــة كان الله تعالى واجب الفعل وحينئذ لا يكون فعلة صادر عنه بالاختيار ، وان كانت العلة ممكنة كانت من فعل الله تعالى فتفتقر فاعليته لهذه العلة إلى علة أخرى ولزم التسلســل وهو محال وهذا المحال ترتب على كون فعل الله لعلة.

٣- لو كان الفعل من الله لعلة لترتب على ذلك المحال وهو امــا أن تكــون قديمــة أو ممكنة فلو كانت قديمة لزم من ذلك قدم العالم، وان كانت محدثة أو ممكنة افتقرت الــى علة أخرى ولزم التسلسل وهو محال فالعلة فى فعل الله محال.

٤- أن من فعل فعلاً لغرض فإما أن يكون متمكنا فى تحصيل ذلك الغرض بدون تلــك الواسطة ولا يكون متمكنا منه، فإن كان متمكنا منه كان توسط تلك الواسطة عبثــا وان لم يكن متمكنا منة كان عاجزاً و العجز على الله تعالى محال.

٥- لو كان فعله تعالى فعلا بغرض لكان ذلك الغرض إما أن يكون عائدا إلى الله تعالى أو إلى العباد والأول محال لأنه سبحانه منزه عن النفع والضر، وإما أن يكــون عائــدا إلى العبد ولاغرض للعباد إلاحصول اللذات وعدم حصول الألام ، والله تعــالى قــادر على تحصيلها ابتداء من غير شيء من الوسائط.

٦ـ أنه لو فعل الله تعالى الفعل لغرض فإما أن يكون وجود الغرض وعدمه بالنسبة لله على السواء أولا يكون فإن كان على السواء استحال أن يكون غرضا وإن لم يكن على السواء لزم كونه تعالى ناقصا بذاتة كاملا بغيره وذلك محال.

٧- إن الموجود إما هو سبحانه وتعالى أو ملكه ومن تصرف فى ملك نفسه لا يقــال له لما فعلت ذلك.

وأشهد أن لا إله إلا الله[1] وحده لا شريك له شهادة من وفق لها فى الأزل، وكتب له بها فى القسم الأول، ففتح إليها كل باب، وهتك دونها كل حجاب،وخلصها من الشـبه

٨- إن من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السؤال إنما يحسن حيث يحتمـل أن يقـدر السائل على منع المسئول منه عن فعله وذلك من العبد فى حق الله تعالى محال، وهـو واضح.

فثبت بهذه الوجوه عند الأشاعرة أنه لا يجوز أن يقال لله فى أفعاله لم فعلت هـذا الفعل فإن كل شيء صنعه ولاعلة لصنعه.

وقد وافقت المعتزلة أهل السنة وسلموا أنه لا يجوز أن يقال لله تعالى لم فعلت. هذا الفعل إلا أن طريقهم مختلف عن أهل السنة فبمقتضى هذه الآية قال الأشاعرة إن لله أن يثيب العاصي و يعاقب المطيع، وأما المعتزلة فرأت أن ذلك قبح والله تعالى عالم بقبح القبائح، وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فأنه يستحيل إن يفعل القبيح و على ذلك قالت ما يفعله الله فهو حكمة و صواب ولذا لا يجوز للعبد إن يقول لله لما فعلت هذا. (انظر مفاتيح الغيب ، الرازى ج ٢١ ص ١٠٣ م ١١. فى الحقيقة أن أفعال الله لا تخلو من الحكمة والغرض إلا أن الغرض بالنسبة لله لا يكون هو الدافع له على الفعل.

(١) اشهد ان لا إله إلا الله وحدة ٠(لا اله إلا الله) جميع حروفها جوفية ليس فيها حرف من الحروف الشفهية (الباء و الفاء و الميم) وذلك إشارة إلى أن الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب لا من الشفتين ومن ناحية أخرى فإن لا إله إلا الله ليس فيهـا حرف معجم "أى منقوط " بل جميعها متجردة عن النقط و ذلك فيه إشارة التجرد عـن كل معبود سوى الله تعالى.

(ولا إله إلا الله) تجمع بين النفى و الإثبات وذلك يدل علـــى حصـــر الإلوهيـــه لله تعالى، فإن الجمع بين النفى والإثبات أبلغ صيغ الحصر. وقد ثبت العلم الضرورى بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة فى إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر إلـــى واسطة بين النفى و الإثبات، ولا انضمام لفظ آخر إليه.قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون" البقرة ١٦٤.

انظر معنى لا إله إلا الله فتضمن ذلك نفى الإلهية عما سوى الله وهى العبـــادة و إثباتها لله وحده لا شريك له و القرآن من أوله لآخره يبين هذا ويقرره ويرشـــد إليـــه. الزركشى ص ٨٢ – ٨٣.

ولا إله إلا الله لها شروط سبعة:

١- العلم بمعناها نفيا وإثباتاً قال الله تعالى لنبيه صلى الله علية وسلم (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وقال: (إلا من شهد بالحق و هم يعلمون و قالﷺ " من مات وهـــو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" .

٢- اليقين أى استيقان القلب بها، قال تعالى: "إنما المؤمنون اللـــذين آمنـــوا بـــالله ورسوله ثم لم يرتابوا " **إلى قوله تعالى: (أولئك هم الصادقون) وقالﷺ لأبـــى هريرة من رأيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا به قلبه فبشره بالجنة).**

٣- الإخلاص قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

وقال " ألا لله الدين الخالص".

٤ – الصدق: قال الله تعالى: والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هـــم المتقـــون وقال رسول الله "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رســـول الله صـــدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار".

٥- المحبة قال الله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه) وقالﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب إليه من والده وولده و الناس أجمعين.

والارتياب، وظهرت عليه فيها نعمة العزيز الوهاب، الغفور التواب، ملـــك الأمـــلاك، ورب الأرباب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[٧]المرفوع عليه علم التحقيـــق،والمختص

٦ - الانقياد لها ظاهراً وباطنا قال تعالى : وأنيبوا إلى ربكم واسلموا لـــه) ســـورة وقال (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به).

٧-القبول لها فلايرد شئ من لوازمها ومقتضياتها. قال تعالى فى حق من لا يقبلهـــا (احشروا اللذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون) إلى قوله تعالى : (إنهم كـــانوا إذا قيل لهم لا اله إلا الله يستكبرون ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون).

(٧) الشهادة برسالة محمدﷺمعطوفة على التوحيد أى على الشهادة بان لا إله إلا الله وفى ذلك نية تكرار العامل أى الشهادة للرسول بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد فلا تكفى احداهما عن الأخرى.

ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله: ١-تصديقه فيما أخبربه من أخبار سبق وأخبار ما سيأتى، و طاعته فى كل ما أمر به والإنتهاء عما نهى عنه واتباع شـــريعته والالتزام بسنته. أن يعظم أمرة ونهيه و لا يقدم علية قول أحد كائنا من كان، وذلك لأن الرسولﷺ عصمه الله من الخطأ و أمرنا بطاعته و التأسى به وتوعـــدنا علـــى تـــرك طاعته بقوله تعالى: " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"سورة ٣٣ آية ٣٦

٣-الإقرار بعبوديته لله. ومعنى العبد المملوك العابد أى أنه صلى مملوك لله تعالى. و العبودية الخاصة وصفه. كما قال تعالى "أليس الله بكاف عبدة " فأعلى مراتب العبـــد العبودية الخاصة والرسالة. فالنبىﷺ أكمل الخلق فى هاتين الصفتين الشريفتين. وجمـــع بين العبادة والرسالة دفعا للإفراط والتفريط.

٤-الشهادة بأن اكمل الصفات فيه وأفضلها التى يوصف بها الأنبياء فـــى نفســـه و أخلاقه وفى دينه و شريعته وما جاء به و فى آياته و براهينه المتنوعة التى هى أكثـــر وأقوى وأوضح من جميع البراهين اليقينية الدالة على صدق وصحة ما جاء به.

بخصائص التوفيق، الداعي إلى أنجح سبيل وأوضح طريق، صلى الله عليه وعلى آلــه صلاة[٨] دائمة تزيده شرفاً، وترفعه زلفاً، وتوردنا مورده الذى عذب وصفاً، وعلى آلــه

---

٥ – رسالته عامة قال ابن القيم رحمه الله: وكما أن محمد اً صلى عام الرسالة إلى كل مكلف فرسالته عامة فى كل شئ من الدين أصوله وفروعه دقيقــه وجليلــه ، فكمــا لا يخرج أحد عن رسالته فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عنها وعن بيانه لها.

٦ – الشهادة بأن جميع الدين داخل فى الشهادتين إذ مضمونها أن لا نعبد إلا الله وأن نطيع رسوله و الدين كله داخل فى هذا ، عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله وكل مايجب أو يستحب داخل طاعة الله ورسوله.

(٨) جاء فى الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض جــ٢ص ٤٦

أن الصلاة على النبى صلى فرض على الجملة غير محدد بوقــت لأمــر الله تعــالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه. وقد ذكر القاضـــى عياض الأقوال فى حكم الصلاة على الرسول فقال : وحكى ابــو جعفــر الطبــرى أن محمل الآية " إن الله وملائكته يصلون على النبى..." الندب وادعى فيه الإجماع ولعلــه فيما زاد على مرة والواجب منه الذى يسقط به الحرج مأثم ترك الغرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله". قال القاضى أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب فى الجملة علـــى الإنســـان وفرض عليه أن يأتى بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك. وقال القاضى أبو بكر بن بُكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلــك لوقــت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها.... وحكى عن مالك وسفيان أنها فى التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها فى التشهد مسئ. ويرغب الصلاة على الرسول قبل الدعاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الدعاء والصلاة معلــق بــين الســماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شئ حتى يصلى علـــى النبـــىﷺ ،وروى أن الـــدعاء محجوب حتى يصلى الداعى على النبىﷺ، وقال ابن عطاء للـــدعاء أركـــان وأجنحـــة

الطيبين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم وكرم، وشـــرف وعظم.

أما بعد : فإن الموت أمر كبار، أنجد وأغار[٩]، وكأس يدار، فيمن أقام أو سار، وباب تسوقك إليه يد الأقدار، ويزعجك فيه حكم الاضطرار، ويخرج بك منه إما إلـــى الجنـــة وإما إلى النار[١٠]، خبر علم الله يُصممُ الأسماع ويُغَيّـــرُ الطبـــاع، ويُكثـــر مـــن الآلام والأوجاع.

واعلموا: أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلالِ الأجسام، ونسيانك آخـــر الليالي والأيام ، لكان فيه لأهل اللذات مكدراً[١١]، ولأصحاب النعيم مغيـــراً، ولأربـــاب

وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوى وإن وافق أجنحته طار في الســـماء وإن وافـــق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشـــوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيتـــه الأســـحار وأســـبابه الصلاة على محمدﷺ. وفي الحديث كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصـــلاة صعد الدعاء". انظر الشفاء للقاضي عياض. حـ٢ ص ٥٠ – ٥٢

قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة استدعاء للرحمة من الله.

(٩) أنجد وأغار:النجد ما ارتفع من الأرض والنجد الطريق المرتفع ومنـــه قولـــه تعالى:" وهديناه النجدين" أي الطريقين طريق الخير وطريق الشر. والغور: كـــل شـــئ قعره يقال فلان بعيد الغور ، الغور ايضا المطمئن من الأرض. انظر مختار الصحاح .

(١٠) يشير إلى البعث بعد الموت ومصير الإنسان إما إلى الجنة وإما إلى النار حسب أعماله في الدنيا.

(١١)الكدر ضد الصفو .

العقول عن الرغبة فى هذه الدار زاجراً ومُنَفِّراً[١٢]، كما قال مطرف بن عبد الله بن الشخير" إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه"[١٣].

فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب، وتدهش فيه الألباب، وتفنى فى شرحه الأقلام والكتاب[١٤]، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب. واعلموا رحمكم

---

(١٢) يشير إلى أن الموت ليس هو نهاية الإنسان.

(١٣) نغص أى كدر، وأنشد الأخفش" لا أرى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقير. انظر مختار الصحاح.

ومطرف بن عبد الله هنا يدعو الناس للعمل للآخرة حيث النعيم الدائم الذى لا موت فيه ينغص عليهم نعيمهم.

(١٤) يشير إلى البعث والبعث بمعنى العودة إلى الحياة بعد فناء الجسم أى بعد الموت عقيدة قديمة آمن بها كثير من الناس فى عصور مختلفة واعتقدها كل حسب تفكيره وحسب الديانه والعقيدة التى كانت منتشره فى تلك البلاد، وليس معنى أن الناس اعتقدوا فى القيامة أن الدنيا خلت مما ينكرون البعث أو ينكرون الداعى إليه والمعتقد فى وجوده، فالقرآن الكريم يحدثنا عن فئات من البشر أنكروا البعث فى كل عصر ومصر قال تعالى: "وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت "النحل ٣٨" وقال تعالى: " ولئن قلت انكم مبعثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين" هود:٧. وقد رد الله تعالى بقوله: "بلى وعداً عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون" النحل ٣٨. وقال تعالى:" قال من يحيى العظام وهى رميم، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم" فقد أثبت الله تعالى أن البعث حقيقة لا ريب فيها كما أنها للروح والجسد، قال تعالى: "أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوى بنانه " وقال تعالى: "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب" وقال تعالى: "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ

يوفيهم الله دينهم الحق " فهذه الآيات صريحة فى عـودة الـروح والجسـد بأعضـائه المختلفة.

والبعث ليس من الأمور المستحيلة فى حقه تعالى بل من الأمور التى أثبتهـا الله تعالى وأقام عليها الأدلة العملية والنظرية ومن ذلك ما حكاه القرآن

الكريم عن الرجل الذى مر على قرية ووجدها خالية فتعجب وسأل هل يمكن أن تحيـى هذه الأرض بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم أحياه بعد ذلك ، ولكنه ترك حماره حتـى يراه الرجل أنه بلى ومات بالفعل وأصبح عظاما ثم كسا العظام النخره لحمـا وأعـاده على مشهد منه إلى الحياة مرة ثانية. قال تعالى: " أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنا يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامـك وشـرابك لـم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير" البقرة ٢٥٩. ومن الأدلة أيضا علـى وقوع البعث ما حكاه القرآن الكريم عن إبراهيم عليه السلام قـال تعـالى: " وإذ قـال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قـال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم " الأعراف ٥٧.

ومما لا شك فيه أن أفعاله تعالى لا تخلو من الحكمة فالبعث ومعرفة الإنسان بذلك ينطوى على كثير من الحكمة، فهو إتمام لعناية الله بالإنسان أن يفرق الله تعـالى بينـه وبين الحيوان الأعجم وذلك لا يكون إلا عن طريق الحساب على ما فعل فالإنسان كائن حر عاقل وكل من كان كذلك كان مسئولا عن عمله خيراً كان أم شراً لذا كان البعـث تقييما لأفعال الإنسان فى الدنيا ومجازاته عليها بالنعيم أو بالجحيم ولا يخفـى مـا فـى

الله أن الناس في ذكر الموت على ضروب، فمنهم المنهمك في لذاتـــه، المثـــابر علـــى شهواته، المشبع فيها ما لا يرحع من أوقاته، ولا يخطر الموت له على بال، ولا يحدث نفسه بزوال، قد اطرح أخراه، وأكب على دنياه، واتخذ إلهه هواه، فأصمه ذلك وأعماه، وأهلكه ذلك وأراده، وإن ذكر له الموت نفر وشرد، وإن وعظ أنف وعند، وقام في أمره الأول وقعد، قد حاد عن سواء نهجه، ونكب عن طريق فلجه،(٥٠) وأقبل علـــى بطنـــه

معرفة الإنسان من أنه محاسب على أعماله من حكمة ؛ فلو لم يكن هناك تقييم لأعمـــال الإنسان في حياة ثانية ولو لم يعرف الناس أنهم محاسبون لتمادى الظالم فـــي ظلمـــه ويأس المظلوم من النصرة مهما
كان صبره وتحمله لظلم الظالم، ولكن لو علم الناس أنهم محاسبون ومراقبون لا ستقامت الحياة واختفت الفوضى.

كما لا يخفى ما في البعث من إظهار لعدل الله تعالى إذ ليس من العدل أن يسوى بين الخبيث والطيب والصالح والطالح والبر والفاجر قال تعالى: "أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون" السجدة ١٨. والبعث دليل على وحدانية الله تعالى وتفرده بالألوهية لقول الله تعالى يوم القيامة " لمن الملك اليوم" فلا يدعى الملك أحد غيره فيجيـــب نفســـه ويقول "لله الواحد القهار" ومن حكمة البعث أيضا إظهار قدرة الله تعالى، ففي البعث من قدرة الله تعالى ما يكون من إعادة الخلق بعد تفرق أجزائه في الأرض. قال تعالى: "أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العلـــيم " سورة يس ٨١. ومن الحكمة أيضا من البعث بيان أن وعد الله هو الحق وذلك أن القـــرآن الكريم يذكر أن القيامة والبعث وعد من الله وعد به الخلق فكان البعث تحقيقا لهذا الوعد فإن "وعد الله حقا انه يبدئ الخلق ثم يعيده" يونس ٤ إلى غير ذلك من الحكم العديده في البعث والتي لا يتسع المقام هنا لذكرها جميعاً.

(٥٠) عدل عن طريق نصره.

وفرجه، تبت يداه، وخاب مسعاه[16]، كأنه لم يسمع قول الله–عزّ وجلّ–:(كل نفس ذائقة الموت) آل عمران : ١٨٥].

نعم ربما أخطر الموت بخاطره، وجعله من بعض خواطره، فلا يهيج منــه إلا غماً ولا يثير من قلبه إلا حزناً، مخافة أن يقطعه عما يؤمل، أو يعظه عــن لــذة فــى المستقبل. وربما فر بفكره منه، ودفع ذلك الخاطر عنه، يا ويحه كأنه لم يسمع قول الله – عزّ وجلّ – {قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم} [الجمعة: ٨]

وكذلك من كان قلبه معلقاً بالدنيا وهمه فيها، ونظره مصروفاً إليها وسعيه كله لها، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين، وأبنائها المدودين، لم ينل منها حظــاً، ولا رقــى منها مرقى ولا نجح له فيها مسعى، إن ذُكر له الموت تصامم عن ذكره، ولم يمكنه من فكره، وتمادى على أول أمره، رجاء أن يبلغ ما أمل، أو يدرك بعض ما تخيل، فعمــره ينقص وحرصه يزيد، وجسمه يَخْلَقُ وأمله جديد، وحتفه قريب ومطلبه بعيد، يحــرص حرص مقيم، ويسير إلى الآخرة سير مجند، كأن الدنيا حــق يقــين والآخــرة طريــق الظنون.

وهذا إذا ذَكر الموت أو ذُكِّر به لم يخف أن يقطع عليه هماً من الأعــراض قــد كان حصله، ولا عظيماً من الآمال فى نفسه قد كان أدركه، لأنه لم يصل إليه ولا قــدر عليه، لكنه يخاف أن يقطعه فى المستقبل عن بلوغ أمل يحدث به نفســه، ويخــدع بــه حسه، وهو يرى فيه يومه كما قد رأى أمسه، قد ملأ قلبه بتلــك الأحاديــث المشــغلة والأمانى المرذلة[17]، والوساوس المثقلة، قد جعلها ديدنه ودينه، وإيمانه ويقينه.

([16]) دعاء على من يكره حديث الموت.

([17])المرذلة:الخسيسة الدنيئة، الرذل: الدون الخسيس. مختار الصحاح

وربما ضاق ذرعه بالدنيا وطال همه فيها من تقذر مراده عليه وقلة تأتيه له، فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه، وهذا من جهله بالموت وبما بعد الموت، والذى يستريح بالموت غيره، والذى يفرح به سواه، إنما الفرح من وراء الصراط، والراحة بعد المغفرة.

توفيت امرأة كان أصحاب رسول اللهﷺ يمازحونها ويضحكون منها فقالت عائشة: استراحت، فقال رسول اللهﷺ: "إنما يستريح من غُفر له[١٨]"، ذكره أبو بكر البزار فى مسنده.

فلا يزال هذا البائس يتحمل من الدنيا بؤسها، ويتلقى نحوسها، ويلبس لكل شدة لبوسها، وهو يتعلل بعسى ولعل، ويرى جنده الأفل، وحزبه الأقل، وناصره الأذل، فلا يرعوى ولا يزدجر، ولا يفكر ولا يعتبر، ولا ينظر ولا يستبصر، حتى إذا وقعت رايته، وقامت قيامته، وهجمت عليه منيته، وأحاطت به خطيئته وكشف له الغطاء، وتبدت له موارد الشقاء، صاح واخيبتاه، وا ثكل أماه، وا سوء منقلباه، هيهات هيهات ندم والله حيث لا ينفعه الندم، وأراد التثبت بعد ما زلت به القدم، فخر صريعاً لليدين

---

(١٨) نص الحديث فى مسند الإمام أحمد بن حنبل المجلد ٦ص ١٠٢ "عن عائشة قالت" قيل هو بلال كما ذكر فى مجمع الزوائد " "يا رسول الله ماتت فلانه واستراحت فغضب رسول اللهﷺ وقال إنما يستريح من غفر له" مسند ابى بكر البزار. وذكر فى مجمع الزوائد حـ٢ ص ٣٣٠ أن القول لعائشة وقال رجاله ثقات " انظر كشف الأسرار عن زوائد البزار على الكتب الستة ، باب من يستريح بالموت تأليف ابن ابى بكر الهيثمى حـ١ ص ٥٢٣ تحقيق المحدث الكبير العلامه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى " مؤسسة الرسالة " قال البزار لا نعلم أسند محمد بن عروة عن ابيه عن عائشة إلا هذا.

والفم، إلى حيث ألقت رحلها أم قَشعَمْ، فنعوذ بالله من الحرمن، ومــن ضــحك العــدو وشماتة الشيطان.

وهذا الذى قبله إن لم تكن لهما عناية أزلية، وسابقة أوليــة، فيمســك عليهمــا الإيمان، ويختم لهما بالإسلام، وإلا قد هلكا كل الهلاك ووقعا بحيث لا دراك ولا مخلص ولا انفكاك، فنعوذ بالله من سوء القضاء، ودرك الشقاء، بفضله ورحمته.

ورجل آخر وقليلٌ ماهم من أُزيل عن عينه قذاها[١٩]، وكشف عن بصيرته عماها، وعُرضت عليه الحقيقة فرآها، وأبصر نفسه وهواهــا، فزجرهــا ونهاهــا، وأبغضــها وقلاها[٢٠]، فلبى المنادى وأجاب الداعي، وشمر لتلاقي ما فات ، والنظر فيما هــو آت، وتأهب لهجوم الممات وحلول الشتات، والانتقال إلي محلة الأموات، ومع هذا فإنه يكره الموت أن يشهد وقائعه، أو يري طلائعه، أو يكون ذاكر حديثة أو سامعه، وليس يكــره الموت لذاته، ولا لأنة هادم لذاته، لكن يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليــوم الميعــاد، والاكتساب ليوم الحساب، ويكره أن تطوي صحيفة عمله، قبل بلوغ أملــه، وأن يبــادر بأجله، قبل إصلاح حاله، وإدراك زلله وفهو يريد البقاء في هــذه الــدار لقضــاء هــذه الأوطار[٢١]، والإقامة بهذه المحلة ، وبسبب هذه العلة[٢٢]. كمــا يــري عــن بعــض الصالحين وقد بكي عند الموت فقيل له ما يبكيك فقال: " والله ما أبكي لفــراق الــدار ، حرصا علي غرس الأشجار ، وإجراء الأنهار، لكن علي ما يفوتني من الادخار، ليــوم الافتقار، والاكتساب ليوم المآب " قال هذا أو معناه .

---

(١٩) القذى ما يسقط فى العين والشراب.

(٢٠) قلاها: ابغضها مختار الصحاح " باب قلا "

(٢١) الأوطار: الحاجات ومفردها وطر مختار الصحاح.

(٢٢) وهذا صنف آخر من الناس يكره الموت ولكن ليس لذات الموت ولا لقطــع متــع الحياة الدنيا وإنما مخافة أن يقطعه عن الاستعداد لليوم الآخر وهذا الصنف قليل.

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قولة علية السلام: " من كره لقاء الله كره الله لقاءه " لأن هذا لم يكره لقاء الله وإنما كره أن يقدم علي الله– عز وجل – متدنساً بـأوزاره، ثقيل الظهر بها، ملآن من عاره وشناره[٢٣]، فأراد أن يتطيب للقـاء ، ويتغـنم لفضـل القضاء .

قال أبو سليمان الدراني: " قلت لأم هارون: تحبين أن تموتي؟ قالت: ل ، قلت: ولم ؟ قالت: والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جل جلاله ".

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: "يا أبا حازم ما لنا نكره المـوت ؟ قـال ؟: لأنكم أعمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم، فـأنتم تكرهـون النقلـة مـن العمـران إلـي الخراب.قال: كيف القدوم علي الله –عز وجل –؟: يا أميـر المـؤمنين أمـا المحسـن فكالغائب يأتي أهله فرحاً مسروراً ، واما المسيء فكالعبد الآبق يـأتي مـولاه خائفـاً محزوناً ".

وقال أبو بكر الكناني: " كان رجل يحاسب نفسه فحسب سنين يومـاً فوجـدها ستين سنة،فحسب أيامه فوجدها إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ صرخة خر مغشيا علية، فلما أفاق قال: يا ويلاه أنا آتي ربي بواحـد وعشـرين ألـف ذنـب وخمسمائة ذنب !! يقول: هذا لو كان ذنب واحد كل يوم فكيف بذنوب لا تحصى ؟! ثم قال: آه عليّ عمرتُ دُنياي وأخربت أخراي وعصيت مولاي ثم لا اشتهي النقلـة مـن العمران إلي الخراب، وكيف النقلان إلي دار الكتاب والحساب والعقاب والعـذاب بـلا عمل، ولا ثواب .ثم شهق شهقة عظيمة فحركوه فإذا هو ميت" علي أن هذا الحـديث: " من كره لقاء الله كره الله لقاءه" قد جاء مفسراً . قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول

([٢٣])الشنار بالفتح العيب والعار مختار الصحاح.

الله ﷺ: " من أحب لقاء الله أحب الله[٢٤] لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت وكلنا نكره الموت ؟ قال: " ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه " ذكره مسلم بن الحجاج[٢٥].

---

(٢٤) قال العلماء:محبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه، وكراهته له على الضد من ذلك.

واختلف العلماء في"من" في الحديث هل هي شرطيه وسببا للجزاء أم لا قال الكرماني أنها شرطية ولكن الشرط هنا ليس سببا للجزاء بل الأمر بالعكس ولكنه على تأويل الخبر أي من أحب لقاء الله أخبره بأن الله أحب لقاءه، وكذا الكراهة، وقال الإمام الحافظ أنها شرطية ولا حاجة إلى دعوى نفي الشرطية وأكد قوله بما جاء من حديث أبي هريرة مرفوع " قال الله عز وجل" إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وعلى ذلك ف "من"هنا شرطية وهي بمثابة "إذا" في حديث أبي هريرة و" إذا "تفيد الشرط .

(٢٥) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار حـ٤ ص ٢٠٦٥ – ٢٠٦٦ الحديث ٢٦٨٤/١٥ جاء في شرح الحديث أن هذا الحديث يفسر آخره أوله، ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة: من أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله . ومعنى الحديث أن الكراهه المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها. فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك. فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم، ويحب الله لقاءهم، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم، أي يبعدهم عن رحمته وكرامته، ولا يريد ذلك بهم. وهذا معنى كراهية سبحانه لقاءهم . صحيح مسلم ص ٢٠٦٥

وقال البخاري[٢٦] في هذا الحديث: " ولكن المؤمن إذا حضـــر المـــوت بشـــر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقـــاءه، وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه" .

ورجل آخر: وهو من القليل قليل، عرف الله تعالى بأسمائه الحســـنى وصـــفاته العليا وشاهد ما شاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الإلهية فملأت عينـــه وقلبـــه وطاشت عقله ولبه؛ فهو يحن إلى ذلك المشهد ويحوم على ذلك المورد ويستعجل إنجاز ذلك الموعد وقد علم أن الموت حجاب بينه وبين محبوبه وســـتر مســـدل بينـــه وبـــين مطلوبه، وباب مغلق يمنعه من الوصول إلى مرغوبه فلو أصاب إلى هتك ذلك الحجاب هتكه، ورفع ذلك الستر رفعه، وكسر ذلك الباب كسرهن فعذابه فى الحياة وراحته فـــى الممات[٢٧].

---

(٢٦) فى كتاب الرقاق حـــ١١باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه رقم ٦٥٠٧.

وقال البعض الآخر فيما نقله عبد البر وغيره "من" هنا خبريه وليست شرطيه فلـــيس معناه أن سبب حب الله لقاء العبد حب العبد لقاءه ولا الكراهه ولكنه صفة حال الطائفتين فى أنفسهم عند ربهم، والتقدير من أحب لقاء الله فهو الـــذى أحـــب الله لقـــاءه، وكـــذا الكراهة. فتح البارى كتاب الرقاق باب من احب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٢٧) عن أبى قتاده ابن ربيعه الأنصارى أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازه فقال مستريح ومستراح منه قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه، قال العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" فتح البارى كتاب الرقاق سكرات الموت رقم ٦٥١٢.

كما روى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه لما نزل به الموت قال : " حبيب جاء على فاقة ".وقد قيل:" الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب"(٢٨) .

ويروى عن على بن الفتح أنه رأى الناس فى يوم عيد يتقربون بقربانهم – يعنى بضحاياهم(٢٩) فقال: "يا رب وأنا تقربت إليك بأحزانى، ثم غشى عليه فلما أفاق قال: إلهى كم ترددنى فى هذه الدنيا ؟ ! فمات من ساعته.

الناس إزاء الموت على أربعة ضروب:

١- أن يكره ذكر الموت لانغماسه فى نعيم الدنيا ولذاتها وشهواتها فيخاف الموت لكلا يقطع عليه متع الحياة الدنيا.

٢- من يكره ذكر الموت لا ليقطع عليه نعيمها فهو لم يحصل منها شيئاً ولكنه يرجو ويتمنى أن يحصل منها شيئاً فهو يخاف الموت خشية أن يقطع عليه ما يأمل أن يحققه فى المستقبل.

٣- أن يكره الموت ويخشاه مخافة أن يقطع عليه الاستعداد لليوم الآخر.

٤ -ومن الناس وهو قليل من يتمنى الموت لأن فيه راحته لأن الموت حجاب بينه وبين لقاء حبيبه وهو من عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا. قالﷺ " ان لله تسع وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة".

(٢٨) " الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب) هو قول حيان بن الأسود انظر البرزخ لمحمد الصالحى (ص / ٣٢) رقم / ٧٧).

(٢٩) التقرب بالضحايا أى بالذبائح لغير الله من الشرك بالله فالأصل فى الذبح أن يكون لله تعالى وذلك لقوله تعالى:" قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"وقال تعالى: " فصلى لربك وانحر، فالذبح لغير الله شرك لأن الذبح عبادة يتقرب بها العباد إلى الله كما يتعبدون بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات. وقد أمرهم الله تعالى أن يخلصوا جميع أنواع

العبادة له دون كل ما سواه ولذلك إذا تقربوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكا فى عبادته.

والذبح لغير الله مثل من يقول هذا ذبيحة لكذا أو يسمى على الذبيحة باسم المسيح مثلا كأن يقول على الذبيحة باسم المسيح أو كما يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور وكذلك ما يفعله الجاهلون من النبح للجن باسم الزار واخراج الجن المتلبس بالإنس، كذلك ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه فهو ذبح لغير الله كذلك ماذبح للصنم أو للصليب أو للكعبة كذلك" ما أهل به لغير الله" وهو المعلن عنه أنه المنذور به لغير الله سواء كان هذا الإهلال والإعلام قبل الذبح كان يقال هذه شاة السيدة فلانة والسيد فلان فيعرف الناس ذلك وأنه مهل بها لغـ الله ولو سمى الذابح باسم الله فإن هذه التسمية اللفظية لا غيه والعبرة بالإهلال الحقيقـ بما انطوى عليه من قصد التقرب لغير الله. فإذا كان الذبح تقربا لغير الله يكون شـرك أكبر وإذا قصد مع الذبح تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفـر انظر تطهير الاعتقاد من إدمان الالحاد محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى ١٠٩٩ – ١٣٠ هـ ص٣٠.

ومن يذبح لغير الله ملعون من الله تعالى أى أنه مطرود من رحمته ويستحق الـ من الناس وذلك لقول على رضى الله عنه: " حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله .. " وذبيحته محرمة على المسلمين وحرمت عليه الجنة. عن طارق بن شهاب: أن الرسول صلى الله عليه

وسلم قال: " دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب! قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عند شئ أقرب قالوا له قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا فخلوا

ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال والاتصال والأنس بذلك الجلال والجمال.

قال أحمد بن أبى الحوارى: قال أبو سليمان الدارانى: " الناس رجلان: رجل أحب الله فأحب الموت شوقاً إلى لقاء الله، ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله. قال: فوثب غلام لم يحتلم فقال: ورجل ثالث– أو قال ورجل آخر– فقال أبو سليمان: ومن هو ؟ فقال: من لم يختر هذا ولا هذا اختار ما اختاره الله – عزّ وجلّ – له. فقال أبو سليمان احتفظوا بالغلام فإنه صدّيق".

واجتمع يوماً وهب بن الورد، وسفيان الثورى، ويوسف بن أسباط، فقال الثورى: كنت أكره موت الفجاءة وودت اليوم أنى مُت فقال له يوسف بن أسباط: لم ؟ قال: لما أتخوف من الفتنة فى الدين. فقال يوسف: لكنى أحب الحياة وطول البقاء. قال له سفيان: لم ؟ قال: لعلى أن أصادف يوماً فأتوب فيه وأعمل صالحاً. فقيل لوهب: أى شئ تقول أنت؟ فقال: أنا لا أختار شيئاً أحَبُّ ذلك إلىَّ أحبُّهُ إلى الله – عزّ وجلّ – فقبل الثورى بين عينيه وقال: روحانية ورب الكعبة.

وقال على بن الجهضم عن على بن عثمان بن سهل: دخلت على عمرو بن عثمان وهو فى علته التى توفى فيها فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجد سرى واقفاً مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام – يعنى مثل الماء فى الإناء – أو القرار فى الأرض – يقول لا يختار الحياة ولا الموت.

ومنهم من يتمنى الموت ويشتهيه، ويَسَلْهُ ربَّه تعالى ويرغب إليه فيه،وقد علم أن وراءه يوماً ثقيلاً، وحبساً طويلاً، ومقاماً يقوم فيه ذليلاً، لكن لما رأى نفسه منصوباً

سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر قرب ، فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة ".

للمجن[٣٠]، معرضاً للفتن، مرتهناً بما هو به مرتهن، وأبصر تفريط[٣١]فى الـزاد ليـوم المعاد، وفى الاستعداد ليوم الأشهاد، وخاف أن يُقطع عن سبيل المؤمنين، ويختلج عـن طريق المسلمين، تمنى الموت لينجو من هذا الخطم[٣٢] ويسلم من هذا الغرور وأن ينقذه الله – عز وجلّ – بالإيمان، كائناً منه بعد ذلك ما كان، وهـذا إن شـاء الله إذا مـات خرجت له البشرى بالأمان وأن يحل فى جوار الرحمن حيث شـاء مـن دار الكرامـة والرضوان.

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام: " لا يتمنين أحدكم الموت لضر ينـزل به". فإنه عليه السلام أراد المضر الدنياوى الذى ينزل بالإنسان من محـن الـدنيا فـى النفس والأهل والمال، وهذا إنما تمناه مخافة أن ينزل به الضرر الأُخراوى وأن يُقطـع بالمعاصى عن الله–عزّ وجلّ–، وأن يُصدَّ بالفتن عن سبيل الله. وبالجملة فالموت طريق نجاة يركبها المؤمنُ ومرور وسلامة يرد المسلمون لقوا فيه ما لقوا، وسـقُوا منـه مـا سقوا، لكل ذلك يلقون لما يفضى بهم إليه من السعادة الأبدية، والحياة السرمدية، نسـأل الله جميل الخاتمة وحسن العاقبة ومرداً غير مخزٍ، ولا فاضح برحمته، لا رب غيـره. والأحاديث التى وردت فى النهى عن تمنى الموت صحيحة :

١– ذكر مسلم بن الحجاج[٣٣] رحمه الله من حديث أنس بن مالك قـال: قـال رسول اللهﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان

(٣٠) المجون ألا يبالى الإنسان ما صنع مختار الصحاح .

(٣١) فرط فى الأمر قصر فيه وضيعه حتى فات والتفريق التقصير مختار الصحاح، أى التقصير فى الاستعداد للآخرة .

(٣٢) الخطم: الخطام بالكسر الزمام مختار الصحاح.

(٣٣) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفارجـــ٤ ص ٢٠٦٤ ، الحـديث رقـم ٢٦٨٠/١٠ الحديث فيه تصريح بكراهة تمنى الموت لضر نزل به من مرض أو فاقـة أو محنة من عدو، أو نحو ذلك من مشاق الدنيا .

لابد متمنياً فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى ما كانت الوفـــاة خيراً لى"[٣٤].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يتمن أحدكم الموت ولا يدع بـــه من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمرهُ إلا خيراً " أخرجه مسلم[٣٥].

٢- وذكر البخارى من حديث أبى هريرة أيضاً أن رســـول الله ﷺ قـــال: " لا يتمن أحدكم الموت إلا محسناً فلعله أن يزداد وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب[٣٦].

([٣٤]) وذكره البخارى فى كتاب المرضى١٩-باب تمنى المريض المـــوت رقـــم ٥٦٧١ ص ١٢٧ وكتاب الدعوات حــ١١رقم ٦٣٥١. والحديث يدل على أن النهى عن تمنى الموت مفيد" لو لم يكن على هذه الصيغة المأمور بها لأن التمنى المطلق فيه نوع اعتراض ومراغمه للقدر المحتوم وفى هذه إن كان خيراً " نوع تفويض وتسليم للقضاء، كما أن الأمر فى قوله "فليقل" لمطلق الإذن بهذا الدعاء لأنه وقع بعـــد الحظـــر" لا ... فليقل " فلا يكون الأمر على حقيقته. انظر فتح البارى حــ١٠ ص ١٢٨.

([٣٥]) – فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار حـــ٤ ص ٢٠٦٥ الحديث رقـــم ١٣ / ٢٦٨٢

([٣٦]) أخرجه البخارى كتاب المرضى رقم ٥٦٧٣ حــ١٠ ص ١٢٧.

وتمام الحديث كما جاء فى البخارى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلى يقول لن يدخل أحداً عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رســـول الله ؟ قـــال: لا ، ولا أنـــا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة. فسددوا وقاربوا. ولا يتمنين أحدكم الموت ، إمـــا محســـنا فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب " .

هل يمنع تمنى الموت مطلقا أو يجوز فى حالة؟ قال جماعة من السلف إن تمنى الموت لضر أصابه فى الدنيا منهيا عنه، أما إذا وجد الضر الأخروى بأن خشى فتنه فى دينه فلا يكون تمنى الموت فى هذه الحالة منهيا عنه. ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فى الدنيا أى بسبب أمر من الدنيا، وقد فعل ذلك جماعة من الصحابة: ففى الموطأ عن عمر أنه قال " اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى، وانتشرت رعيتى، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط " ومن ذلك أيضا حديث معاذ الذى أخرجه أبو داود وصححه الحاكم فى القول فى دبر كل صلاة وفيه" وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنى

إليك غير مفتون". كذلك إذا حل الموت بالمرء لا يمنع من تمنيه الموت رضاه بلقاء الله ولا يمنع من طلبه من الله لذلك وهو كذلك، ويؤخذ ذلك من رواية عائشة رضى الله عنها قالت: " سمعت النبى ص وهو مستند إلى يقول اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الأعلى " فإنها إشارة إلى أن النهى مختص بالحالة التى قبل نزول الموت، وكان ذلك من الرسول فى وفاته. والنهى عن تمنى الموت فى الحديث الذى معنا فيه إشارة إلى أن المعنى فى النهى عن تمنى الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت ، فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل يحصل زيادة الثواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال، ويؤيد ذلك حديث أبى أمامه أن النبى ص قال لسعد: يا سعد إن كنت خلقت للجنة فما طال من عمرك أو حسن من عملك فهو خير لك . وعن أبى هريرة . وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً. "انظر فتح البارى جـ١٠ ص ١٢٨ – ١٣١ "
أو يتوب عن معاصيه ويؤيد ذلك الحديث الذى ذكره المصنف بعد ذلك.

٣- وذكر أبو بكر البزار من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة"[٣٧].

وهذا التغير إنما يحل بجسدك، وينزل ببدنك، لا بروحك لأن الروح له حكم آخر[٣٨] وما قضى منك فغير متاع، وتفرقه لا يمنعه من الاجتماع[٣٩]، قال الله تبارك وتعالى: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)[٤٠].

([٣٧]) مجمع الزوائد باب ما جاء فى هول المطلع وشده يوم القيامة جـ١٠ ص ٣٣٤ رواه أحمد ٣٣٢/٣ . والبزار واسنادهما جيد .

([٣٨]) اختلف فى موت الأرواح وبقائها فقيل: إنها تموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت. ولأنه إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت. وقيل لا تموت بل خلقت للبقاء، وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها إلى أجسادها. قيل والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا الفراق فهى ذائقة الموت، وإن أريد أنها تفنى بالكلية فهى لا تموت بهذا الاعتبار، بل هى باقية بعد خلقها فى نعيم أو فى عذاب. قال تعالى مخبراً عن أهل الجنة " لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى.. " الدخان ٥٦ وتلك الموتة هى مفارقة الأرواح للأجساد. وأما صعق الأرواح عند النفخ فى الصور فلا يلزم منه موتها فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وليس ذلك بموت.

وللروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام: تعلقها به فى بطن الأم حيا . تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. وتعلقها به حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه. تعلقها به فى البرزخ فإنها لم تفارقه فراقا كليا بل لها به نوع

تعلق، فقد ورد ردها إليه وقت سلام المسلم (مع خلاف فى ذلك) وورود أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه. وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامـــة. تعلقها به يوم البعث وهو كل أنواع تعلقها بالبدن لأن البدن لا يقبل بعده موتا ولا فساداً ."انظر تهذيب شرح العقيدة الصحاوية ص ١٩٩ – ٢٠١.

(٣٩) إن الله تعالى عالم بجميع الجزئيات، والله تعالى قادر على تمييز أجزاء بـــدن هذا الإنسان عن أجزاء بدن هذا الإنسان عن أجزاء ذلك الإنسان الآخر، فجمعه ممكـــن وكل ممكن واقع تحت قدرة الله تعالى، وقد أنكر الفلاسفة عودة جسم الإنسان واحتجـــوا على إنكاره بأن قالوا إذا قتل إنسان واغتذى به إنسان آخر فتلك الأجزاء إن ردت إلــــى بدن هذا فقد ضاع ذلك وبالعكس ، وعلى التقدير فقد بطل اجتمـــاع أجـــزاء الإنســـان وبالتالى أنكروا القول بالحشر والنشر. والجواب على ذلك كما ذكر المتكلمون هـــو أن الإنسان فيه أجزاء أصلية وأجزاء فضلية ، والمعتبر إعـــادة الأجـــزاء الأصـــلية لهـــذا الإنسان ، ثم أن الأجزاء الأصلية فى هذا الإنسان أجزاء فاضلة لغيره " انظر أصول الدين للرزاى ص ١١٨ ".

وقد رد الله تعالى على هؤلاء المنكرين فى كتابه العزيز فقـــال ســـبحانه:(أيحســـب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه) وقال تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وقال جل شأنه: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يـــوفيهم الله ديـــنهم الحـــق) وقـــالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) فالعظام والبنان والألســـن والأيدى والأرجل والجلود وهى الأعضاء الجسمانية البدنية تكون فى الآخرة بعد جمعها وإعاده الأرواح لها مما يدل على عودة الجسم بأجزائه وهو فى مقدوره تعالى.

(٤٠) استبعد الكفار البعث وقالوا " أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد " وقـــد رد الله تعالى على إنكارهم ذلك بقوله تعالى: (قد علمنا ما تنقص الأرض مـــنهم وعنـــدنا

والحكايات فى هذا الباب أكثر من هذا والكلام فيه متسع، وقد دُوِّنت فى الموت الأخبار، وصنعت فيه الأشعار، وضربت بشدته الأمثال، وكثر فيه القيل والقال، وعملت بسببه أعمال وأعمال.

٤- قال بعضهم :

قالوا صف الموت يا هذا وشدته فقلت وأثر منى عند ذا الصوت يكفيكم منه أن الناس

إن عجزوا عن وصف حيرهم قالوا: هو الموت

وقد أمر عليه السلام بذكره، وأعاد القول فيه تهويلاً لأمره، وتعظيماً لشأنه.

٥- ذكر النسائى: عن عائشة قالت: قال رسول الله ρ: " أكثروا ذكر هادم اللذات الموت[٤١].

وهذا كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة، وأبلغ فى الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها فى المستقبل، وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة، تحتاج إلى تطويل الوعاظ،

كتاب حفيظ) قال الزمخشرى " لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادراً على رجعهم أحياء كما كانوا "عن النبى صلى " كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب " الكشاف حـ٤ ص ٤ سورة ق.

([٤١])أخرجه الترمذى ٢٣٠٧ والنسائى ٤/٤ قال التيمى وهو أحد التابعين شيئان قطعا عنى لذه الدنيا ذكر الموت وذكر الموقف بين يدى الله تعالى . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. " التذكرة ص ٣٥ ".

وتزويق الألفاظ، و... ـما ذكرته من قوله عليه السلام: " أكثروا ذكــر هــادم اللــذات الموت " ما يكفى السامع له، ويشغل الناظر فيه طرفة[٤٢].

٦- ويروى عن عطاء الخراسانى أنه قال: " مر رسول الله ﷺ بمجلس قد ارتفع فيه الضحك، فقال: شُوبُوا مجلسكم بذكر مُكدِّر اللَّذات، قالوا وما مكــدر اللــذات ؟ قــال الموت"[٤٣].

٧- وخرج يوماً عليه السلام إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال: " اذكروا الموت، أما والذى نفسى بيده لو تعلموت ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيــتم كثيــراً "[٤٤].

([٤٢])- أنظر التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبــى ص ٣٣ المجلد الأول .

([٤٣]) اتحاف حــ١٠ ص ٢٢٨. كنز العمل ص ٥٤٦ / ٤٢١١٢ ابن أبى الــدنيا فى ذكر الموت عن عطاء الخراسانى مرسلا. قال المناوى فى الفيض ٤ / ١٦٧ قــال العراقى فـــى المغنـــى عـــن حمـــل الأســـفار وروينـــاه مـــن أمـــالى الخـــلال مـــن حديث أنس وقال لا يصح .

([٤٤]) البخارى فى الكسوف ٢ / ٦١٥ رقم ١٠٤٤ ومسلم فى الصـــلاة حــــ ١ ص ٣٢٠ الحديث رقم ١١٢ / ٤٢٦ ونص الحديث فى مسلم عن أنس قال: " صلى بنا رسول الله من ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه ، فقال يا أيها الناس إنـــى أمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود، ولا بالقيام ولا بالانصراف (أى الســـلام) فإنى أراكم من أمامى ومن خلفى" ثم قال: " والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيــت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً " قالوا وما رأيت يا رسول الله ؟ قال: رأيت الجنة والنار".

٨- وعن ابن عمر قال: " أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: يا رسول منْ أكيس الناس ؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة"[٤٥].

٩- وقال عليه السلام: "أنا النذير، والموت المغير، والساعة الموعد"[٤٦].

١٠- ويروى عنه عليه السلام أنه قال: " تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً فالناطق القرآن والصامت الموت " .

١١- ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: " عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به"[٤٧].

وهذه الأحاديث رويتها من طريق أبى بكر البراز والقاضى أبى الحسن بن صخر وأبى على الغسانى وغيرهم.

١٢- وقال أبو الدرداء: "من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده"

١٣- وقال بعض أصحاب الحسن: " كنا ندخل على الحسن فما هو ذاكر إلا النار والقيامة والآخرة وذكر الموت"[٤٨].

([٤٥]) انظر المغنى عن حمل الأسفار حـ٤ ص ٤٣٥ قال العراقى أخرجه ابن أبى الدنيا باسناد جيد ، وأخرجه بن ماجه رقم ٤٢٥٩ .

([٤٦]) أنظر مجمع الزوائد حـ١٠ ص ٢٢٧ قال أبو بكر الهيثمى رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير همام بن اسماعيل وهو ثقة وأنظر المغنى عن حمل الأسفار حـ٤ ص ٤٤٣ قال العراقى اخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وأبو القاسم البغوى باسناد فيه لين .

([٤٧]) انظر إحياء علوم الدين للعزالى ٤ / ٤٣٦.

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه على حدته[٤٩].

١٤- وقال التيمى رحمه الله: " شيئان قطعا عنى لذاذة الدنيا: ذكـر المـوت، وذكر الوقوف بين يدى الله عزّ وجلّ "[٥٠].

١٥- وقال مظرف بن عبد الله: " رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقـول فـى وسط جامع البصرة: قطع ذكرُ الموت قلوب الخائفين فـوالله مـا تـراهم إلا ولهـين محزونين".

١٦- وقال عمر بن عبد العزيز[٥١]-رحمه الله -: " لو فارق ذكر الموت قلبـى ساعة لَفَسَد ".

١٧- وقال لعنبسة: " أكثر ذكر الموت؛ فإن كنت واسع العيش ضـيقه عليـك، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك"[٥٢].

([٤٨]) انظر إحياء علوم الدين للغزالى ٤ / ٤٣٦ .

([٤٩]) انظر الإحياء ٤/ ٤٣٥ .

([٥٠]) انظر التذكره ص ٣٥ .

([٥١]) من خطبه عمر بن عبد العزيز فى التذكير بالموت:" يا أيها الناس، ثم خنقته العبرة ثم سكت ثم قال: يا أيها الناس .. إن امرءاً أصبح ليس بينه وبين

آدم أب حى لمغرق له فى الموت أيها الناس، أنكم فى أسلاب الهـالكين وفـى بيوت الميتين وفى دور الطاغيين جيرانا كانوا معكم بالأمس، أصبحوا فى دور خامدين، بين آمن روحه إلى يوم القيامة ثم تحملونه على أعناقكم ثم تضعونه فـى بطـن مـن الأرض بعد غضارة من العيش وتلذذ فى الدنيا، فإنا لله وإنا إليه راجعـون، أمـا والله لوددت أنه بدئ بى وبلحمتى التى أنا منها حتى يستوى عيشنا وعيشكم، أما وأردت غير هذا من الكلام لكان اللسان به منى منبسطا ولكنت بأسبابه عارفاً ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وبكى الناس معه . " الخليفة العادل لأبى محمد عبد الله بن عبد الحكـم " ص ١٣٢.

١٨- وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول أيها الناس ألا تبكون وتنحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت موعده والقبر بيته والثرى فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ! ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه".

١٩- ويروى أن عيسى عليه السلام أنه كان " إذا ذكر عنده الموت والقيامة تقطَّر جسده دماً"[٥٣].

٢٠- وعن داود عليه السلام: " أنه كان إذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكرت الرحمة رجعت"[٥٤].

٢١- وكان عمر بن عبد العزيز " يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة "

٢٣- ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة في قلبها ، فقالت لها: " أكثري ذكر الموت يرقُّ قلبُك. ففعلت ذلك، فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها [٥٥].

([٥٢]) انظر الإحياء حـ٤ ص ٤٣٦

([٥٣]) انظر الإحياء حـ٤ ص ٤٣٦ .

([٥٤]) انظر الإحياء حـ٤ ص ٤٣٦ .

[٥٥] مروى عن صفيه أنظر أحوال البرزخ لمحمد بن طولون حـ٣٠ رقم ١١٩

٢٤- وقال الحسن : " فضح الدنيا والله هذا الموتُ فلم يترك فيها لذى لُبٍّ فرحاً ".[٥٦]

٢٥- وقال:" ما رأيت غافلاً قط إلا وجدته حذراً من الموت حزينا من أجله " .

٢٦- وقال كعب: " من ذكر الموت هانت عليه المصائب".

٢٧- وقال حامد اللَّفَّاف: " ويح ابن آدم إن أمامه ثلاثة أشياء: موت كريه المذاق، ونارُ أليمة العذاب، وجنة عظيمةُ الثواب".

واعلم: أن الموت لن يمنعه مانع، ولا يدفعه عنك دافع[٥٧]، وأن فيه لزجراً لِلَّبيب، وشغلاً للأريب، ومنبهة للنائم، وتنشيطاً للمستيقظ، وأنه لَلطَّالب المُدرِكُ، والمُتَّبِعُ اللاحقُ، والمُغِيُر الذى يبعث الطليعة ويعجل الزينة ويسبق النذيرَ العريان ، لا يرده الباب الشديد، ولا البرج المشيد، ولا النحب العرمرم، ولا البلد البعيد .

٢٨- روى خيثمة عن سليمان بن مهران الأعمش وحدث به غيره أيضاً: " أن رجلاً كان جالساً عند نبى الله سليمانﷺ فدخل عليه داخل فجعل ينظر إلى الرجل الجالس مع سليمان ويديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل: يا نبى الله من هذا الداخل عليك؟ قال: ملك الموت. قال: يانبى الله لقد رأيته يديم النظر إلىَّ ويشخص فىَّ وإنى لأظنه يريدنى قال:فما تريد ؟ قال: أريد يانبى الله أن تأمر الريح فتأخذنى فتلقينى فى أبعد جزء من البحر فإنه قد أطار عقلى وأذهب لبى ونفض كل عضو فى بدنى فأوحى الله إلى سليمان أو ألقى فى نفسه أن يفعل ذلك فأمر الريح فأخذته فألقته حيث أراد فما استقر بالأرض حتى نزل عليه ملك الموت فقبض روحه ثم رجع إلى سليمان فقال له

---

[٥٦] أنظر الإحياء علوم الدين حـ٤ ص ٤٣٥ .

[٥٧] قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) الجمعة آية ٨.

سليمان: رأيتك تديم النظر إلى جليسى قال نعم ، كنت أتعجب منه لأنى أمرت بقبض روحه فى أبعد بلاد الهند فى ساعة قريبة من الوقت الذى عندك فما هو إلا أن عرجت قيل لى: أنزل عليه فإنه بها فنزلت عليه فوجدته بها فقبضت روحه[٥٨]".

٢٩- واعلم: أن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل فى الاجتهاد والتعب.

٣٠- يُروى أن الحسن البصرى رحمه الله دخل على مريض يعوده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وعلوة وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير الذى خرج من عندهم فقالوا له: الطعام رحمك الله أتأكُلُ؟ فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لاأزل أعمل حتى ألقاه".

٣١- وقال بعض العلماء: " رأى عيش يطيب وليس للموت طبيب ".

٣٢- وقال بعض الزهاد: " لنا من كل ميت عظة بحاله وعِبْرةً بماله".

٣٣- وقال بن مسعود: " كفى بالموت وأعظاً وباليقين غنى ، وبالعبادة شُغْلاً ".

واعلم: أنه وإن كان هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى، فأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه، وترك العمل له، وأن فيه وحدة لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر.

٣٥- ويروى أن رجلاً من الأغنياء نزل به داء فى وجهة فعجز أطباء بلاده عن معالجته ولم يجدوا سبيلاً إلى شفائه، فخرج يضرب فى الأرض

---

(٥٨) الأثر فى الحلية ٦ / ٦٠ وانظر إحياء علوم الدين حـ٤ ص ٤٥.

ويخترق البلاد يطلب علاجاً لدائه وفرجاً لبلائه فدل على طبيب حاذق ببلاد الهند فقطع إليه المفاوز البعيدة، وركب إليه البحار المخطرة وللجج الهائلة، حتى وصل إليه بعدما كاد، فدخل عليه فوجد رجلاً ملقى على فراشه جلده على عظم فسلم عليه، فأحسن الرد، وأظهر البشر، وسأله عن حاله، ومن أى البلاد هو، وما الذى جاء به، فأخبره خبره فإنه أنما جاء يلتمس معالجة دائه. فقال له: كم معك من مال؟ وما جئت به من البضاعة؟ فأخبره فقال له: آخذ من نصف ما عندك وأعالجك حتى تستريح. فأجابه إلى ذلك ودفع إليه نصف ما عنده فعالجه ولاطفه حتى ذهب عنه الألم وجميع ما كان يوجبه ولم يبق فيه شئ إلا أن موضع الداء بقى أسود دون ألم يجده فيه فقال له: قد برأ داؤك وذهبت علتك، وقد استوجبتُ ما أخذتهُ منك. فقال له: أيها الفاضل أنا رجل بعيد الدار أو ما ترى الموضع قد بقى أسود مخالفاً لونه لونى وكيف يكون هذا البرء وكيف تكون الصحة وكيف تستوجب ما أخذته منى؟ فقال له: لم أشارطك على نقاء اللون وبياض البشرة وإنما شارطتك على ذهاب الألم وحسم الداء ولست أنظر لك فيما تريده من إزالة هذا السواد إلا أن تدفع إلىّ النصف الثانى من مالك. فقال له: أيها الفاضل أنا غريب بعيد الدار نائى الأهل وإذا دفعت إليك النصف الثانى بقيت منقطعاً بى عن أهلى ووطنى فقيراً بأرض غربة عالةً على من لا يعرفنى. فقال له: لابد لك من أن تعطينى ما قلت لك وإلا لم أنظر لك فى شئ مما تريد. فلما رأى الرجل أنه لا يجبه إلى معالجته والنظر فى أمره حتى يعطيه ما سأل أجابه إلى ما أراد، ودفع إليه النصف الثانى فعالجه حتى ذهب عنه سواده فلما برئ قال له: أبقى لك شئ؟ فقال: لا، قال: فاستوجبتُ ما أخذتُ منك؟ قال: نعم. فقال برئ قال له: أبقى لك شئ؟ فقال: لا. قال: فاستوجبتُ ما أخذتُ منك؟ قال: نعم، فقال له: يا هذا إنى لم آخذ مالك رغبة فيه ولا لأستأثر به دونك ولكن أردت أن أعرف مقدار نفسك عندك وأيهما أحب إليك من المال أم هى وقد رأيت، هذا كله مردود إليك، لا والله لا آخذ منك شيئاً ولا درهماً واحداً. فرده عليه ثم قال له:ما نحلتكم التى تنتحلون؟ وما شريعتكم التى بها تتشرعون؟ فقال له: نحن قوم مسلمون. فقال: وما مسلمون؟ قال: نحن أمة محمد قال: وما محمد؟ قال: رجل من العرب ثم من قريش بعثه الله إلينا رسولاً، واختاره صفياً أميناً، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى

الأمانة، وذكر لنا أن بين أيدينا يوماً تبعث فيه الأموات، ونجازى فيه بالسيئات والحسنات. قال. وكيف أنتم فى اتباعه؟ قال: إنا نسلك فى غير هديه، ونترك كثيراً من أمره. قال : والله يا هذا ما أقول كما تقولون، وما ردّنى كما ترى جلدة على عظم إلا الفكرة فى الموت خاصة وفيما هو، فكيف لو قلت كما تقولون من بعد الموت من الحساب والعقاب والجزاء والثواب؟ ! ما رأيت بأقل عقولاً منكم. ثم دفع إليه ماله وانصرف. حدثنى بهذه الحكاية أبو عمر الشريف رحمه الله. وهذا الكلام الأخير منها فى ذكر الموت وغيره.

٣٦- ولعلك تقول: لو أنى قصرت أملى كما تريده منى وقصر ذلك أمله وذلك أمله وقصر الناس آمالهم وتركوا صناعتهم وأسباب معيشتهم فخربت الأرض وهلك الناس وفسد هذا العالم.

فأقول: نعم صدقت لو قصر الناس آمالهم بحيث يتركون صناعتهم والنظر فى معيشتهم وعمارة دنياهم واجتمعوا على ذلك لكان ما قلت، ولكنهم لا يفعلون، وليس بتقصيرك أنت أملك يقصر الناس آمالهم ولا بذهدك أنت فى الدنيا يزهد الناس كلهم فيها فلا تبكه هذا ولا تشغل نفسك به، ولا يمنعك من تقصير أملك، ولا من زهدك وإصلاح عملك، وعليك نفسك فعنها تُسأل،وبالواجب عليها تطلب، وليس تقصيرك أملك بالذى يمنعك أن تطلب رزقك،فعنها تُسأل، وبالواجب عليها تطلب، وليس تقصيرك أملك بالذى يمنعك أن تطلب رزقك، وأن تشتغل بإصلاح معيشتك وتربية ولدك، إلى غير ذلك من جميع منافعك،بل تقدر أن تجمع بينهما، وذلك أن تنظر-بمعونة الله عزّ وجلّ وتثبيته إياك-سبب معيشتك، فإن كان ما يتكرر كل يوم عملتِ فيه يومك، وأخذت منه قوتك، ولم تعول على أنك تعيش غداً ، بل أصبحت غداً عملت كذلك أيضاً وكذلك إن كان سببها مما يتم بعد أيام كثيرة، أو يكون مما تنظر فيه السنة كلها كالزراعة ونحوها، ما نظرت فيه على كماله ولم تعول على أن تدرك آناته وأن تبلغ وقته، فإن بلغته كان الذى أردت، وإن اخترمتك المنية دونه كان ما عملت منه معونة لغيرك، وتمهيداً لمن يأتى من بعدك، فتقدر أن تعمل السبب الذى تكون فيه معيشتك كما وصفت لك، وتقصر أملك

عن تمامه، سواء كان السبب مما تعمل فيه سنة أو يوماً أو أقل، وكذلك سائر الناس ولو كانوا هكذا لما هلكوا، ولا خربت الأرض، ولا قبر هذا العالم كما قلت، لكنه كان يقــل فرحهم بالدنيا وسعيهم لها واغتباطهم بها، وكانوا يتركون تشييد البنيان وتنقيده وزخرفته وتنحيره، ويدعون التأنق فى ملابسهم ومراكبهم، إلى غير ذلك مــن جميــع أمــورهم، ويختارون من الدنيا ما أمكن، ويأخذون منها ما يتيسر، ويقتصرون على ما يُبَغ ، فتقل تبعتهم، ويهون حسابهم، ويخرجون من الدنيا خفافاً، يقدرون على قطع عقبات الآخــرة، وسلوك طرقها الضيقة، وسبلها طرقها الضيقة، ويسهل عليهم الأمر هنالك، وأما قصــر الأمل حتى تُترك الصناعات وأسباب المعيشة فإنما يصح فى ذلك بعــض الأشــخاص، وفى القليل من الناس، فإنه إن فعل ذلك قاك غيره بمؤونته، ونظر له سواه فى معيشته، سنة الله -عزّ وجلّ- مع المتوكلين، وعادته مع المنقطعين، ويبقى أولئــك مــع آمــالهم والنظر فى أعمالهم، فإن الأمل رحمة من الله تنتظم بها أسباب المعاش، وتستحكم بهــا أمور الناس، ويتقوى به الصانع على صناعته، والعابد على عبادته، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطال، حتى أنسى وألهى وحط عن صالح الأعمال.

٣٧- يروى "أن الله-عزّ وجلّ- لما مسح ظهر آدم فاســتخرج ذريتــه قالــت الملائكة رب لا تسعهم الأرضُ قال تعالى: إنى جاعلُ موتاً. قالت لا يهنيهم العيشُ قال: إنى جاعل أملا".

٣٨- وقال الثورى: "بلغنى أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك ما هناه العيش".

٣٩- ويروى: أن عيسى عليه السلام " كان جالساً وبين يديه شيخ يعمل بمسحاة فى أرض له، فنظر إليه وقال: " اللهم انزع الأمل من قلبه فطرح الشيخ المساحة وقعد. فقال عيسى عليه السلام: اللهم رد عليه أمله فقام الشيخ إلى مساحته ورجع إلى عملــه. فدعاه عيسى عليه السلام فقال: أيها الشيخ لم طرحت مساحتك ثم رجعت إليها ؟ فقــال: يا روح الله بينا أنا أعمل بمسحاتى إذ قلت فى نفسى وإلى متى هذا العمل وإلى متى هذا التعب ولعل الموت يأتينى فى هذه الساعة، فطرحت المسحاة وقعدت، فبينــا أنــا قاعــد

تفكرت فى نفسى وقلت ولعل الموت لا يجيئنى فى هذا الوقت، وأنا أحتاج إلـى قـوت يقيمنى، وغذاء يمسك بنيتى ولابد من العمل، فقمـت إلـى مسـحاتى ورجعـت إلـى عملى"[٥٩].

٤٠- وقال مطرف بن عبد الله: "لو علمت متى أجلى لخشيت ذهاب عقلى ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة عنه ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق"[٦٠].

٤١- وقال الحسن: " الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما مـا مشى المسلمون فى الطرق"[٦١]يريد لو كانوا من التيقظ وقصر الأمل وحـرب المـوت بحيث لا ينظرون فى معايشهم، وما يكون سبباً لحياتهم لهلكـوا وكـذلك أراد مطـرف رحمه الله.

٤٢- ويروى أن الفضل بن فضالة: " سأل ربه أن يرفع عنه الأمل فاستجاب له فترك الأكل والشرب ولم تستقم له عبادة فدعا ربه أن يرد عليه أمله فرُدَّ عليـه فرجـع إلى طعامه وشرابه"[٦٢].

٤٣- وقال سعيد بن عبد الرحمن: " إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها " يريـد أن لقلة عقولهم انصرفت هممهم عن الآخرة وأقبلت على الدنيا فعمروها واشتغلوا بها.

---

[٥٩] انظر الإحياء ٤ / ٤٣٨

[٦٠] الإحياء جـ٤ ص ٤٣٨.

[٦١] الإحياء جـ٤ ص ٤٣٨.

[٦٢] الإحياء جـ٤ ص ٤٣٨ .

واعلم: رحمك الله أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر، وانتظار الموت مع الإكباب عليها غير متيسر، فإن حب الدنيا هو سبب طول الأمل فيها ، والإكباب عليها يمنع من الفكرة في الخروج عنها، والجهل بغوائلها وعواقبها يحمل علي الإرادة لها، والازدياد منها؛ لأن من أحب شيئاً أحب الكون معه والازدياد منه، ومن كان مشغوفاً بالدنيا محباً لها حريصاً عليها قد خدعته بزخرفها وأمالته برونقها وسحرته بزينتها كيف يريد مفارقتها ؟! أو كيف يحب مزايلتها ؟! هذا أمر لم تجر العادةُ به ولا حدثنا عنه. بل تجد من كان علي هذه الصفة أعمى عن طريق الخير، أصم عن داعي الرشد، أهل الرأي، مسيء النظر ، ضعيف الإيمان، لم تترك له الدنيا ما يسمع به ولا ما يري الحقائق بواسطته، إنما دينه وشغله وحديثه دنياه ،لها ينظر ولها يسمع، ولها يعطي، ولها يأخذ، قد ملأت عينه وقلبه وأذنه.

٤٤- فتجده قد طول أمله ومد المسافة بين يديه، فإن كان شاباً قال: أنا صغير الأيام بين يدي دائرة حتي بلغ ستين سنة أو سبعين سنة، وأنا محتاج إلي الزوجة، والزوجة تحتاج إلي كذا وإلي كذا، وإذا كانت الزوجة كان الولد، وكانت البنت، واحتاج الولد إلي كذا وإلي وكذا، واحتاجت البنت أيضاً إلي كذا وإلي كذا، وهذا كله إنما يكون بالمال ، فإن لم يكن لي مال لم أصل إلي مرغوب ، ولم أظفر بمطلوب، فإن قعدت عن الطلب احتجت إلي الناس، وإذا احتجت الناس احْتُقرتُ واستُخفت بي وجُهلَ قدري.

٤٥- كما قال القائل:

والمرء لا يصغر مقداره إلا إذا احتاج إلى الناس

وترى فلاناً قد كسب وجمع، وتزوج وتمتع بالمراد، ووصل إلى ما أراد، وفلان كذلك وفلان كذلك. ولا يقول ترى فلاناً كان شاباً مثلى وأراد ما أردت، وسعى فيما سعيت، فمات قبل أن يصل إلى إرادته، واختُطف قبل أن يحصل على طلباته، ولا يقول ترى فلاناً طلب واجتهد، فلما اجتمع له ما اجتمع سُرق منه أو عُدى عليه فاغتصب، أو عطب فى رجوعه إلى بلده وانصرافه إلى وطنه فمات فى عطبته، وهلك فى نكبته، أو

خرج محروماً مسلوباً فقيراً خسيراً. وترى فلاناً كذلك وفلاناً كذلك إنما يعرض على نفسه ويجرى على خاطره من بلغ إلى إرادته، ووصل إلى أمنيته، لأن ذلك هو الذى غلب على قلبه، وشغف بحديثه، فتراه يسعى ويرغب، ويحرص ويطلب، ويزجر ويكرب، في حدور وصعود، وطلوع وهبوط، آناء الليل وآناء النهار لا يقرُّ به قرار، ولا تضمه في أكثر الأوقات دار، كلما فرغ من شغل أخذ في آخر، فيما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه، بل لا يفرغ من شغل إلا وقد عرضت له أشغال، ولا يصل إلى أمل إلا انبعث له آمال، فيمنى نفسه بالأمنى الباطلة، ويحدثها بالأحاديث الكاذبة، فإن وصل إلا حظ من المال ونصيب وافر من الكسب مما يمكن أن يعيش به عمره كله أو طعن في السن وقيل له فلان أرح نفسك، ودع جسمك، وهذا الذى عندك يكفيك. قال لا تقل هذا يا أخي، الليل والنهار بين يدى ولا يكفيهما قليل، ولن يدوما على آجر إلا أذهبا ما في يديه، وأخذا ما كان عنده، ولا تدرى ما يكون، والآفات كثيرة، والأمراض متوقعة، والحاجة إلى الناس صعبة، ولا سيما مع الكبر ولا سيما إن كان الأهل والولد، فيقيم العذر لنفسه، ويطلب لها الحجة، ويُوجِدُها الدليل، ويصحح لها يزعمه التأويل.

فإن ذُكرَ بالموت أو حُدّث بموت إنسان قال إنا لله وإنا إليه راجعون، والله إنا لفى غفلة، والله إنا لفى غرور، والله إن هذه لمصيبة. لا يدرى الإنسان متى يُخترم، ولا متى يختطف، ولا متى تفجؤه المنية، ويحل به هذه الرزية، وتنزل به هذه المصيبة. هكذا قولاً بلا فعل، وكلاماً بلا نية، ولو كان عن صدق نية وصحة إرادة لظهر ذلك عليه، وبدت مخائله منه.

وربما وعد نفسه ومناها، وطمعها في التوبة ورجاها، وقال لو جئت من هذه السفرة، أو لو بقيت هذه الدار، أو لو جمعت ما كان لى متفرقاً، أو لو جهزت هذه البنت، أو هذا الولد، وأدخلته بيته ونظرت له فيما يعيش لتفرغت للنظر لنفسي، وقدمت ما أجده في رمْسى، وكنت في داري إلى مسجدي، ومن مسجدى إلى داري، لا أنظر في شئ ولا أشتغل بشئ. فإن جاء في سفرته تجهز لغيرها، وإن فرغ من بنيان داره

نظر فيما يصلح لها، وإن جمع ماله نظر فى تفريقه فى الوجه الذى ينميه ويزيد فيــه، وإن جهز ولداً بقى له آخر، وإن لم يكن له أحد قال ما تريده؟ تريد أن آكل ما عنــدى وأرجع إلى ولدى حتى يطعمنى ويكسونى ويعولنى؟! لا يكون هذا أبــداً، المــوت فــى القفار ولجج البحار أهون على من هذا. فهو هكذا أبداً لا مع المال ولا داون المال، ولا مع الولد ولا داون الولد، يحدث الناس عن الأموات ولا يحدث نفسه بأنه يموت، ويشيع جنائزهم ولا يتخيل أن جنازته تشيع، ويقدر العيش الطويل ولا يقدر بأنه يموت، ويشيع جنائزهم ولا يتخيل أن جنازته تشيع، ويقدر العيش الطويل ولا يقدر الموت القريب، قد غلب عليه السهو، وأطبقه الجهل، ومدت عليه الغفلة طرق الإنابة، وصرفت عن أسباب الفكرة وكم رأى من إنسان قد أعدَّ ثوباً ليلبسه فكان كفنه، وكم رأى ممــن يبنــى داراً ليسكنها فكانت قبره، وكم رأى من آخر كان يحب الولد ويشتهيه، ويتضرع إلــى الله – عزّ وجلّ – ويرغب إليه فيه، فلما أُعطيه ومنَّ عليه به جمع عليه الرجال، وأنفق عليــه الأموال، وقال العقيقة سنة، والنفقة فيها حسنة، وربما كانت نفقته إلى الإسراف أقــرب، وإلى التبذير أميل، وربما كانت نفقته للمناكير وسلما لبعض المعاصى، على رؤية منــه ومشاهدة لذلك، كما جرت العادة فى الأعزام والولائم والاجتماعات، فيجعل الإســراف شكراً لتلك النعمة والمعصية جزاءً لتلك المنة ، ولعل الولد يموت بعد ذلــك بأيــام ، أو بأشهر أو بأعوام ، أو يعيش فيرى فيــه مــن الأراض والأســقام ، وأنــواع الابــتلاء والامتحان ، ما يود معه أنه هو لم يكن ، فكيف ولده ؟!

هذا أمر مشاهد بالعيان وموجود بالبرهان ولعله إن شب وبلغ فيه الأمل، ورأى له من العمر ذاك الذى كان يؤمل، صار له أعداء، وكان منه أبعد البعداء ، كما قد سمع بجماعة قتلهم أولادهم ليستعجلوا ميراثهم، أو لينتهى إليهم ملك بعدهم ، ونعوذ بالله مــن أمر لا يستخار الله فيه، ولا يرد إليه عند تمنيه .

وكذلك: إن كان صاحب تجارة فى سوقه وملتزماً فى دكانه، إنمــا هــو مــن الحانوت إلى الدار ومن الدار إلى الحانوت، من الصباح إلى الصباح، ومن البكرة إلــى

آخر الرواح ،وإن كان ممن يصلى فى السحر ويكثر التعاهد له ما يخلو فيه مع ربـــه، ويتنصل من ذنبه، إنما هو فى الحديث مع فلان والضحك مع فلان، والسؤال عن أحوال الإخوان، وما جرى فى البلدان وما انفق فى القديم من الأزمان وربما أخرجه ذلك إلـــى الغيبة وكثير من البهتان، وكذلك صاحب الصنعة .

والضعيف من الحرفة إنما هو فى كد وعناء وتعب وشقاء ونصب وبلاء كـــده وجهده ولذته وأمنيته أن يكسو ظهره، ويشبع بطنه، أو يقوم على عيال أو يغدو أطفـــالاً مع شكائه لربه، وتسخط لحكمه، وتبرم بقضائه وقلة صبر على بلائه ولا يحدث نفســـه بموت، ولا يخطر بباله زوال، ولعله إن ذكر الموت إنما يذكره متمنياً ليريحه من ذلـــك العذاب العاجل الذى عذب به وذلك البلاء النازل الذى نزل عليه وشغله مـــا لقـــى فـــى الحال عن النظر فى المال وعن التزود من صالح الأعمـــال فـــلا مـــن أبنـــاء الـــدنيا المنعمين، ولا من طلابها المدركين، ولا مع الصابرين الراضين الحامدين الشاكرين .

[illegible] يموت على ما هو عليه ثم يبقى في البرزخ على ما كان عليه ثم يبعث على [illegible] عليه في البرزخ أو تتغمده الرحمة وتتغشاه المنة فينقذه ربه تعالى من [illegible] ويأخذ بيده في هذه المهلكات ويجعل له نورا يمشي به في الظلمات على [illegible]

[illegible] من أول عمره إلى آخره [illegible]

تنال فى الحال وأخرى تنتظر فى المال كلما نال لذة سعى فى أخرى وكلما وصل إلــى مطلوب نظر فى غيره لم يصحب إلا شكله ولم يسمع إلا قوله ولا رأي إلا عمله وفعله فإن ذكر بالتوبة أو خوف بالموت قال دعنا من هذا وحدثنا فى غير هذا هــذه ســنوات الصبا وأيام الشباب ومنازل اللذات ومرتع الأحباب .

يقول وإذا كبرت تبت والطلق ممتد والميدان عريض ولا يرى هذا أنه قد شيع إلى الآخرة من كان أصغر منه ميتاً وأحدث بالرحم منه عمرا قد عزته الشيبة وخدعته الصحة وتمكنت منه الغرة بما عنده من الثروة والقوة يقول أنا صحيح ومتــى أمــرض ومتى أموت ولا يرى المسكين أن الموت فى الشباب أكثر وحادثة إليهم فيه أسرع وإن الإنسان يموت بغتة وإن لم يمت بغتة لمرض بغتة ثم مات .

٤٧- كما يروى إن الحسن قيل له إن فلاناً مات بغتة فقال: " ما يعجــبكم مــن ذلك لو لم يمت بغتة لمرض بغتة ثم مات".

أما يعلم هذا البائس أن الأرض كلها مكان للموت وان الزمان كله وقت للمــوت فلا يختص بمكان من الأرض دون مكان ولا من العمر بوقت دون وقت فلا يزال هــذا المغرور مكباً على شهوته مثابرا على لذته غافلا عن يوم صرعته حتى يؤخــذها بمــا تأخر وما تقدم صريعا لليدين وللفم إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم تبكيه بواك طالما من حبها أبكته وتندبه نوادب طالما قبل ذلك غنته .

٤٨- وفى مثل ذلك قيل :

تندبه نادية طال ما غنته من قبل وغنى لها
ولم يكن يخطر ذا باله ولم يكن يخطر ذا بالها

فانظر رحمك الله كيف يقصر مع هذه الأحوال أمل، أو يستقيم معها عمــل، أو كيف يطمع مع هذه المواقع أن يخرج حب الدنيا من القلب، أو تنقطــع علائقهــا عــن

النفس، أو يخطر بالخاطر ذكر الموت، كلاً حب الدنيا فى القلب أرسخ، وإخراجها منـــه أصعب، والنفس إليها أميل، وهى بها أشغف، وفى طلبها أهلك وأتلف، وعـــن طريـــق الرشد أبعد وأصرف، وإن حب الدنيا هو الداء العضال الذى أهلك الرجال، وأفسد كثيراً من الأعمال، إلا أن تأتى العناية الإلهية، والشفاعة الربانية، فتصرف الإنسان إلى النظر الصحيح، وتحمله على الطريق المستقيم، فيرى بعين الحقيقة وصيحيح البصيرة أنه لابُدَّ من الموت وإن طال المدى وامتد الطلق وبعدت الغاية، وأنه سيصير تحت أطباق الثرى ، ويرمى به فى ظلمات الأرض، ويسلط الدود على جسده، والهوام على بدنه، فتأخـــذه من قرنه إلى قدمه، قد عدم الطبيب وأسلمه الحبيب، وتركه الولى والقريـــب، وعـــرض عليه عذاب السعير، وأتاه منكر ونكير، ولم يجد هنالك أنيساً إلا عمله، ولا صـــاحباً إلا فعله الذى فعله.

٤٩- وأما الدنيا: فينظر إليها فإن كان ملكاً نظر على من تقدمه مـــن الملـــوك وماذا فعل الدهر بهم، كيف فرق جموعهم، وشتت جميعهم، وأفقر قصورهم، وعمـــرهم حفرهم وقبورهم، وينظر إلى أيام ملكه هل يخلو من عدو يكابره، أو منازع يكابـــده، أو قتال يكافحه، أو مرض يهجم عليه، أو خلط سوء سثور معه، وأنه كما قيل تمره يخمر، وإن نال لذة تجرع بعدها غصة، وإن أتته فرحة غشيته ترحة، بل ربما كانت الترحـــات أكثر من الفرحات، والداهية أكثر من الصافية، وكلما عظم ملكه،عظمت همتـــه وامتـــد أمله، وأراد مالا يمكن،وطلب مالا يجد،وقد يأتيه النكد من حيث لا يظن، ويدخل معـــه الهم من حيث لايحتسب يحتسب،ولو من جارية يحبها وامرأة يشـــغف بهـــا، فيجعلهـــا قبلته،ويصفى لهامودته، ويخلص لها محبته، ويريد منها مثل ذلك والقلوب قـــد تتنـــافر، والمزاج ربما يختلف، والطباع قد لا تتفق، فيرى منها خلاف الذى يريد، ويجد عنـــدها غير الذى يطلب، ولا يقدر على معاقبتها، فإنه إن عاقبها إنما يعاقب نفسه، وإن آلمهـــا إنما يؤلم قلبه، فتجده يتحمل منها ما لا يتحمله منه بعضُ رعيته، فبينا هو ملك إذا صار مملوكاً، وبينا هو رئيس قد عاد مرؤوساً، كما قد سُمع وتُحقق عن بعض الملوك حتـــى قال أمير المؤمنين هارون الرشيد وقصته مشهورة.

وقد تكون صادقة فى محبتها مخلصة فى مودتها فيتهمهـا فـى ودادهـا، ولا يصدقها فى إخلاصها، لشدة كلفه بها وفرط محبته لها، لأنه يتخيل أن عيشه لا يطيـب وسروره لا يتم وفرحه لا يكون إلا بأن تخلص له المودة من قبلها، وتحبـه مـن ذات نفسها، وقد تكون له كما يريد فيخلع عنانه معها ويستوى سروره به، فيصيـب فيهـا بمرض أو يفجع فيها بموت، فيعود الفرح حزناً والسرور مأتماً.

٥٠ – كما روى فى قصة: " أن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين كان مشغوفاً بجارية ياق لها حبابة كانت قد ملأت قلبه وأطاشت عقله وأذهبت لبه، ونزلت من نفسه حيث أرادت وحلت منه بالمحل الذى شاءت، وكان قد نزل منها بالمكان الـذى نزلـت منه، فقال يوماً لحاجبه: لا تأذن اليوم علىّ لأحد ولا تخبرنى بخبر ولو كان فيه ذهـاب ملكى. وخلا بجاريته تلك فى مجلس أنسه ومقام سروره ومعه من الدنيا ما يكون مـع مثله، فبينما هما على ما اشتهيا إذ أخذت حبة رمان فأدخلتها فـى فيهـا فشـرقت بهـا فتخبطت حتى خرجت روحها بين يديه، فلا تسأل عن حال يزيد وما طرأ عليه وما حل به. فقد الصبر والعقل وتوله وتحير وتدله،وأكثر الصراخ والبكاء والصـياح والعجـيج والضجيج، ومنع من دفنها وصد عن مواراتها وأقامت على ذلك أياماً حتـى تغيـرت وتنتنت، فاجتمع إليه بنو أمية وعزوه فيها وصبروه عليها وسألوه فى دفنها وقالوا له: يا أمير المؤمنين هذه فضيحة بنا، وسبة علينا وأى فائدة لك فى تركها وكم عسى أن تبقى على هذه الحالة وكم عسى أن تدوم على هذه الصفة. ولم يزالوا به، وكلمه النساء ممـن يكرم أهله وسراريه، إلى أن أمر بدفنها وخرج فى جبانتها على رجليه ولما دفنت تمثل على قبرها ببيت جنبها :

وكل خليل رآنى فهو قائل من أجلك   هذاها مت اليوم أو غد

ثم أخرجها من قبرها بعد شهر وجعل يعانقها ويقبلها فاجتمع عليه أهله وبنو عمه مـن بنى أمية وقالوا : ما هذا يا أمير المؤمنين والله لمن سمع بهـذا لـتخلص مـن ملـك

ولينتقص عليك أمرك وليقومن فى مقامك غيرك فأقصر عن ذلك الهيام وسكن من ذلك. يم ثم يزل واجباً عليها محزوناً بموتها إلى أن مات ولم يعش بعدها إلا يسيراً، وغيـره كذلك وغيره وغيره.

٥١- قال أبو حامد رحمه الله: " اعلم أن شدة الألم فـى سـكرات المـوت لا يعرفها على الحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقيـاس علـى الآلام التى أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع على شدة ما هم فيه فأما القيـاس الذى يشهد له هو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح أحـس، فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الـروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم والمؤلم إذا لم يتفرق على اللحم وسائر الأجـزاء فـلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإذا كان فى الألم ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيـره فما أعظم ذلك الألم وما أشده. والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجده فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضـع الذى أصابته الشوكة، وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغـوص فـى سـائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحرق ظاهراً ولا باطناً إلا وتصـيبه النـار، فتحس به الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم، وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذى يمسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجروح دون ألم النار. فألم النزع يهجم علي نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كـل عـرق مـن العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصـل كل شعرة وبشرة من القرن إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا: إن المـوت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض، لأن قطع البدن بالسـيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الـروح، وإنمـا يسـتغيث المضروب ويصيح لبقاء قوة فى قلبه وفى لسانه، وإنما انقطع على كل موضع منه فَهَدَّ كل جزء وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غَشِيَهُ وَشَوَّشَـهُ

وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد أضعفها ويَود أن لو قــدر علــى الاســتراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عنــد نزع الروح وجذبه خواراً وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه وارْبَدّ حتى كأنــه ظهر منه التراب الذى هو أصل خلقته، وقد جُذب منه كل عرق علــى حيالــه فــالألم منتشر فى داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى جفونه، ويقلص اللسان إلــى أصله، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما وتحضَر أنامله، فلا تسأل عن بدن يُجــذَبُ منه كل عرق من عروقه، ولو كان المجذوب عرقا واحداً لكان ألمــاً عظيمــاً فكيــف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من العروق كلها، ثم يمــوت كــل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعــد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحقوم، فعند ذلك ينقطع نظــره عــن الــدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الندامة والحسرة"[١٣].

وكان على رضى الله عنه يحض على القتال ويقول: " إن لم تقُتلوا تموتوا والذى نفــس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش" [١٤].

---

[١٣] الإحياء حــ٤ ص ٤٤٥ – ٤٤٦ .

[١٤] انظر نهج البلاغة " الإمام على بن أبى طالب شرح الشيخ محمــد عبــده ص ٢٨٩ . وتمام قول على رضى الله عنه " وأى امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جــأش عند اللقاء ورأى من أحد من اخوانه فشلا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التى فضل بهــا عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل والذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضــربه بالسيف أهون علىّ من ميته على الفراش ...... وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة ... وإن الفار لغير مزيد فى عمره ولا محجوز بينه وبين يوم الرائح إلى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت أطراف العوالى اليوم تبلى الأخبار .

٥٥-وقال شداد بن أوس:" الموت أفظع من هول فى الدنيا والآخرة على المـؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشـر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ماانتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم" [٦٥].

٥٦- ودخل الحسن البصرى رحمه الله – على رجل فوجده فى سكرات الموت فنظر إليه وقال إن أمراً هذا أوله ينبغى أن يُتَّقَى آخره وإن أمراً هذا أخـره ينبغـى أن يُزهد فى أوله" .

٥٧- ويروى أن النبيﷺ كان عنده قدح من ماء عندما نزل به الموت فجعل يدخل يده فى القدح ثم يمسح بها وجهه ويقول: اللهم أعنى على سكرات الموت ويروى: اللهم هون علىّ سكرات الموت، ويروى: فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهـه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، وفاطمة ابنته رضى الله عنها تقول: واكربـاه لكربك يا ابتاه وهو يقول: " لا كرب علـى أبيـك بعـد اليـوم" ذكـره البخـارى[٦٦] والنسائى[٦٧] وغيرهما[٦٨] ذكر كل واحد منهما شيئاً لم يذكره صاحبه.

٥٨- وعن عيسى عليه السلام أنه قال: "يا معشر الحواريين ادعوا الله لـى أن يهون علىهذه السكرة يعنى – الموت – فقد خفت الموت مخافة أوقفنـى خـوفى مـن الموت على الموت [٦٩].

([٦٥]) انظر الإحياء حـ٤ ص ٤٤٧ .
([٦٦]) فى كتاب المغازى حـ٦ رقم ٤٤٦٢.
([٦٧]) ٤ / ٤٨
([٦٨]) أخرجه الترمذى ٣ / ٣٩٩ ، وابن حبان فى صحيحه ٨ / ٢١٠ والبغوى فى شرح السنة ٤٤/١٤ .
([٦٩]) ذكر فى الإحياء للغزالى حـ ٤ ص ٤٤٦ وذكر الغزالى فى ذلك قول الرسول ص اللهم هون على محمد سكرات الموت .

وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال: " إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شئ لم يبلغه بعلمه شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً فى الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار [٧٠].

٥٩- وكان عمرو بن العاص رحمه الله يقول: " لوددت أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت فلما نزل به الموت قيل له: يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فاخبرنا عنه فقال: أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسى تخرج على قدر ثقب إبرة [٧١]"

٦٠- ويروى عن مكحول عن النبىﷺ أنه قال: " لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله لأن فى كل شعرة من الميت الموت ولا يقع الموت على شئ إلا مات "[٧٢]

٦٣- وعن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله - عز وجل - قال له : ياموسى كيف وجدت الموت ؟ قال: " وجدت نفسى كالعصفور وحين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير " [٧٣].

([٧٠]) انظر الإحياء حـ٤ ص ٤٤٧ .

([٧١]) انظر الإحياء حـ٤ ص ٤٤٧ .

([٧٢]) انظر المغنى عن حمل الاسفار ٤٤٧/٤. ٦- انظر الاحياء ٤ / ٤٤٧.

([٧٣]) الاحياء حـ٤ ص ٤٤٧.

٦٤- ويروى عنه أنه قال : " وجدت نفسى كشاة حية بيد "القصّاب تسلخ " (٧٤).

٦٥- وقال عمر لكعب الأحبار: " يا كعب حدثنا عن الموت فقال: نعم يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى" (٧٥).

٦٦- وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده من حديث جابر بن عبد الله عن النبىﷺ قال: " تحدثوا عن بنى اسرائيل فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر خلا شئ من بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلىَّ فو الله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت".

وأما مشاهدة صورة ملك الموت وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع فهو أمر لا يُعبَّر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتبدى له ويطَّلع عليه وإنما هى أمثال تضرب وحكايات تحكى .

٦٨- يروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال: " لملك الموت: ﷺ هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر قال: لا تطيق ذلك قال: بلى، قال: فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومنخاره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورتك وقباحة وجهك لكان ذلك حسبه "(٧٦)

---

(٧٤) الاحياء حـ٤ ص ٤٤٧ .

(٧٥) الاحياء ٤ / ٤٤٨ .

(٧٦) الاحياء ٤ / ٤٤٨ .

٦٩- ونظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون علـــى ميــت فقـــال : " لـــو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إن ميتكم نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رآه ومرارة الموت قد ذاقها وخوف الخاتمة قد أمنها ".

٧٤- ويروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه" أنه مرض فقالوا لـــه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال: قد رآنى، فقالوا: وأى شئ قال لك ؟ فقال: قال لى: إنى فعال لما أريد "[٧٧].

٧٥- ومرض أبو الدرداء رضى الله عنه " فقالوا له أى شئ تشـــتهى ؟ فقـــال الجنة: فقالوا: أندعوا لك طبيباً ؟ قال: الطبيب أمرضنى. فقال له رجل من أصحابه: يا أبا الدرداء أتشتهى أن أساهرك الليلة؟ فقال له أبو الدرداء: أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعنى أن أنام أسأل الله الذى لا إله إلا هـــو أن [illegible] لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء الصبر".

٧٦- [illegible] مرض عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه [illegible] بطبيب [illegible]

٧٧- ومرض الربيع بن خيثم " فقالوا له: ألا ندعو لك طبيباً فتفكر فقال: إن عاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً قد كانت فيهم الأدواء وكانت فيهم الأطباء فلا أرى المداوين تقى ولا المداوى كل قد فنى ومض والله لا أدعو لى طبيباً أبدا ".

٧٨- وذكر ابن جهضم فى كتابه عن أبى يعقوب يوسف بن أحمد قال: " خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعى جماعة فقراء وفيهم شاب كنت أميل إليه لحسن سمته ومراعاة حاله واشتهاره بذكر ربه وكثرة مناجاته وتملقه ، فلما وصلنا لمدينة شرفها الله مرض مرضاً شديداً وانفرد عنا فسرت إليه مع جماعة

أصحابنا نتعرف خبره فلما رأينا شدة ما به قال بعضنا: لو أحضرنا طبيباً ينظر إليه ويرى علته فلعله يكون عنده دواؤه فسمع الشاب مقالته فتبسم من ذلك وقال: يا مشايخى ويا أحباتى ما أقبح المخالفة بعد الموافقة من أراد الله له حالاً وأراج هو غيرها أليس قد خالف الله فى إرادته. قال أبو يعقوب: فخجلنا من كلامه فنظر إلينا وقال: لو عرفتم داء القتيل لطلبتم لدائه دواء إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير وداء القتيل مشاهدة اليقين وموافقة الهوى". قال فقمنا من عنده وتركناه ". يريد بقوله "داء القتيل" الداء الذى يقتل صاحبه.

٨١- ودخل الحسن البصرى رحمه الله " على عطاء السلمى يعوده وهو مريض فوجده قد علاه الغبار والصبار فقال: يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار فكان يضربك الهوار فيجد له راحة فقال له: يا أبا سعيد وبهذا تأمرنى والله إنى لأستحى من الله-عز وجل-أن أخطو خطوة فى راحة بدنى ".

٨٢- وقال منصور: " دخلت على عطاء السلمى بعد هذا أعوده وهو مريض فرأيته يتبسم فعجبت من ذلك، فكأنه فهم عنى فقال: أتعجب يا ابن أخى ؟ فقلت وكيف لا

أعجب فقال وكيف لا أضحك وقد دنا فراقى ممن كنت أخافه وأحذره[٧٩]، ودنا قــدومى على من كنت أرجوه وأؤمله[٨٠] أتجعل مقامى مع مخلوق أخافه كقدومى علــى خــالق أرجوه قال هذا قبل أن يحتضر وينزل به الموت".

٨٣-وقال أحمد بن أبى الحوارى "دخلت على بعض المتعبدين وهومريض فقلت كيف تجدك فقال: بحال شريفة أسيرٌ كريم حبيس جوارحه مع أعوان

صدق والله لو لم يكن بى مما ترون عوضاً إلا ما أُودعُ قلبى من محبته لكنت خليقا أن أدوم على الرضا عنه، وما الدنيا وما غاية البلاء فيها؟ هل هو إلا مــا تــرون من هذه العلة ويوشك إن اشتدّ بى الأمر أن ترحلنى إلى سرر ولنعمت العلة علة رحلت بمُحِبٍّ إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه"[٨١]

٨٤- ويروى أن مالك بن دينار رحمه الله " دخل على شاب يعوده فوجده خيــالاً على فراشه كالشن[٨٢] البالى فسأله عن حاله فلم يستطع الجواب بلسانه وأشار بطرفــه فبينما نحن كذلك وإذا نحن بصوت المؤذن فسمعناه يقول مثل ما يقول المؤذن ويشــير بأصبعه عند الشهادتين ثم أمر والده يوضأه ثم أمره أن يوجهه إلى القبلة ليصلى راقــداً

([٧٩]) أى فراق الدنيا وما فيها.

([٨٠]) وهو لقاء الله.

([٨١]) إن ما أودع فى قلبه من محبة الله كان عوضا له عن المــرض والــبلاء وكافيــا لرضاه عن الله فإن غاية الدنيا هو ما فيها من بلاء ومرض وشدة ينقله بــالموت إلــى سرور ونعيم بلقاء الله فإن أنعم العلل ما تنقل المحب لله تعالى إلى حبيبه الــذى أحزنــه طول التخلف عنه.

([٨٢])الشن القربة البالية .

بالإيماء[٨٣] ثم قال:يا مالك. راحة مع بقاء الإيمان، يا مالك نِعَمُهُ لا تُعَدُّ وبلاؤه واحــدُ. قال مالك: فعجبت من يقينه وصبره وصدق وفائه وخالص محبته، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله".

٨٦- ولما احتضر أبو بكر الصديق رضى الله عنه " جاءت ابنتــه عائشــة أم المؤمنين رضى الله عنها فلما رأته تمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يُغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف أبو بكر عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولى: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)[٨٤](ق: ١٩) ثم قال: فى كم كفن رسول الله ﷺ ؟ قالــت: فــى

([٨٣]) **صلاة المريض راقداً بالإيماء،** جاء فى كتب الفقه على صلاة المريض من حصل له عذر من مرض ونحوه لا يستطيع معه القيام فى الفرض يجوز له أن يصــلى قاعداً فإن لم يستطع القعود صلى على جنبه يومئ بالركوع والسجود ويجعل ســجوده أخفض من ركوعه. كقوله تعالى " فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم" عن عمران بن حصين قال: كانت لى بواسير فسألت النبى ﷺ عن الصلاة فقال: "صلى قائماً فإن لــم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعل جنبك"

رواه الجماعة إلا مسلما، وزاد النسائى، فإن لم تستطع فمستلقيا. " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وعن جابر قال: عاد النبى صلى الله عليه وسلم مريضا فــرآه يصــلى علــى وساده فرمى بها وقال: "صلى على الأرض إن استطعت، وإلا فأومئ إيمــاء واجعــل سجودك أخفض من ركوعك " رواه البيهقى وصح أبو حاتم وقفه، والمعتبر فــى عــدم الاستطاعة هو المشقة أو صرف زيادة المرض أو بطئــه أو خــوف دوران الــرأس. وصفة الجلوس الذى هو بدل القيام أن يجلس متربعا. فعن عائشة قال رأيت النبى صلى يصلى متربعا ، رواه النسائى وصححه الحاكم ويجوز أن يجلس كجلوس التشهد ، وأما صفة صلاة من عجز عن القيام والقعود فقيل أيضا على جنبه (انظر فقه السنه السيد سابق جــ١ ص ٢٣٤.)

ثلاثة أثواب بيض سحولية فقال أبو بكر: خذوا هذا الثوب ثوب كان عليه قد أصابه شق أو زعفران فاغسلوه ثم كفنونى فيه مع ثوبين آخرين خلقا[٨٥] فقال عائشة: ما هذا تريد أنه خلق . فقال أبو بكر: الحى أحوج إلى الجديد من الميت وإنما هـذه للمهلـة يريـد للصديد[٨٦].

([٨٤]) سكرة الموت أى شدته التى تذهب العقول وتذهل الفطن قال الزمخشـرى الباء فى بالحق للتعدية وتعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذى أنطق الله بـه كتبه وبعث به رسله، أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشـقاوته، وقيـل الحق الذى خلق له الإنسان أن كل نفس ذائقة الموت. ويجوز أن تكون الباء مثلها فـى قوله – تنبت بالدهن – أى جاءت ملتبسه بالحق أى بحقيقة الأمر، أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى: (خلق السماوات والأرض بالحق) والباء للتعديـة لأنهـا سـبب زهوق الروح لشدتها أو لأن الموت يعقبها فكأنها جاءت به، ويجوز أن يكون المعنـى: جاءت ومعها الموت. الكشاف حـ٤ ص ٧.

([٨٥]) الثوب الخلق البالى. انظر المنجد.

([٨٦])أخرجه البخارى فى الجنائز حـ٣ ص ٢٥٢ رقم ١٣٨٧ ونـص الحـديث عن عائشة رضى الله عنها قالت " دخلت على أبى بكر رضى الله عنه فقال: " فى كـم كفنتم النبى صلى ، قال فى ثلاثة أثواب بيض سحوليه ليس فيها قمـيص ولا عمامـة. وقال لها: فى أى يوم توفى رسول الله صلى ؟ قالت: يوم الإثنين. قال: فأى يوم هـذا ؟ قالت: يوم الإثنين. قال: أرجو فيما بينى وبين الليل. فنظر إلى ثوب عليه كان يُمـرَّض فيه، به ردع من زعفران فقال: اغسلوا ثوبى هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنـونى فيهمـا. قلت إن هذا خلق. قال : إن الحى أحق بالجديد من الميت ، إنما هو للمهلة فلـم يتـوفَّ حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح ".

قال القاضى عياض فى " المهلة " روى بضم الميم وفتحها وكسرها. وقال ابن حبيب ؛ هو بالكسر الصديد وبالفتح التمهل، وبالضم عكر الزيـت. والمـراد هنـا

٨٧- ويروى عن سعيد ابن المسيب أنه قال: " لما احتضر أبو بكر الصديق رضى الله عنه أتاه ناس من أصحابه فقالوا له: يا خليفة رسول الله ﷺ إنا نراك لما بك فأوصنا منك بوصية وزودنا منك بموعظة. فقال: من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه فى الأفق المبين قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع بين يدى العرض فيه رياض وأشجار وأنهارفمن قال هذا القول جلعه الله فى ذلك المكان: اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم، ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير ، فأجعلنى للنعيم ولا تجعلنى للسعير(٨٧)، اللهم إنك خلقتهم وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا" و سعيدا"(٨٨) و غويا" و رشيدا" فلا تشقنى بمعاصيك، اللهم إنك علمت بما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك ، اللهم إن أحدا" لا يشاء حتى تشاء (٨٩) فاجعل مشيئتى أن أشاء ما يقربنى إليك، اللهم إنك

الصديد، ويحتمل أن يكون المراد بقوله "إنما هو" أى الجديد ، وأن يكون المراد " بالمهلة " على هذا التمهل أى أن الجديد لمن يريد البقاء ، والأول أظهر. ص ٢٥٤ فتح البارى حـ٣.

(٨٧) قال تعالى: " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير " سورة الشورى " ٧.

(٨٨) قال تعالى: " يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد. فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق. خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ " هود آية ١٠٥ - ١٠٨.

(٨٩) ان كان للعبد مشيئه فمشيئته تابعة لمشيئة الله ، ولا قدرة له على أن يشاء شيئا إلا إذا كان الله قد شاءه، كما قال تعالى: " لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن

قدرت حركات العباد[٩٠] فلا يتحرك شئ إلا بإذنك فأجعل حركاتى فى تقـواك ، اللهـم إنك خلقت الخير والشر[٩١] وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلنى من خير القسمين، اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منها أهلاً فاجعلنى من ساكنى جنتك، اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدرى للإيمان وزينه فى قلبى، اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحينى حياة طيبة وقربنى إليك زلفى، اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه فى غيرك فإن ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال أبو بكر: وهذا كله فى كتاب الله – عز وجل .

١٠٥– ويروى عن عبد الملك بن مروان" أنه لما حضره الموت نظر من موضع له مشرف إلى رجل وبيده ثوب يضرب به المغسلة فقال: يا ليتنى كنت مثل هذا الرجل أعيش من كسب يدى يوماً بيوم ولم ألِ من هذا الأمر شيئاً" [٩٢].

يشاء الله رب العالمين" وقال تعالى: " وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليمـا حكيماً. الدهر ٣٠. والمشيئة أى الإرادة الحرة، فإرادة الإنسان الحرة مرادة له من الله.

(٩٠) الذى عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شئ بقضاء الله وقدره وأن الله تعـالى خالق أفعال العباد " وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشـاؤه، ولا يرضـاه ولا يحبه، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا وخالف فى ذلك القدرية والمعتزلة " انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٧. وقال المعتزلة أن فعل العبد له بقدرة أعطاها الله للعبد.

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أخبرنا رسول الله ص وهـو الصـادق المصدوق: " أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليله، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغه مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك، قال فيؤمر بأربع كلمات : يقال: أكتب أجله، ورزقه، وعمله، وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح " رواه البخارى فى بدء الخلق أنبيـاء ١. قدر ١.

(٩١) كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينـا ترجعـون " سـورة الأنبياء ٣٥.

(٩٢) الإحياء جـ٤ ص ٤٦٥.

١٠٦- وقاله له رجل: كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: أجدنى كما قال الله تعالى: (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهـــوركم) [٩٣] [الأنعام:٩٤].

١٠٧- ولما نزل الموت بهشام بن عبد الملك أمير المؤمنين نظـــر إلـــى أولاده وأهله يبكون حوله فقال لهم:" جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم هشام ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب ، ما أعظم منقلب هشام وأسوأه إن لم يغفر الله له".

١٠٨- وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ينتقى أكفانه بيده قريباً مـــن موتـــه وينظر إليها ويقول: (ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) [٩٤] [الحاقة : ٢٨- ٢٩].

([٩٣]) الإحياء حـــ٤ ص ٤٦٥ والمراد بقوله تعالى "ولقد جئتمونا فرادى " التقريع والتوبيخ وذلك لأنهم صرفوا جدهم وجهدهم فى الدنيا إلى تحصيل المال والجاه، وأنهم عبدوا الأصنام لاعتقادهم أنها تكون شفعاء لهم عند الله ثم أنهم لما جاءوا يوم القيامة لم يبق معهم شئ من تلك الأموال ولم يجدوا من تلك الأصنام شفاعة لهم عند الله تعالى فبقوا فرادى عن كل ماحصلوه فى الدنيا وعولوا عليه.

وقوله تعالى:" وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم " يدل على أن كل مال يكتسبه الإنسان ولم يصرفه فى مصارف الخيرات فصفته أن تترك وراء ظهره فى الآخرة أما إذا صرفها فيما أمر الله تعالى والشفقة على خلق الله فما ترك تلك الأموال وراء ظهـــره ولكن قدمها تلقاء وجهه كما قال تعالى : " وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله " البقرة ١١٠. التفسير الكبير الرازى حـــ١٢ ص ٤٤٣. مجلد ٦ سورة الأنعام.

١٠٩- ومثل هذا يروى عن أبى شجاع فناخسرو ابن عضد الدولة: أنه لما نزل به الموت لم يسمع منه إلا قوله: (ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) [٩٥] [الحاقة: ٢٨-٢٩].

وقد ورد فى طول الأمد وذمه وفى التحريض على العمل والترغيب فيه ما فى بعضه الكفاية وما يقل منه يوصل إلى المقصود مع عون الله-عزّ وجلّ-قال الله تبارك وتعالى:(ذَرْهُم يَأكلُوا ويَتمتعُوا ويُلهِهِمُ الأملُ فَسوْفَ يعلّمون)[٩٦] الحجر:٣

١٢٨- وقال عليه السلام: "لا يزال قلب الشيخ شاباً فى اثنتين حب الدنيا وطول الأمل" ذكره البخارى ومسلم[٩٧]وغيرهما.

([٩٤]) قال الرازى فى قوله تعالى "هلك عنى سلطانية" المراد بسلطانية وجهان: أى ضلت عن محبتى التى كنت احتج بها على محمد فى الدنيا. وهو قول ابن عبـــاس. وقال مقاتل أى ضلت عن حجتى يعنى حين شهدت عليه الجوارح بالشرك.

١- بمعنى: ذهب ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً، وقيل معناه : إننى إنما كنت أنازع المحقين بسبب الملك والسلطان ، فالآن ذهب ذلك الملك وبقـــى الوبال. التفسير الكبير حــ٣٠ ص ٧٠٢ مجلد ١٥.

([٩٥]) الإحياء حــ٤ ص ٤٦٥.

([٩٦]) المعنى كما جاء فى تفسير الرازى، دع الكفار يأخذوا حظوظهم مــن دنيــاهم فتلك أخلاقهم ولا خلاق لهم فى الآخرة، وقوله تعالى " ويلههـــم الأمـــل" أى أن الأمـــل شغلهم عن الأخذ بحظهم شغلهم عن الإيمان والطاعة، وهذا معناه أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدى إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين حــ١٨ ص ٣٨٣ مجلد ٩.

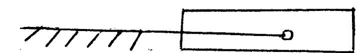
١٢٩- وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عبد الله بن مسعود قـال: " خط لنا رسول الله ρ خطاً مربعاً فقال: هذا الأجل وخط فى وسطه خطـاً وقـال هـذا الإنسان وخط فى عرضه يعنى فى جانبه خطوطاً فقال هذه الأعراض وخـط خارجـاً فقال هذا الأمل[٩٨] قال فالأعراض تنهشه وعينه إلى الأمل " يريـد عليـه السـلام أن الإنسان قد أحاط به أجله وأنه دائر به فحيث ما توجه لقيه وأن محـن الـدنيا وفتنتهـا تعترضه وتنهشه وتتلقاه وتستقبله وهو مع ذلك بعيد الأمل مصروف البصر إليه.

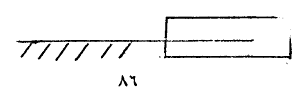
---

(٩٧) البخارى حـ١١ رقم ٤٦٢ ، ومسلم رقـم ١١٥ / ١٠٤٦ فـى كتـاب الزكاة.

(٩٨) جاء فى فتح البارى ص ٢٣٧ حـ١١ قيل هذه صفة الخط.

وقيل صفته





باب ما يستحب من أحوال الميت عند الموت وفى الشهادتين للمسلم وما يستحب للمسلم من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى عند الموت

اعلم رحمك الله أن المحبوب من حال الميت عند الموت أن يكون يعلوه الهدوء والسكون ومن لسانه الكلام بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى[٩٩].

١٣٣- وذكر الترمذى من حديث بريدة بن حصيب عن النبى ﷺ قال: " المؤمن يموت بعرض الجبين"[١٠٠]. وذكر أبو داود من حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[١٠١].

١٣٥- وذكر مسلم من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة[١٠٢]".

---

(٩٩) إحياء جـ ٤ ص٤٥٠

(١٠٠) أخرجه الترمزى رقم ٩٨٢ وابن ماجه رقم ١٤٥٢ الإمام أحمد فى مسنده جـ ٥ ص ٣٦٠ والحاكم فى المستدرك جـ ١ ص ٣٦١.

(١٠١) أخرجه أبو داود ١٣٠/٣ رقم ٣١١٦ ، والحاكم فى المستدرك ٣٥١/١ وقال صحيح الإسناد.

(١٠٢) قال الفخر الرازى لابد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى تكون نافعة ولا يحصل اليقين إلا بموت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات إلا بأحد طريقين **إحدهما:** أن يروض نفسه حتى تموت شهواته حال حياته ، **والثانى** إن ماتت شهواته عند وفاته وعظم رجاؤه وخوفه من ربه وانقطع نظره عن غير الله بالكلية اضطرارا، فإذا تكلم ونطق بهذه الكلمة فى تلك الحالة استوجب المغفرة ، فلهذا السبب استحب السلف أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة. قال رسول الله " لقنوا موتاكم " فإن الإنسان عند القرب من

١٣٦- وذكر أيضاً من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :" لقنوا موتاكم لا اله إلا الله"(١٠٣).

١٣٧- ومن غير كتاب مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: " لما حضر ملك الموت رجلاً فنظر فى عمله فلم يرله شيئاً ففك لحييه فوجد طرف اللسان لاصقاً بحنكة يقول لا إله إلا الله فغفر الله له بكلمة الإخلاص"(١٠٤).

الموت تموت شهواته ويحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة مقبولة منه وأما الأول وهو الذى يروض نفسه فقد فتح الله له روزنه إلى الغيب فركبته أهوال سلطان الجلال فينطق بها عن القلب الصافى ، فهو بالمغفرة أولى. (أنظر عجائب القرآن ص ١٤١).

وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يقول لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السماوات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين "قالوا يا رسول الله:" كيف هي للحي؟" قال: "هي أجود وأجود " وكان آهل البيت يسمون هذه الكلمات : كلمات الفرج فيتكلمون بها في النوائب والشدائد فيجيئهم الفرج وفيه زيادة لا إله إلا الله العلي العظيم. " انظر عجائب القرآن للإمام الفخر الرازي ص١٤١-١٤٢

الأمر بهذا التلقين أمر ندب وأجمع العلماء على هذا التلقين وكرهوا الإكثار عليه والموالاة لئلا يضجر لضيق حاله وشده كربه فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق. صحيح مسلم كتاب الجنائز.

(١٠٣) اخرجه مسلم في الجنائز ج٢ص٦٣١ الحديث ٩١٦١١ والنسائي ٥١٤ وابو داود ١٩٠/٣ والبغوي في شرح السنة والترمزي ٩٧٦/٣ وقال حسن صحيح.

١٣٨- وقال عمر رضى الله عنه: " احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ما لاترون"(١٠٥)

١٣٩- وذكر مسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: " لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعدو الله ابن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل، وعدو الله ابى أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى أبو طالب: آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك(١٠٦) فأنزل الله عز وجل: (ما كان للنبى والذين آمنوا أن

---

(١٠٤) المغني عن حمل الأسفار نسبه العراقي لابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين وللطبراني والبيهقي في الشعب وقال إسناده جيد.

(١٠٥) الإحياء ج٤ ص٤٥٠.

(١٠٦) وفي هذا دليل علي أن الشفاعة لا تجوز فى حق المشرك وبالتالي لم تجز في حق عم الرسول ﷺ أبو طالب وذلك أن الله أمر المؤمنين ألا يستغفروا للكفار وأبو طالب مات علي الكفر ولو كانت الشفاعة جائزة في حق أبي طالب لكان أولي بها والد الرسول صلي وأمه حيث ماتا علي الكفر ومعهما العذر وهو أن الرسول لم يكن قد أرسل بعد ولا دعاهما للإيمان، ولم يرد من الأحاديث أن الرسول ρ أخبر بأنه سوف يشفع لأمه وأبيه وما ورد فى ذلك ما ذكر فى التذكرة من أن الرسول ﷺ ذهب إلى قبر أمه وأبيه فأحياهما الله له فدعاهما للإيمان فآمنا وقد قيل أن هذا الحديث غير صحيح وأرى أنه كذلك لأنه قد قيل ان من أحد أسباب نزول آية منع المؤمنين من الاستغفار

للمشركين أن الرسول ρ ذهب إلى قبر أمه يستغفر لها فنزلت هذه الآيــة والله تعــالى أعلم.

وأما الشفاعة لأطفال المشركين فقد أختلف فيها فقد أقرها البعض ورفضــها البعض الآخر فعلى سبيل المثال قال الشيخ عبد السلام المالكى أن أطفال المشركين فى الجنة فقد جاء فى تفسير "فمنهم شقى وسعيد" دخل فى الشقى الكافر – الجاهل والمعانــد ومن بالغ فى النظر فلم يصل إلى الحق ولا يدخل فيه أطفال المشركين بل هم فى الجنة على الصحيح "إتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام ص ١٠٥".

وقد ذهب المعتزلة إلى أنه لا يجوز تعذيب أطفال المشركين وذلك لأن تعذيب الغير من غير ذنب ظلم والله تعالى لايجوز أن يكون ظالما باتفاق الأمة ، ولأنه قبيح والله تعالى لا يفعل القبح لعلمه بقبحه وبغناه عنه وقد استدلوا علىذلك

بقوله تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " وقالوا فى ذلك" ومعلــوم أن الأطفال لم تبعث إليهم الرسل فيجب ألا يعذبهم الله.

واستدلوا أيضا بقوله تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة" وقالوا فيها أن (الطفل لم يكتسب إثما حتى يعذب) ومن السنة استدلوا بقولهﷺ " رفع القلم عن الصبى حتى يبلغ " وقالوا فيه أن الرسولﷺ قد بين أن القلم مرفوع عنه، ولن يكون كذلك إلا ولا يحســن تعذيبه ، فصح أن تعذيب أطفال المشركين ظلم وأنه تعالى لا يختاره. أنظر شرح الأصول الخمسة ص ٣٧٧ – ٣٧٨ وعلى ذلك فلا شفاعة للرسول لأطفال المشركين إلا أن يقال أذن الله له بالشفاعة تكريما للرسول لدخولهم الجنة حيث وعد الله أو قضاء الله، ولــيس لأن الله تعالى قضى عليهم العذاب وشفاعته ρ تكون لعدم تعذيبهم.

يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعـد مـا تبـين لهـم أنهـم أصـحاب الجحيم[١٠٧]) التوبة:١١٣.

وأنزل الله–عز وجل–فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ: (إنك لا تهدى[١٠٨]مـن أحببت ولكن الله يهدى[١٠٩]من يشاء وهو أعلم بالمهتدين[١١٠]) (القصص:٥٦).

---

(١٠٧) ذكر فى سبب نزول هذه الآية–بجانب ما ذكر المصنف ما قاله ابن عباس: لما فتح الله تعالى مكة سأل النبى عليه السلام أى أبويه أحدث به عهدا " قيل أمك،فذهب إلى قبرها ووقف دونه، ثم قعد عند رأسها وبكى فسأله عمروقال نهيتنا عن زيارة القبور والبكاء ثم زرت وبكيت، فقال قد أذن لى فيه، فلما علمت ما هى فيه من عذاب الله وإنى لا أغنى عنها من الله شئ بكيت رحمة لها.

وقد استبعد الحسن ابن الفضل أن تكون هذه الآية نزلت فى حق أبى طالب قاله الواحدى لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولا، ووفاة أبى طالب كانت بمكة فـى أول الإسلام.

والمقصود من الآية بيان وجوب مقاطعة الكفار والمنافقين والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب ، وإن كانوا فى غاية القرب من الإنسان كالأب والأم. أنظـر مفـاتيح الغيب جـ ١٥ ص ١٩٥ المجلد ٨.

(١٠٨) **الهدى والضلال:**

القول بالهداية يخرج على وجوه ثلاثة :

الأول:البيان ومعلوم أن البيان قد تقدم من الله لا أحد يريد به ذلك لمعنى ما به البيان من كتاب وسنة وإلى هذا تذهب المعتزلة .

والثانى: التوفيق له والعصمة عن زيغه. وذلك معنى قولهم : اللهم اهدنا فيمن هديت وقوله " إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين " وصفهم إلى آخر السورة ، "وقد ارتضى الماتريدى هذا القول فى الهدى ورد به على المعتزلة فقال: "ولو كان على البيان على

ما قال المعتزلة فهو والمغضوب عليهم فى ذلك سواء. ثبت أنه على ما قلنا " دون ما ذهبوا إليه.

والثالث أن يكون على طلب خلق الهداية لنا. إذ نسب إليه من جهة الفعل، وكـل مـا يفعله خلق كأنه قال: خلق لنا هدايتنا. وهو الاهتداء منا.

ويقول الماتريدى: " إن تأويل طلب الهداية ممن قد هداه الله يتوجـه وجهـين أحدهما : طلب الثبات على ما هداه الله ، وعلى هذا معنى زيادات الإيمان أنها بمعنـى الثبات عليه. ووجه آخر على أن فى كل حال يخاف على المرء ضـد الهـدى فيهديـه مكانه أبداً فيكون له حكم الاهتداء إذ فى كل وقت إيمان من دفع به ضده.تـأويلات أهـل السنة لأبى منصور الماتريدى جـ ١ ص ٢٤- ٢٥.

وذكر ابن القيم القول فى الهداية بشئ مـن التفصـيل، وزاد علـى مـا قالـه الماتريدى بآخر مراتبها وهى الهداية يوم القيامة إلى طريـق الجنـة وهـو الصـراط الموصل إليها، وربط بين الهدى فى هذه الدنيا بالهدى فى الآخرة " فمن هدى فى هـذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه هـدى هنـاك إلـى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه. للمزيد اقرأ مدارج السـالكين. ابـن قـيم الجوزية حـ١ ص ٩ ، ١٠.

(١٢٤) قال الزجاج أجمع المسلون على أن هذه الآية " إنك لا تهـدى مـن أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " نزلت فى أبى طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بنى عبد مناف أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا ، فقال عليه السلام يا عم تأمرهم بالنصح لأنفسهم وتدعها لنفسك! قال فما تريد يا ابن أخى ؟ قال أريد منـك كلمة واحدة، فإنك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بهـا عنـد الله تعالى، قال يا ابن أخى قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند المـوت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة وحسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك

١٤١- ويروى عن أنس بن مالك" أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فعرض عليه الإسلام فقال له: اسلم فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه: أطع أبا القاسم فأسلم فقال النبي ρ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار". ذكر هذا الحديث البخاري[١١١]وأبو داود[١١٢] وغيرهما[١١٣] وينبغي أن لا يلح على الميت بتلقين الشهادة .

١٤٢- قال ابن المبارك " لقنوا الميت لا إله إلا الله قالها فدعوه لأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يبرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة[١١٤] وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به.

١٤٣- وذكر أبو بكر الدينوري رحمة الله في كتاب المجالسة عن الحسن بن عيسى قال لما حضرت أبن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه أجعل رأسي على التراب. قال

عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك ، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف " والمقصود بالهداية هنا هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيا به القلب : فالله يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع البعض منها ، ولا يسأل عما يفعل." أنظر مفاتيح الغيب جـ ٢٣ ص ٣٠١ المجلد ١٢.

(١١١) أخرجه البخاري في الجنائز حـ٣ رقم ١٣٦٠ ومسلم في الإيمان حـ١ ص ٥٤ الحديث ٣٩ / ٢٤.

(١١١)البخاري في كتاب الجنائز جـ ٣ رقم ١٣٥٦.

(١١٢) رقم ١٨٥.

(١١٣) أخرجه الإمام أحمد في سنده ٣/٢٨٠ والحاكم في المستدرك جـ١ ص ٣٦٣ ، جـ ١ ،جـ ٤ ص ٣٩١ .

(١١٤) سير اعلام النبلاء ج ٨ ص ٤١٨

فبكى نصر فقال: ما يبكيك؟ فقال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هذا تموت فقير غرب فقال له: اسكت فإني سألت الله-عزّ وجلّ- أن يحييني حياة الأغنياء ويميتني ميتة الفقراء. ثم قال له: لقني-يعني الشهادة- ولا تعدها عليّ إلا أن أتكلم بكلام.

والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله وحده لأن المدار على القلب وعمل القلب هو الذى ينظر فيه وتكون النجاة بسببه.

وأما حركة اللسان دون أن يكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها، وأما حسن الظن بالله-عزّ وجلّ-عند الموت فواجب قال عليه السلام: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله- عزّ وجلّ" [115].

ولعلك تقول: يا هذا قد أرعدت فى ذكر الموت وأبرقت، وطولت فيه وعرضت، وعرضت فى كلامك بمن عرضت وأموت بالتفكير فيه، والاشتغال به،

([115]) **معنى حسن الظن بالله**

حسن الظن بالله مستحب فى هذا الوقت وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله، دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرنى كيف ظنك بالله قال أغرقتنى ذنوب لى وأشرفت على هلكة ولكنى أرجو رحمة ربى فكبر واثلة وكبر أهل البيت تكبيرة وقال الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما يشاء " ودخل النبى ﷺ على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجوا الله وأخاف ذنوبى فقال النبى ﷺ ما أجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وآمنه من الذى يخاف" وقال ثابت البنانى كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيراً وتقول له يا بنى إن لك يوماً فأذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يا بنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول أن لك يوما فقال يا أماه إن لى رباً كثير المعروف وأنى لأرجو أن لا يعدمنى اليوم بعض معروفه، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه، وكانوا يستحبون أن يذكر العبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه. إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٤٥٠-٤٥١.

وجمع الهم له وتقصير الأمل، والخوف من انقضاء الأجل، وأى فائدة فى ذكر المـوت وأنواعه، وضيق العمر واتساعه وهذا أمر قد فرغ منه، وأعجزت الحيلة فيه وكما تقول لى لا تكثر الانشغال بأمر الرزق ولا تغتم له ولا تتفكر فيه وأنه مقدر مفروغ منه ومـا قدر يأتك فكذلك الموت أيضاً وأسبابه، والعمر ومدته، كل ذلك أمر مقدر مفروغ منه ما قدر علىّ يصيبنى وما كتب علىّ يأتينى[١١٦].

([١١٦]) قال جل جلاله "فإذا جاء أجلهم لا يسـتأخرون سـاعة ولا يسـتقدمون "الأعراف ٤٣ والأجل عبارة عن الوقت الذى ينقطع فيه فعل الحياة كما أن أجل الـدين عبارة عن الوقت الذى يحل فيه الدين والمقتول والميت أجلهما عند خروج روحهما.

وقال تعالى **فى الرزق**: " وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقهـا " قـال البيهقى: وقد علمنا أن جميع المكلفين ليسوا بآكلين حلالاً، فلو كان لم يـرزقهم الحـرام كان لم يرزق أكثر الأنام لأكلهم الحرام وقال: وفى ذلك دلالة على أن جميع ما يغـذى به الحيوان من حلال أو حرام فهو رزقه، فدخل فيه ما يأكلـه المكلفـون مـن حـلال وحرام، وما يأكله الأطفال من لبن لا يملكونه وغيره مما يأكله البهائم وإن لم يكن لهـا ملك. " البيهقى" وقد خالف المعتزلة فى ذلك. قال القاضى عبد الجبار أن الحرام لا يجوز أن يكون رزقاً لأن الله تعالى منعنا من إنفاقه، واكتسابه فلو كان رزقا لم يجـز ذلـك، واستدل على ذلك بقوله تعالى " قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حرامـا وحلالا "وقال: وأيضاً فإنه تعالى مدحنا بإنفاق ما رزقناه ، حيث قال: "ومما رزقنـاهم ينفقون" ومعلوم أنه لا يجوز أن يمدح على الإنفاق من حرام" أنظر شرح الأصول الخمسة ، لقاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد. وقد أعترض الجوينى على ذلك فقال "فيلزم أن يقال لم يدر عليه. أى الذى تغذى بالحرام – من الله رزق وما رزقه الله قط، وذلك عظيمـة لا ينتحلها متدين" : والحقيقة كل ما ينتفع به الإنسان من حلال أو حرام فهو رزق له أنظـر الإرشاد للجوينى ص ٣٦٥ .

فأقول نعم والسبب الذى كتب عليك فى الموت لن تتعداه، والعمر الذى قسم لك لن تتخطاه، ولكن بين الأمرين فى الاشتغال بهما فرقان، وذلك أن الـــرزق المقـــدر[١١٧]

نقل البيهقى عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبىﷺ قال: " يوكل الموكل على النطفـــة بعدما أستقرت فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: أى رب ماذا أشقى هو أم سعيد؟ فيقول الله عز وجل فيكتبان، ثم يقول أى رب أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله عـــز وجل فيكتبان ويكتب عمله وأجله ورزقه وعمره، ثم ترفع الصحف فلا يزاد فيهـــا ولا ينقص". وعن عبد الله ابن مسعود قال قالت أم حبيبة: اللهم أمتعنـــى بزوجـــى رســـول اللهﷺ وبأبى أبى سفيان، وبأخى معاوية، فقال لها النبـــى ρ " قـــد دعـــوت الله لآجـــال معلومة، وأرزاق مقسومة، وآثار مبلوغة لا يعجل شئ منها قبل حلها ولا يؤخـــذ شـــئ منها بعد حلها، فلو دعوت الله أن يعافيك أو سألت الله أن يعيذك أو يعافيك من عـــذاب فى النار أو عذاب فى القبر لكان خيراً أو لكان أفضل".

وعن ابن مسعود أن رسول اللهﷺ قال:" لا يستبطئن أحد مـــنكم رزقـــه فـــإن جبريل عليه السلام ألقى فى روعى أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتـــى يســـتكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب " أنظر الاعتقاد على مذهب السلف أهل السـنة والجماعة للإمام الحافظ الكبير أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ت ٤٥٨ ص ٩٣-٩٤.

(١١٧) عرف القاضى عبد الجبار من المعتزلة الرزق بأنه ما ينتفع به ولـــيس للغير المنع منه وقال ولذلك لم يفترق الحال بين أن يكون المرزوق بهيمة أو آدمياً. وقد قسم الرزق إلى ما يكون رزقا على الإطلاق وذلك نحو الكـــلأ والمـــاء ومـــا يجـــرى مجراها، وإلى ما يكون رزقا على التعيين وذلك نحو الأشياءالمملوكة، يستوى فى ذلـــك سبب الملك سواء كان حيازة أو إرثاً، أو مبايعة أو يكون هبة هذا فى الآدميـــين، وفـــى البهائم فإنه ينقسم أيضا إلى ما يكون رزقا على الإطلاق وذلك نحو الكلأ والماء وغيـــر ذلك، وإلى ما يكون رزقا على التعيين وذلك ما حواه فمه وحازه بهذه الطريقة " أنظـــر

لمفروغ منه لا يزيد فيه حرصك ولا ينقص منه كسلك وعجـزك[١١٨] وإن كانـت لـه أسباب، ولطلبه أبواب فقد تتعلق بأسبابه، وتأتيه في الظاهر من أبوابـه، فتكـون أحـد

شرح الأصول " وقد أعترض الجويني على قول المعتزلة أن الرزق هو الملك لئلا يترتب على ذلك أن يكون ملك الباري تعالى رزقا له من حيث كان ملكاً له "الإرشاد".

ولكني أرى أن هذا الاعتراض ليس في محله حيـث أرجـع المعتزلـة لأرزاق والآجال إلى قضاء الله تعالى وقدره فلا يدخل فيها ما يملكه الله تعالى فالله له ملـك السماوات والأرض وقد حـدد القاضـي الأشـياء المملوكـة بأنهـا للآدميـين والبهائم.كذلك تعريف القاضي للرزق: على أنه ما ينتفع به يؤيد ما ذكرت فالله تعـالى منزه عن الانتفاع بشئ. وقد قيد المتأخرون من المعتزلةتعريف الرزق فقالوا: رزق كل مرزوق ما انتفع به في ملكه ، قال الجويني ما يلزمهم من هذا التقييد أن يقولوا لا يـدر على البهائم رزق الله تعالى؛ فإنها لا تتصف بالملك وإن اتصـفت بالانتفـاع، وذلـك يعارض قوله تعالى: " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها سورة "هود". وقـال الجويني " فإذا بطل ما قالوه، لم يبق إلا صرف

الرزق إلى الانتفاع من غير رعاية الملك. ومن اتسع ملكه ولم ينتفع به يقال له لم يجعل الله ما حوله رزقا له "انظر كتاب الإرشاد للجويني ص ٣٦٥".

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الـرزق رزقـان رزق تطلبـه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه. فإن تكن السنة في عمرك فإن الله تعالى سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك ، وإن لـم تكن السنة من عمرك مما تصنع بالهم بما ليس لك وإن لم يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدرلك. نهج البلاغة جـ ٤ ص ٧٤٧ بشرح الإمـام محمد عبده.

المحترمين والمجتهدين المحدودين، هذا أمر قد شوهد بالعيان،وعلم به كل إنسان فلا يفيدك الطلب، إلا العناء والتعب ولست بمأجور فى الحرص، ولا فيما

تتحمله من مشقة الطلب لأكثر مما تحتاج إليه، وربما تبرمت فى الحال، ولم تنظر فى المآل، وسخطت قضاء الله عليك، وحكمه فيك، وإرادته لك وفى هذا ما فيه، وقد تؤجر فيما يصيبك من المشقة فى طلب أكثر مما تحتاج إليه إذا كان لك فيه نية صالحة من صدقة أو صلة رحم أو غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر، وأما إن كان سعيك ذلك للتكاثر والتفاخر ومحبة فى المال فلا، والحول والقوة لله وحده.

١٥٢- ودخل واثلة بن الأسقع على رجل فوجده فى الموت فقال له أخبرنى كيف ظنك بالله تعالى فقال الرجل: "أغرقتنى ذنوبى وأشرفت على الهلكة ولكن أرجوا رحمة الله تعالى فَكَبَّر واثلة فكبر أهل البيت لتكبيره . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: "أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء"(١١٩).

١٥٣= ويروى أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال له: " كيف تجدك؟ فقال: أرجوا الله وأخاف ذنوبى فقال النبى عليه السلام: "هذان أمران لا يجتمعان

---

(١١٨)ليس معنى ذلك التواكل والتقاعد والتكاسل عن العمل قال الرسول ص: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطانا " فقد جعل حق التوكل هو أن تغدوا وتروح فى طلب المعيشة من اجله. أى الأخذ بالاسباب وهو من مقتضى الإيمان بالقدر فيحرم على المسلم رغم إيمانه بأن الرزق بيد الله ترك الأخذ بالأسباب فلو ترك السعى فى طلب الرزق لكان آثما، لأننا مامورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى والإيمان أن بيده ملكوت كل شئ والإيمان أن الأسباب لا تعطى النتائج إلا بأذن الله سبحانه وتعالى ،فالأسباب ليست مؤثره بنفسها واعتبارها مؤثره فى المسببات شرك فى التوحيد.

(١١٩) أخرجه بن حبان فى صحيحه جـ ٢ ص ١٧.

فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذى يرجو وأمنه الذى يخاف" أخرجـــه الترمذى.[١٢٠]

باب فى الجنائز وفضل اتباعها

١٥٩- ذكر البخارى عن أبى هريــرة أن رســول اللهﷺ قــال: " مـــن تبـــع جنازة[١٢١] مسلم إيماناً واحتساباً وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنهـــا فإنـــه

(١٢٠)الترمزى رقم ٩٨٣ وابن ماجه رقم ٤٢٦١.

(١٢١)الجنازة مشتقة من جنز إذا ستره ذكره ابن فارس وغيره والمضارع يجنز بكسر النون والجنازة بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح، ويقال: بالفتح للميت وبالكسر للنعش عليه ميت ويقال عكسه حكاه صاحب المطالع والجمع جنائز بالفتح لا غير صحيح مسلم جـــ ٣ ص ٢٤٦ كتاب الجنائز.

يروى عن أبى هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنى على الأثر. وكان مكحول الدمشقى إذا رأى أي جنازة قال اغدوا فإنا رائحون انظر الإحياء جـــ ٤ ص ٤٦٨.

إتباع الجنائز من الواجبات على الكفاية والاتباع إنما هو وسيلة لأحد مقصودين إما الصلاة وإما الدفن ، فإذا تجردت الوسيلة عن المقصد لم يحصـــل المرتـــب علـــى المقصود وإن كان يرجى أن يحصل لفاعل ذلك فضل ما بحسب نيته. روى من طريق مجاهد قال : " إتباع الجنائز أفضل النوافل " وفى رواية عبـــد الـــرازق عنـــه " إتبـــاع الجنازة أفضل من صلاة التطوع " فتح الباري ص ١٩٣ حـــ٣.

يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مـــن الأجر مثل أحد (١٢٢) .

١٦٩- ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال: " دخلت مع عامر الشعبى على مريض نعوده فوجدناه لما به ورجل يلقنه الشهادة يقول له قل: لا إله إلا الله وهو يكثــر عليه فقال له الشعبى: ارفق به. فتكلم المريض وقال إن تلقنى أو تلقنى فإنى لا أدعها ثم قرأ (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها(١٢٣)[الفتح:٢٦] فقال الشعبى: الحمد لله الذى أنجا صاحبنا".

---

(١٢٢) -القيراط بكسر القاف قال الجوهري: " أصله قراط بالتشديد لأن جمعه قراريط فأبدل من أحد حرفي تضعيفه باء. قال والقيراط نصف دانق.وقال قبل ذلــك : الدانق سدس الدرهم. فعلى هذا يكون القيراط جزءاً من اثني عشر جزء من الدرهم.

وأما صاحب النهاية فقال: القيراط جزء من أجزاء الدنيا وهو نصف عشره فـــى أكثر البلاد وفى الشام جزء من أربعه وعشرون جزءا. ونقل ابن الجــوزي عــن ابــن عقيل أنه كان يقول: القيراط نصف سدس درهم أو نصف عشر دينار. قال الحافظ بن حجر العسقلاني والإشارة بهذا المقدار إلي الأجر المتعلق بالميت فى تجهيــزه وغســله وجميع ما يتعلق به فللمصلى عليه قيراط من ذلك، ولمن شهد الدفن قيــراط، وذكــر القيراط تقريبا للفهم لما كان الإنسان يعرف القيراط ويعمل العمل فى مقابلته وعد مــن جنس ما يعرف وضرب له المثل بما يعلم انظر فتح البارى جـ ٣ ص ١٩٤.

(١٢٣) الآية ٢٦ من سورة الفتح قال تعالى: (إذ جعل الذين كفروا فـــى قلـــوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المــؤمنين وألــزمهم كلمـــة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما والزمهم كلمـــة التقـــوى) قـــال الرازى فيه وجوه: أظهرها أنه قول لا إله إلا الله فإن بها يقع الإتقاء عن الشرك. وقيـــل هو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله فـــإن الكـــافرين أبـــو ذلـــك والمؤمنـــون

١٧٩- وقال ابن عباس: "ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله ﷺ بمثل كتاب كتبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أما بعد: فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً، ولا بما فاتك منها ترحاً، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل فكأن قد والسلام "

١٨٤- ويروى عن الحسن أنه قال: قال رسول ﷺ: " أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟ قالوا نعم يا رسول الله ﷺ فقال: قصروا آمالكم ؟ وثبتوا آجالكم بين أبصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء"[١٢٤]. وهذا الخبر ذكره أبو داود [١٢٥].

التزموه.وقيل هي الوفاء بالعهد إلى غير ذلك. انظر مفاتيح الغيب جـ ٢٨ ص٣٤٧ المجلد ١٤ من ذلك نرى أن المريض عني بها قول لا إله إلا الله وهي الكلمة التي يراد تلقينه إياها وقوله هذه الآية قوله لها. والله أعلم.

([١٢٤]) أنظر المغني عن حمل الأسفار جـ٤ ص ٤٣٨ عزاه العراقي لابن أبي الدنيا. الحياء من الله هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار المهابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء ، فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذى خشي به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له والمخبت المطمئن . " الروح لابن القيم ص ٣٧٢ ".

([١٢٥]) في كتاب الجنائز جـ ٣ ص ١٨٦ الحديث ٣١١٤ .

واعلم: أن طول الأمل حجاب على قلبك يمنعك من رؤية المـوت ومشـاهدته، ووقر فى أذنك يمنعك من سماع وجبته ودوى وقعته، وبقدر ما يرفع لك من الحجـاب ترى، وبقدر ما يجفف عن أذنك من الوقر تسمع، فأنظر رحمك الله نظـر مـن رفـع حجابه، وفتح بابه، واسمع سماع من أزيل وقره، وخوطب سره، وبادر قبل أن يبـادر بك، وينزل عليك، وينفذ حكم الله-عز وجل-فيك، فتطوى صحيفة عملك وتختم على ما فى يدك ويقال لك: أجن ما غرست، واحصد ما زرعت، واقرأ كتابك الذى كتبت كفـى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبربك تبارك وتعالى شهيداً ورقيباً.

١٩٢- روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال لرجل وهو يعظه:"أغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقـرك، وفراغـك قبـل شغلك، وحياتك قبل موتك"[١٢٦].

١٩٣- وعن ابن عباس أيضاً عن النبى ﷺ قال: "نعمتان مغبون[١٢٧] فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ "ذكره البخارى[١٢٨]

---

(١٢٦)صحيح الجامع رقم ١٠٨٨ عزاه للحاكم والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس، الإمام أحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية وأخرجه البغوى ١٤/٢٢٤ في الزهد .

(١٢٧) غبن: "غبنه" فى البيع خدعة وقد غُبن فهو مغبون " مختار الصحاح.
قال الجوهرى الغبن هو فى البيع بالسكون وفى الرأى بالتحريك وعلى هذا فيصح كـل منهما فى هذا الخبر فإن من لا يستعملهما فيما ينبغى فقد غبن لكونه باعهما بنجش ولـم يحمد رأيه فى ذلك. قال بطال معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغا حتى يكون مكفيا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه فمن فـرط فـى ذلـك فهـو المغبون. وأشار بقوله كثير من الناس إلى أن الذى يوفـق لـذلك قليـل. وقـال ابـن

١٩٤ ــ وقال القائل:

إن فى الموت والمعاد لشغلاً   وإن كاد الذى الهنى وبلاغا
فاغتنم نعمتين قبل المنايا   صحة الجسم يا أخى والفراغا

١٩٥- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبىﷺ أنه قال: "ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو هرماً مفنّداً أو مرضاً مُفسداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فالدجال[١٢٩] شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر"[١٣٠]

الجوزى: قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التى يظهر ربحها فى الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته فى طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها فى معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم. وقال الطيبى: ضرب النبى للمكلف مثلا بالتاجر الذى له رأس مال، فهو يبتغى الربح مع سلامة رأس المال ، فطريقه فى ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغى له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس ليربح خيرى الدنيا والآخرة. فتح البارى حـ١١ ص٢٣٠.

(١٢٨) كتاب الرقاق ٢٣٣/١١ – رقم ٦٤١٢ نعمتان : تثنية نعمة وهى الحالة الحسنة. وقيل هى المنفعة المفعولة على جهة الإحسان للغير.

(١٢٩) أمر الدجال عظيم وإنما سمى دجالا لسرعة سيره فى الأرض والدجل فى اللغة سرعة السير ثم جاء فى بعض الروايات " الجدال " وهذا هو الذى وقع فى أفواه الناس أخذ من الجدل لسوء منازعته الحق والمشهور هو للفظ الأول وأن النبى خطب فى شأنه مراراً ينذرهم الدجال.وأخبرﷺ أن كل نبى قبله أنذر أمته أمره وحذرهم وكان

يقولﷺ: إنه يقول أنا ربكم ألا وانه أعور كأن عينه عنبه طافيه وأن ربكم ليس بأعور " البخارى أنبياء ٣ ، ٧٧ وجاء فى حديث آخر أن الدجال أعور العين اليمنى البخـــارى ٧٧ وفى حديث آخر عينه مشقوقة بين جبينه. وجاء عن النبىﷺ أنه قال: مكتـــوب علـــى جبينه بالسواد" كافر " وذكر فى الصحاح مكتوب على جبينه " كاف ألف راء" "البخارى فتن ٢٦ " زاد فى الحديث فى وصفه أنه جسيم عظيم طوال جعد الشعر يعنـــى الكثيـــر الشعر وهو اليوم موجود مكبل بالحديد من كعبه إلى رقبته يداه مغلولتان محبوس فـــى بعض السواحل فى بحر المغرب " البخارى فــتن ٢٦ " وروى فى الحديث أن خروجه من قبل المشرق وجاء فى الحديث أنه يمر بأرض أصبهان فيتبعه من اليهود ســـبعون ألفـــا عليهم الأكسية والأردية مسلم فتن ١٢٤ وفى الحديث أن النبىﷺ قال وأنـــه يســـير إلـــى المدينة ليدخلها فيجر على كل نقب من أنقابها ملكا مسلولا سيفا يمنعـــه مـــن الـــدخول، وروى أنه لا يطأ مكة ولا يسلط عليها. البخارى فتن ٢٧. ثم يوافق خروجه والنـــاس قـــد مخطوا قبل ذلك بثلاث سنين تحبس السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها وفى السنة الثالثة تحبس السماء القطر كلها أو كله وتحبس الأرض جميع نباتها فلا يبقى ذو خـــف وحافر إلا هلك **والمؤمنون يفزعون إلى مسجد رسول اللهﷺ قيل ومـــا طعـــامهم ومـــا شرابهم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله يجزيهم ما يجزى الملائكـــة مـــن التسبـــيح والتهليل يقومون به " مسند ابن حنبـــل ٤٥٣/٦ ، ٤٥٤ " وذكر فى بعض الروايـــات بينمـــا المسلمون فى حيرة إذ نزل عيسى بن مريم عليه السلام فشكوا إليه ما لقوا منه فيســـير إليه بمن معه فيدركه عند باب لد فيقتله برمحه " مسند بن حنبل ٣٦٨/٣، ٢١٦ ، ٢١٧/٤ .**

وجاء فى الحديث فى تفرق اليهود وخوفهم من عيسى عليه السلام أنهم يكنـــون إلى الحجر والشجر فلا يبقى حجر ولا شجر إلا نادى يا مسلم هنا يهـــودى عنـــدى إلا الغرقد وهو نوع من أشجار الشوك فإنه لا يدل ولذلك لعنه رسول الله " مسلم فتن ٨٠ – ٨١ مسنند ابن حنبل ٦٧/٢ وذكر فى التفسير أن اليهود خصوا بالذكر وإنما القتل عليهم وعلى غيرهم من الكفار دل عليه الحديث فإنهﷺ قال : لا يبقى علـــى وجـــه الأرض

كافراً إما أن يسلم أو يقتل فيكون الدين كله لله سبحانه وتعالى . أنظر صفة أشراط الساعة شمس الأئمة محمد بن أحمد أبى سهل أبو بكر السرخس ص ٤٠ – ٤٤ .

قال القاضى هذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى حق وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب ، ومعه جنته وناره ونهريه وإتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا .

وقال القاضى هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافاً للبخارى **المعتزلى وموافقيه من الجهمية وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ... وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء. وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعى الألوهية ، وهو فى نفسه ودعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس، لسد الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه؛ لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره فى الأمر، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حالة ، ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من يصدقه فى هذه** الحالة ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه، ودلائل إبطاله وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما ذكرناه من دلائل الكذب له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذى يقتله ثم يحييه "

١٩٦- وعن أبى هريرة أيضاً عن النبىﷺ أنه قال: " من خاف أدلج[١٣١] ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة".

١٩٧- وقال عليه السلام: "أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد " ذكره القاضى أبو الحسن بن صخر فى الفوائد .

ما ازددت فيك إلا بصيرة " صحيح مسلم لشرح النووى جـ ٢٨٥ كتاب الفتن وأشراط الساعة المجلد ٨ الناشر دار الفتح الإسلامي".

ونص الحديث عن النبىﷺ قال: " يقوم إليه رجل من خيار الناس يومئذ فيقول له أنت الدجال الذى أنذرنا رسول اللهﷺ أنت الكافر بالله فيأخذه فيضربه بسيفه نصفين ثم يحييه فإذا استوى قائما يقول ما ازددت بربى إلا بصيرة ومنك حذرا وبرسول اللهﷺ تصديقا فيهم به مرة أخرى فلا يسلط عليه فيصير ظهره كأنه طبق حديد ثم لا يسلط على غيره " البخارى الفتن ٢٧ .

وخروج الدجال من أشراط الساعة روى مسلم عن حذيفة بن أسيد قال : أطلع النبى ، علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال "ما تذكرون"؟ قالوا: نذكر الساعة ، فقال " إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسفت بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم " الفتن والبخارى.

([١٣٠]) أخرجه الترمزى وقال حسن غريب والحاكم فى المستدرك جـ ٤ ص ٣٠٧ – ٣٠٨ انظر الجامع الصغير حـ٢ ص ١٧٠.

([١٣١]) أدلج سار من أول الليل مختار الصحاح .

١٩٨- وقال جابر بن عبد الله: " كان رسول الله ﷺ إذا خطب رفع صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه".

ذكره مسلم بن الحجاج(١٣٢)، يريد عيله السلام تقريب الأمر وسرعة نزولهه وكل آت قريب وكل ما هو كائن سيكون.

١٩٩ -وقال ابن مسعود:"قرأ رسول الله ﷺ (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)(١٣٣)(الأنعام:١٢٥) فقال عليه السلام: " إن النور إذا دخل القلب انفسخ

---

(١٣٢) فى كتاب الجمعة خطبة النبى حديث رقم ٤٦ وبقية الحديث " ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دنيا أو ضياعا فاليّ وعَلَيَّ ص ١٨٤ صحيح مسلم بشرح النووى المكتب الثقافى المجلد ٣ .

قال القاضي: قوله: " بعثت أنا والساعة كهاتين يحتمل أنه تمثيل لمقاربتها وأنه ليس بينهما أصبع أخرى كما أنه لا نبى بينه وبين الساعة ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة وأن التفاوت بينهما كنسبه التفاوت بين الإصبعين تقريباً لا تحديداً. ص ١٨٦ .

(١٣٣) " فمن يرد الله أن يهديه – الآية " اختلفت المعتزلة مع أهل السنة والأشاعرة فى الهدى هل هو من الله ولا دخل للإنسان فيه أم أنه يرجع إلي الإنسان ولذلك اختلفوا فى تفسير الآية، يقول الرازى فى الهدى إن الله يدع فى قلب الإنسان الداعى على الفعل بعد أن يعلم الإنسان أن فى ذلك الفعل مصلحة زائدة ومنفعة راجحة، مع قدرة العبد على الفعل فمجموع القدرة مع الداعى على الفعل يوجب الفعل فالله تعالى يخلق فى قلب الإنسان اعتقاداً أن الإيمان راجح المنفعة زائد المصلحة وإذا حصل فى

القلب هذا الاعتقاد مال القلب وحصل فى النفس رغبة شديدة فى تحصيل الفعل وقال أن هذا معنى الهدى وانشراح الصدر للإيمان ونسب ذلك إلى الله فالله هو الذى خلق الداعى للفعل فى قلب الإنسان، وهذا مذهب أهل السنة والأشاعرة.

وقال القاضى عبد الجبار فى تفسير الآية: أن المراد فمن يرد الله أن يهديه بزيادات الهدى كقوله تعالى:" والذين اهتدوا زادهم هدى " لشرح صدره للإسلام لأن زيادات الهدى أحد ما يقوى صدر المؤمن على إيمانه " وربط القاضى هذا بمذهبهم فى العدل فقال: " وهذا يدل على قولنا فى العدل أن الله تعالى يفعل بالمؤمن ما يكون أقرب إلى ثباته على الإيمان من شرح الصدر بزيادات الأدلة، ويفعل بالكافر ما يكون أقرب إلى أن يقع فى الكفر من ضيق الصدر وإلا فقد هدى الجميع بالأدلة وأزاح لهم العلة حتى لم يؤتوا من قبل أنفسهم ، وكل كافر إذا فتشت عنه متى نوظر وكلما يضيق صدره بما هو عليه من الكفر عند إيراد الأدلة عليه لكنه يكابر ظاهرا ويوهم إنه على بصيرة". واستشهد بقوله تعالى من بعد: " كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " الأنعام: آية ١٢٥ أنظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ١٣٧.

فالمعتزلة حملت الهدى من الله على الزيادة والتثبيت على الهدى الذى كان بين الإنسان ، ولذلك فهو جزاء على عمله ومكافأة على فعله. وقال بذلك أيضا يحيى بن الحسين انظر رسائل العدل والتوحيد جـ٢ ص ٨٨ وتنزيه القرآن عن المطاعن ص ١٣٧ . وأما تفسير الآية الصحيح هو ما ذهب إليه أهل السنة ويؤكده قول الرسول فى تفسير الآية. قال المفسرون:لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ρ . وقيل له كيف يشرح له صدره؟ فقالﷺ:يقذف فيه نورا حتى ينفسح وينشرح " فقيل له وهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ فقالﷺ " الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ". ولذلك قال الرازي "هذا الحديث من أدل الدلائل علي صحه ما ذكرناه في تفسير شرح الله الصدور، وتقريره أن الإنسان إذا تصور أن الاشتغال بعمل الآخرة

" فقيل" يا رسول الله، هل لذلك من علامة تُعَرف ؟ قال:" نعم التَّجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله" (١٣٤).

٢٠٢ – وقال السدى فى قول الله–عزّ وجلّ–:(الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)(١٣٥)(الملك:٢) قال:" أى أكثركم للموت ذكراً وأحسن لـــه اســـتعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً"(١٣٦).

زائد النفع والخير ،وأن الاشتغال بعمل الدنيا زائد الضرر والشر، فإذا حصـــل الجـــزم بذلك إما بالبرهان أو بالتجربة أو التقليد لابد وأن يترتب علي هـــذا الاعتقـــاد حصـــول الرغبة في الآخرة وهو المراد من الإنابه إلى دار الخلود والنفرة عن دار الدنيا، وهـــو المراد من التجافي عن دار الغرور، وأما الاستعداد للموت قبل نـــزول المـــوت فهـــو مشتمل علي الأمرين، أعني النفرة عن الدنيا والرغبه في الآخرة. وقال الـــرازي : "إذا عرفت هذا فنقول: الداعي إلي الفعل لابد وأن يحصل قبل حصـــول الفعـــل ، وشـــرح الصدر للإيمان عبارة عن حصول الداعي إلي الإيمان ، فلهذا المعني اشعر ظاهر هـــذه الآيه بأن شرح الصدر متقدم علي حصول الإسلام ، وكذلك القول في جانـــب الكفـــر." انظر مفاتيح الغيب ج١٢ص٥٦٣

وأقول وهذا واضح عند إسلام عمر رضي الله عنه فقـــد شـــرح الله صـــدره للإسلام فاسلم رضي الله عنه. ومنها دعوه موسى عليه السلام "رب اشرح لى صدرى".

(١٣٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١١/٤ – انظر المغني عن حمل الأسفار ج٤ ص١٠٦ حيث عزاه العراقي لابن أبى الدنيا في قصر الأمل .

(١٣٥) اتفقوا في تعريف الحياة فهي ما يوجب كون الشيء حيـــا أو مـــا يصـــح بوجوده الإحساس وهي الصفة التى يكون الموصوف بها بحيث يصح أن يعلـــم ويقـــدر

٢٠٥- وقال محمد بن ابراهيم: "جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلى فجوّز فى صلاته وقال: أخبرنى بما جئت له فإنى أبادر فقلت له : وما تبادر؟ قال: ملك الموت رحمك الله أخاف أن ينزل بى فقمت عنه وقام إلى صلاته".

٢٠٧- وقال الربيع بن خثيم: "من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله ".

.وقد اختلفوا فى تعريف الموت ومعتقد أهل السنة أنه أمر وجودى يضاد الحياة ، وقد اعترضت المعتزلة على ذلك وقالت أن عدم هذه الصفة فلا يكون أمرا وجوديا، وقالت فى ذلك كيف يكون العدم بهذه المثابة ولو كان العدم مخلوقا حادثا، وعدم الحوادث مقرراً أزلا لزم من ذلك قطع الحوادث أزلا وفسرت المعتزلة بذلك خلق الموت والحياة فخلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه. انظر الكشاف جـ ٤ ص ١٣٣

وقد سبق الإشارة إلى مذهب أهل السنة بأن الموت صفة وجودية بدليل قوله تعالى: " الذى خلق الموت " والعدم لا يكون مخلوقاً. وبدليل حديث الرسول من أن الله يأتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش ويذبحه .

قال الرازى إنما قدم ذكر الموت على ذكر الحياة مع أن الحياة مقدمة على الموت لأن أيام الموت هى أيام الدنيا وهى منقضية وأما أيام الآخرة فهى أيام الحياة وهى متأخرة فلما كانت أيام الموت متقدمة على أيام الحياة لا جرم قدم الله ذكر الموت على ذكر الحياة، فيكون الابتلاء فيهما أتم لأن الخوف من الموت فى الدنيا حاصل وأشد منه الخوف من تبعات الحياة فى القيامة ، والمراد من الابتلاء أنه هل ينزجر عن القبائح بسبب هذا الخوف أم لا؟ وهذا التفسير هو المختار من تفاسير أخرى ذكرها الرازى فى تفسيره وهو المتفق مع قول السدى الذى ذكره المصنف انظر مفاتيح الغيب جـ ٣٠ ص ٦٠٧ - ٦٠٨ .

([١٣٦]) أنظر الإحياء جـ٤ ص ٤٤٤ .

٢٠٨- وقال على رضى الله عنه : " التؤدة خير فى كل شـــئ إلا فـــى أمـــر الآخرة والتؤدة هى التثبت والتأنى " [١٣٧] .

٢٠٩- وكان الحسن يقول فى موعظته " المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم الأعمال التى تتقربون بها إلى الله -عزّ وجلّ-رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنبه ثم قرأ هذه الآية :(إنما نعد لهم عدا) [١٣٨] يعنى الأنفــاس آخــر الأنفاس خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك"[١٣٩].

---

(١٣٧) الإحياء جـ٤ ص ٤٤٤ وهو فى الإحياء منسوب لعمر رضى الله عنه

(١٣٨) الآية رقم ٨٤ سورة مريم قال تعالى " فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا " ومعنى قوله تعالى " فلا تعجل عليهم " أى لا تعجل عليهم بأن يهلكوا أو يبيــدوا حتـــى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من

هلاكهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة . ونظيره قوله تعالى " ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ " الاحقاف : ٣٥.

وعن ابن عباس أنه كان إذا قرأها بكى وقال: آخر العدد خروج نفسك ، وآخر العدد دخول قبرك، وآخر العدد فراق أهلك. وعن ابن السماك رحمه الله : أنه كان عند المأمون فقرأها فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفذ.

وقال الرازى فى قوله تعالى "نعد لهم عدا " ذكروا فيها وجهين آخرين :
الأول: نعد أنفاسهم وأعمالهم فنجازيهم على قليلها وكثيرها .
الثانى: تعد الأوقات إلى وقت الأجل المعين لكل أحد الـــذى لا يتطـــرق إليـــه الزيـــادة والنقصان . أنظر مفاتيح الغيب جـ٢٠ ص ٥١٠ مجلد ١٠

٢١٠- وقال بعض الصلحاء: " اغتنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقتطع ذكر المعاذير والعلل فإنك فى أجل محدود، وتفيق معدود ، وعمر غير ممدود ".

٢١١- وقال غيره: اعمل عمل المرتحل فإنَّ حادى الموت يحدوك ليوم لـيس يعدوك فيطرحك فى حفرة لا يخافك فيها أحد ولا يرجوك ".

٢١٣- وكتب محمد بن يوسف إلي أخ له: "سلام عليك فإني أحمـد إليـك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإني محذرك من دار منقلبك إلي دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير[١٤٠] فيقعدانك وينتهرانك فـإن

([١٣٩]) أنظر الحلية جـ ٤ ص ٤٤٤ .

([١٤٠]) منكر ونكير

قال أبو هريرة قال النبىﷺ "إذا مات العبد أتاه ملكان أسـودان أزرقـان يقـال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ماكنت تقول فى النبى فإن كان مؤمنا قال هـو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيقولان ان كنا لنعلم أنـك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعاً وينور له فى قبره ثـم يقال له نم فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقا قـال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم إنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معـذبا حتـى يبعثه الله من مضجعه ذلك". وعن عطاء بن يسار قال: قال رسول اللهﷺ لعمـر بـن الخطاب رضى الله عنه كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثـة أذرع فى ثلاثة أذرع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثـم حملـوك حتـى يضعوك ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا إنصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكـر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وبصائرهما كالبرق الخـاطف يجـران أشـعارهما

يكن الله معك فلا فاقة ولا بأس ولا وحشة وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله يا أخي وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة النشور ونفخة الصور وقيام الخلائق لفصل القضاء، وامتلأت الأرض بأهلها والسموات بسكانها فباحت الأسرار وسعرت النار ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وجئ بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور ومعذب ومرحوم وكم من هالك وناج فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ وإن في هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر من الأمل وأيقظ النائم ونبه الغافل أعاننا الله وإياك علي هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا في قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فإنما نحن له وبه السلام ".

٢١٥- وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال: " أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدي[٤٠] وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للفصل والحكم فيما بينكم فخاب وشقى غداً عبداً أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شئ وجنة عرضها السموات والأرض وإنما يكون الامان غداً لمن خاف، واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً

ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلذك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر؟ فقال عمر ويكون معى مثل عقلى الآن ؟ قال نعم قال إذن أكفيكهما " الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور مرسلا ورجاله ثقات قال الغزالى فى هذا الحديث: "وهذا نص صريح فى أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شئ وليس العقل لمدرك هذه الأعضاء بل هو شئ باطن ليس له طول ولا عرض بل الذى لا ينقسم فى نفسه هو المدرك للأشياء ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذى لا يتجزأ أولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم. الاحياء جـ ٤ ص ٤٨٦-٤٨٧

(٤٠) قال تعالى " أيحسب الناس أن يتركوا سدى " القيامة آية ٣٦

بباق وشقاءً بسعادة ألا ترون أيها الناس أنكم فى أصلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أيها الناس أنكم تتبعون غادياً ورائحاً إلى الله – عزّ وجلّ – قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن قاع من الأرض غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وأيم الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما عندى لكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته ثم استغفر ووضع كفه على وجهه ولحيته وبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه ذلك حتى مات رحمه الله".(١٤٢)

٢١٦– ومما يروى من خطبه أيضاً: " أيها الناس إن الدنيا ليست بدار قراركم ولا محل إقامتكم إنما هى دار كتب الله عليها الفناء وأوجب منها على أهلها الرحيل فكم من عامر موقن عما قريب سيخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل سيرحل فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة واحملوا خير ما بحضرتكم للنقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

إن الدنيا كظل قلص فذهب

بينما ابن آدم فيه ينافس وعليها يضارب إذ دعاه الله لقدره ووافاه يوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه، وصير لآخرين مصارعه ومغناه إن الدنيا لا تَسرُ بمقدار ما تَضرُ إنها تَسرُ قليلاً وتُحزِن حزناً طويلاً"(١٤٣) .

٢١٧– وخطب المأمون يوماً فقال: " عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا واعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوها وتغوصوا فيها أيها

---

(١٤٢) الحلية ٥/٢٩٥

(١٤٣) الحلية ٥/٢٩٥

الناس استعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جُدَّ بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وأن غائباً يحدوه الحديدان لجدير بسرعة الأوبة وإن قادماً يقدم بالفوز أو بالشقوة لمستحق بأفضل العدة اتقى عند ربه ونصح نفسه وغلب شهوته وقدم شهوته توبته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى هجمت عليه منية أغفل ما يكون عنها وأنسى ما يكون لها وإن ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به فيا لها من حسرة على ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ولا تحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء فعال لما يشاء.

٢١٨ – وخطب الحجاج يوماً فقال: " أيها الناس: إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل".

٢١٩– وفى بعض الخطب المروية: " أيها الناس: إن الآمال تطوى والأعمار تفنى والأبدان تحت الثرى تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات وسلا عن اللذات ورغب فى الباقيات الصالحات".

٢٢٣– وقال بعض البلغاء:" لا تمت على غير وصية وإن كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو كائن كائن".

٢٢٤– وقال عبد الله بن مسعود: " ما منكم أحد إلا وهو ضيف وما له عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة" .

٢٢٥- وقال الحسن البصرى: " يا عجباً لقوم أمروا بـالمراد ونـودى فـيهم بالرحيل وحبس أولهم على آخرهم وهم مع ذلك قعود يلعبون".

٢٢٦- وقال بعض الحكماء: " ليس من الدين عوض ولا من الإيمان بدل ولا من الجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسَارُ به وإن لم يَسِر".

٢٢٧- وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه:" أيها الناس اتقوا الله الـذى إن قلتم سمع وإن ضمرتم علم، وبادروا الموت الذى إن أقمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم".

٢٣١ – وقال أبو محمد الزاهد: " خرجنا فى جنازة بالكوفة وخرج فيهـا داود الطائى فانتبذ فقعد ناحية وهى تدفن فجئته فقعدت إليه قريباً منه فتكلم فقال مـن خـاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آتٍ قريب واعلـم يـا أخى أن كل شئ شغلك عن الله تعالى فهو عليك مشئوم واعلم أن أهـل القبـور إنمـا يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يقدمون فما عليه أهل القبور تقدمون أهل الـدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون".

٣٢٢ – وقال محمد بن أبى توبة: " أقام معروف الكرخى الصلاة ثم قال لـى: تقدم فقلت: إن صليت لكم هذه الصلاة لم أصل لكم غيرها فقال: " أراك تحـدث نفسـك أنك تعيش حتى تصلى صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنـع مـن خيـر العمل".

٢٣٥- وقال بعض الحكماء: " عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على نقصان عمره وعجبت ممن الدنيا مدبرة عنه والآخرة مقبلة إليـه كيـف يشـتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة".

٢٣٦- وقال بعضهم: أيها الناس إن لكم معالم تستبقون إليها وإن لكم مـوارد تردون عليها وإن الحديدين يسيران بكم وإن لم تسيروا ويسرعان بكم وإن لم تسـرعوا وإن قصاركم الموت وإن بعد الشأو وامتدت الغاية وطال المدى فيرحم الله امرئً ضمر نفسه للسباق وساقها

٢٣٨- وقال ابن سعد: " يقال لأحدنا تريد أن تموت فيقـول: لا فيقـال: لـم ؟ فيقول: حتى أعمل عملا صالحاً فيقال: اعمل فيقول: سوف أعمل فلا يحب أن يمـوت ولا يحب أن يعمل فيؤخر عمل الله ولا يؤخر عمل الدنيا".

٢٣٩- وقال عيسى عليه السلام:" عجبت لثلاثة غافل ولـيس بمغفـول عنـه ومؤمل دنياً والموت يطلبه وبان قصراً والقبر مسكنه".

٢٤٠- وقال بعض الحكماء:" ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك ونصيب من جسمك".

٢٤١- وقال لقمان لابنه:" يا بنى أمر لا تدرى متى يلقاك استعد لـه قبـل أن يفجأك".

٢٤٥-وقال ميمون بن مهران: " خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقـابر فلما نظر إليها بكا ثم أقبل علىّ فقال: يا ميمون هذه قبور آبائى بنـى أميـة كـأن لـم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وطيب عيشهم، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المـثلات واستحكم فيهم البلاء وأصابت الهوام فى أجسامهم مقيلاً؟ ! ثم بكا وقال: والله ما أعلـم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله-عز وجلّ-"

٢٤٦ – وقال ثابت البناني: " دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها فإذا أنا بصوت يقول: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها".

٢٤٧– ويروى أن فاطمة بنت الحسين بن على: " نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقالت:

وكانوا رجاءً ثم عادوا رَزيةً   لقد عظمت تلك الرزايا وَجَلَّتِ

ثم ضربت على قبره فسطاطا(١٤٤) وأقامت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ليدخلوا المدينة فسمعوا صوتاً من جانب البقيع يعنى المقابر يقول: هل وجدوا ما طلبوا؟ فسمعوا صوتاً من الجانب الآخر يجاوبه يقول : بل يئسوا فانقلبوا".

٢٤٨– وقال أبو موسى التميمي: " توفيت النوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وقراؤها وفيهم الحسن بن أبى الحسن البصرى فقال الحسن للفرزدق: يا أبا نواس ما أعددت لهذا اليوم فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة وخمس.

واعلم رحمك الله أن الشئ الممكن وجوده(١٤٥) لا يعرف مقداره على الحقيقة إلا إذا عدم وفقد وطلب فلم يوجد كما قال القائل :

مر الشباب ولم أقدر له قدراً   ولم أجنه إلا بعدما انصرفا
والمرء يجهل قدر الشئ بجهله   حتى إذا فاته إمكانه عرفا

ألا ترى رحمك الله أن الصحة لا يعرف مقدارها إلا المبتلى(١٤٦)،وكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا الموتى، لأنهم قد ظهرت لهم الأمور، وانكشفت لهم الحقائق، وتبدت لهم

---

(١٤٤) الفسطاط بيت من شعْر .

(١٤٥)هو الشئ الذي يسبق وجوده العدم ويلى وجوده فناء أى الشئ المخلوق لله تعالى فالله تعالى هو واجب الوجود الموجود بذاته ليس مخلوقاً.

المنازل،وعلموا مقدار الأعمال الصالحة،إذ ليس ينفق هناك إلا عمل زكــي،ولا يرتفــع هنالك إلاعد نقى، وكلما ازداد هنا عملاً صالحاً كان هنالك ارفع أرفع درجة، وأشــرف رتبة،وأكثر وجاهة،وكلما ازداد فى الدنيا فضيلة كان أقرب إلى الله وسيلة،فلما اســتبان لهم ذلك وعلموا مقدار ماضيعوا،وقيمة ما فيه فرطوا ندموا وأسفوا، وودوا لو أنهم إلــى الدنيا رجعوا،وإلى حالتهم الأولى ردوا، وكل على حاله، فالذى عمل صالحاً ود أن لــو رجع إلى الدنيا فازداد من عمله الصالح، وأكثر من تجره الرابح، والمقصر يود لو أنــه رد فاستدرك ما فات ونظر فيما فيه فرط، والمفرط المهمل بالجملة يكون تمنيه للرجوع أكثر،وحرصه على الإقالة أشد، كل يتكلم عن حاله ويخبر عما هو فيه حتى قال الشهيد الذى يقتل فى سبيل الله لما قيل له ما تشتهى؟ قال : أريد أن أرجع إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى وذلك لما يرى من فضل الشهادة، وقال غيره:(رب لعلى أعمــل صــالحاً فيمــا تركت)[١٤٧]و:(يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) [١٤٨].

([١٤٦]) قيل الصحة تاج على رؤس الأصحاء لم يعرفها إلا المرضى .

([١٤٧]) الآية ١٠٠ من سورة " المؤمنون " وتمام الآية : " لعلى أعمل صالحا فيمــا تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون " . قال الزمخشرى فى تفسير الآية : " إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة علــى مــا فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه ، فسأل ربه الرجعة وقــال : (لعلــى أعمــل صالحا) فى الإيمان الذى تركته ؛ والمعنى لعلى آتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيــه صالحا ، وقيل فيما تركت من المال. وذكر الزمخشرى ما يفيد أن الذى يقول هذا القول هو الكافر دون المؤمن وذكر فى ذلك قول الرسولﷺ فقال " وعن النبيﷺ " إذا عــاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا : فيقول إلى دار الهمــوم والأحــزان لا بــل قدوما إلى الله ، وأما الكافر فيقول رب ارجعون " وقوله تعالى: " كلا " فهى ردع مــن طلب الردعة وإنكار واستبعاد ، وهذه الكلمة " لعلى أعمل صالحا " كلمة يقولها لا محالة ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم ، وهى كلمة هو قائلهــا وحــده لا

يجاب إليها ولا تسمع منه وذلك لأن أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعـــث " أنظر الزمخشرى الكشاف جـ ٣ ص ٤٢ .

([٤٨]) الآية ٥٣ من سورة الأعراف قال تعالى : " هل ينظرون إلا تأويله يــوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من

شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم مـــا كانوا يفترون " قال الرازى فى مفاتيح الغيب " بيد الله أنهم لما رأوا أنفسهم فى العـــذاب قالوا: " فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لناأو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل" والمعنى أنه لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين؛ وهو أن يشفع لنا شفيع فلأجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أويردنا الله تعالى إلى الدنيا حتـــى نعمل غير ما كنا نعمل بمعنى نوحد الله تعالى بدلا من الكفر ونطيعه بدلا من المعصيته" وقد بين الله تعالى أن الذي طلبوه لا يكون لأن ذلك المطلوب لو حصل لمـــا حكـــم الله عليهم بأنهم قد خسروا أنفسهم" ونقل الرازى قول الجبائى من المعتزلة بأن هـــذه الآيـــة تدل على حكمين :

قال الآية تدل على أنهم كانوا فى حال التكليف قادرين على الإيمان والتوبة فلذلك سألوا الرد ليؤمنوا ويتوبوا ولو كانوا فى الدنيا غير قادرين كما يقول " المجبرة " لم يكن لهم فى الرد فائدة ولا جاز أن يسألوا ذلك .

١- أن الآية تدل على بطلان قول المجبرة والذين يزعمون أن أهل الآخـــرة مكلفـــون لأنه لو كان كذلك لما سألوا الرد إلى حال وهم فى الوقت على مثلها بل كانوا يتوبـــون فى الحال. وأبطل بذلك ما حكى عن النجار وطبقته من قولهم " أن التكليف باق علـــى أهل الآخرة. "وانظر قوله تعالى: " فقالوا ياليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا ونكـــون مـــن المؤمنين" الأنعام ٢٧. جـــ١٣ ص ٩٢ – ٩٣ المجلد ٧.

فمن رأى قبرا فإنما رأى واعظا يعظ ومذكرا يذكره ، وإن كان القبر ساكنا فإنه ناطق بلسان الحال مفصح بما يكون منك فى المآل ، فكأنه انما يخاطبك

إنسان ويبين لك عاقبتك ويقول لك يا هذا كنت حياً مثلك وقد مُتُّ وكذلك أنت تموت وضيعت أمر ربى وكذلك أنت ضيعت أمر ربك ستندم.

٢٦٢ – وذكر مسلم بن حجاج من حديث أبى هريرة فقال: "زار النبىﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربى فى أن استغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فإنها تذكر الموت".

٢٦٣– وذكر أبو داود – من حديث بريدة بن حصيب قال : قال رسول الله ρ " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فى زيارتها تذكرة"[١٤٩] .

---

(١٤٩) زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار ، وقد كان رسول اللهﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد. روى عن على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة غير أن لا تقولوا هجراً " . وقال ابن أبى مليكة أقبلت عائشة رضى الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخى عبد الرحمن فقالت أليس كان رسول اللهﷺ نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء بالخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر على رءوس المقابر فلا يغنى خير زيارتهن بشرها ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم ، والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها ، نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على

٢٦٤- وذكر النسائى عن بريدة أيضاً عن النبىﷺ قال : " من أراد أن يــزور قبراً فليزره ولا تقولوا هجراً[١٥٠] ".

٢٦٦- ويروى هذا من حديث أبى هريرة موقوفاً قال:" فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام"[١٥١] .

٢٦٨- وذكر النسائى عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول اللهﷺ: " إن لله ملائكة سياحين يبلغوننى من أمتى السلام"[١٥٢] .

٢٦٩- وذكر أبو داود من حديث أبى هريرة أن رسول اللهﷺ قال: " ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام".

٢٧١ – وكانﷺ إذا أتى المقابر قال : " السلام عليكم أهل الديار من المــؤمنين والمسلمين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أســأل الله العافية لنا ولكم"[١٥٣] .

الدعاء ترك الحديث على رأس القبر " إحياء علوم الدين الغزالــى جــــ ٤ ص ٤٧٤ : نكــر الحديث ابو داود جــ ٣ ص ٢١٨.

(١٥٠) النسائى ٩٠/٤

(١٥١) إحياء علوم الدين جــ ٤ ص ٤٧٥

(١٥٢) النسائى ٤٣/٢ وأخرجه الحاكم فى مستدركه ٤٢١/٢ والبغوى فــى شــرح السنة ١٩٧/٣ .

(١٥٣) مسلم فى الجنائز جــ ٢ ص ٦٧١ الحديث رقم ٩٧٥/١٠٤ ولم يــذكر فيــه قوله " أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع " وأخرجه النسائى ٩١/٤ .

٢٧٢- وكان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر، وكـذلك أبيحت زيارة القبور للنساء أيضاً كما أبيحت للرجال وأبيح لهن البكاء عند القبور كمـا أبيح للرجال.

٢٧٣- مر النبيﷺ بامرأة تبكى عند قبر على صبى لها فقال : لها :" اتقـى الله واصبرى فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه فلما ذهب ؟ قيل لهـا : إنه رسول اللهﷺ فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد عليه بوابين فقالت يارسول الله لم أعرفك. فقال لها: إنما الصبر عند الصدمة الأولى. والحديث صحيح. مشـهور ذكـره مسلم [١٥٤] والبخاري[١٥٥] وغيرهما ولو كان بكاء النساء عند القبور وزيـارتهن لهـا

---

(١٥٤) فى كتاب الجنائز جـ ٢ ص ٦٣٧ حديث رقم ٦٢٦/١٥ من حديث بربـرة وفيه نسخ النهى عن ذلك ولفظه " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها".

(١٥٥) فى الجنائز جـ ٣ص ١٤٨ الحديث رقم ١٢٨٣ .

أخرجه أبو داود جـ ٣ ص ١٩٢ زاد ابو داود فإنها تذكرة الآخرة ، الترمزى رقم ٩٨٧ ،٨٨ ، والنسائى ٢٢/٤ والبيهقى فى الكبرى ٦٥/٤ قـال الحـافظ بـن الحجـر العسقلانى فى رواية لمسلم أن المرأة كانت " تبكى على ولدها ولفظه " تبكى على صبى لها" وقال القرطبى فى قول الرسولﷺ" اتقى الله " الظاهر أنه كان فى بكائها قدر زائـد من نوح أو غيره ولهذا أمرها بالتقوى، ويؤيد قول القرطبى أن فى مرسل يحي بن أبى كثير " فسمع منها ما يكره فوقف عليها " . وقال الطيبى: "قوله اتقى الله توطئة لقولـه " وأصبرى" كأنه قيل لها خافى غضب الله إن لم تصبرى ولا تجزعى ليحصل لك الثواب وقول المرأة إليك عنى معناه تنح وابعد وذلك لأن المرأة ما عرفت رسول اللهﷺ. قـال الزين بن المنير كان للمرأة العذر فى أنها لم تعرفه لأنه كان من شأنه أن لا يتخذ بوابـا مع قدرته على ذلك تواضعا ، وكان من شأنه أن لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى كمـا جرت عادة الملوك والأكابر ، فلذلك اشتبه على المرأة فلم تعرفه مع ما كانت فيه مـن

حراماً لنهاها ﷺ ولزجرها زجراً يزجر بمثله من أتي محرماً وارتكب منهياً فـذلك هـو المنهي عنه.

شاغل الوجد والبكاء . ومعنى " إنما الصبر عند الصدمة الأولى " كما قال الخطابي إن الصبر الذى يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنـه على الأيام يسلو ، وحكى الخطابى عن غيره أن المرء لا يؤجر على المصـيبة لأنهـا ليست من صنعه وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره .

وفى الحديث جواز زيارة القبور للنساء، وقال الحافظ فيها خـلاف وذكـر قـول النووى تبعا للعبدرى والحازمى وغيرهما: اتفقوا على أن زيارة القبور للرجال جائزة ، قال الحافظ كذا أطلقوا وفيه نظر لأنه روى فى ذلك الكراهة مطلقا حتى قال الشـعبى: لولا نهى النبى ﷺ لزرت قبر ابنتى، فلعل من أطلق زيارة القبور أراد بالإتفاق ما استقر عليه الأمر بعد هؤلاء وكأن هؤلاء لم يبلغهم الناسخ . ومقابل هذا قول ابن حـزم: إن زيارة القبور واجبة ولو مرة واحدة فى العمر لورود الأمر به، واختلف فى النساء فقيل: دخلن فى عموم الإذن وهو قول الأكثر ومحله ما إذا أمنت الفتنه ، ويؤيد جواز زيـارة القبور للنساء هذا الحديث الذى نحن بصدد شرحه، وموضعه الدلالة منه أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر ، وتقريره حجة. وقد زارت عائشة رضى الله عنها قبـر أخيها عبد الرحمن فقيل لها: أليس قد نهى النبى ﷺ عن ذلك فقالت نعم كان قد نهى ثـم أمر بزيارتها.

وقيل الإذن خاص بالرجال ولا يجوز للنساء زيارة القبـور. اختلـف مـن قـال بالكراهة فى حقهن هل هى كراهة تحريم أو تنزيه؟ قال القرطبى: هذا اللعن إنمـا هـو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلـك من تضيع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك، فقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء. انظـر فـتح البارى جـ ٣ ص ١٤٨ - ١٤٩

واعلم أن الميت كالحي فيما يعطاه ويهدي إليه بل الميت أكثر وأكثر لأن الحى قد يستقل ما يهدى إليه ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح البعوضة أو وزن مثقال الذرة لأنه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه ومما يدلك علي صحة وصول ما يهدي الحي للميت قولة علية السلام: " إذا مات الإنسان انقطع عملة إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له"(١٥٦) دعاء الولد يصل إلي والدة وينتفع به، وكذلك أمره علية السلام بالسلام علي أهل القبور والدعاء لهم ما ذاك إلا لكون ذلك الدعاء لهم وعليهم يصل إليهم والله اعلم.

٢٧٧- ويروي عنة علية السلام أنة قال: " الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنة أو أخيه أو صديق له فإذا ألحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها(١٥٧) "والأخبار في هذا الباب كثيرة .

---

(١٥٦) أخرجه مسلم فى الوصيةجـ١٣ ص١٢٥٥ الحديث ١٦٣١/١٤ أنظر شرح مسلم١١/٨٥ أتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعى الأحياء بأمرين: أحدهما: ما تسبب إليه الميت فى حياته والثانى دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج، والصحيح ما قال به عامة العلماء أن ثواب الحج للمحجوج عنه. والحديث الذى أورده المصنف عن الرسولﷺ يخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه فى الحياة ؛ فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذى خلفه من تعليم أو تصنيف ، وكذلك الصدقة الجارية وهى الوقف، ومالم يكن تسبب فيه فى الحياة فهو منقطع عنه. أنظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١. وشرح صحيح مسلم للنووى ١١/٨٥.

(١٥٧) قد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له فى صلاة الجنازة والأدعية التى وردت بها السنة فى صلاة الجنازة مستفيضة وكذا الدعاء له بعد

٢٨٠- ورأيت لبعض من يوثق به قال: " ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات القرآن فأهديتها[١٥٨] لها ودعوت الله-عز وجل - واستغفرت وسألت فلما كان اليوم

الدفن ففى سنن أبى داود فى أحكام الجنائز من حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنـــه قال: كان النبىﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال " استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل. وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم ، كما فى صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب، قال كان رسولﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلـــى المقـــابر أن يقولوا: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقـــون، نسأل الله لنا ولكم العافية ".

(١٥٨) هداية قراءة القرآن من الحى إلى الميت تنفعه. جـــاء فـــى شـــرح العقيـــدة الطحاوية إن استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت لم يفعله أحد من الســـلف ، ولا أمر به أحد من أئمة الدين ولا رخص فيه والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بـــلا خلاف. ووصية الميت بأن يعطى شئ من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره باطلـــة وأمـــا قراءة القرآن وإهداؤها له بغير أجر ، فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج.

واختلف العلماء فى قراءة القرآن عند القبور على ثلاثة أقوال: هـــل تكـــره أم لا بأس بها وقت الدفن وتكره بعده؟ فقد قال بكراهتها أبو حنيفة ومالك وأحمد فـــى روايـــة قالوا: لأنه محدث لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبـــور منهـــى عنها، فكذلك القراءة وقال لا بأس بالقراءة محمد بن الحسن وأحمد فى روايه واستدلا بما نقل عن ابن عمر رضى الله عنه، أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، ونقل أيضا عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة. ومن قال لا بأس بها وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين، وأما بعد ذلك كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة ولـــم

الثاني حدثتني امرأة تعرفني وتعرفها قالت لي: رأيت البارحة فلانة في النوم- تعني الميتة المذكورفي مجلس حسن في دارحسنة وقد أخرجت لي أطباقا من تحت سريركان في البيت والأطباق مملوءة قوارير فقالت لي: يا فلانة هذا أهداه لي صاحب بيتي قال: وما كنت أعلمت بما أهديت من ذلك أحداً "

٢٨١- وقال أبو قلابة: " أقبلت من الشام إلي البصرة فمررت علي مقابر فنزلت الخندق فتوضأت وصليت ركعتين ثم وضعت رأسي علي قبر فنمت فإذا صاحب القبر في المنام قد وقف لي فقال لي : يا هذا لقد آذيتني منذ الليلة – يعني بوضع رأسه علي قبرة – ثم قال: جزي الله أهل الدنيا خيراً فإنة لا يزال يدخل علينا من دعائهم أمثال الجبال فأقرئهم مني السلام " .

فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنة ميت، وأنة قد لحق بهم، ودخل في معسكرهم، وأنة محتاج إلي ما هم إلية محتاجون، وراغب فيما فيه يرغبون، فليأت إليهم ما يجب أن يؤتي إلية، وليتحفهم بما يحب أن يتحف به، وليتفكر في تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم، ويتفكر أحوالهم، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلي بحديثهم من النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم ، وليتفكر أيضا في انشقاق الأرض[١٥٩]

ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً. وقيل وهذا القول لعله أقوى من غيره لما فيه من التوفيق بين الدليلين " شرح العقيدة الصحاوية ص ٤٠٧-٤٠٩ . .

(١٥٩) قال تعالى: " يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير " سورة ق آية ٤٤ وقال تعالى: "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم". الزلزله آية ١-٦ قال الزمخشرى زلزلت الأرض هذه الزلزله

وبعثرة القبور[٦٠]، وخروج الموتي[٦١] وقيامهم مرة واحدة حفاة عراة غرلاً[٦٢]، مهطعين إلي الداعي مسرعين[٦٣] إلي المنادي[٦٤] واعلم: أن قبور الصالحين لا تخلوا

الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء" . الكشاف جـ ٤ ص ٢٧٦

(٦٠) بعثرة القبور. قال تعالى: "وإذا القبور بعثرت" سورة الانفطار آية ٤ قال الرازى والزمخشرى بعثر وبحثر بمعنى واحد ، ومركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليها والمعنى كما ذكر الرازى أثيرت وقلب أسفلها أعلاها وباطنها ظاهرها . وقال ههنا وجهان: **أحدهما** أن القبور تبعثر بأن يخرج ما فيها من الموتى أحياء ، كما قال تعالى : " وأخرجت الأرض أثقالها". **والثانى** : أنها تبعثر لإخراج ما فى بطنها من الذهب والفضة وذلك لأن من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من ذهبها وفضتها ، ثم يكون بعد ذلك خروج الموتى . وقال الأول أقرب لأن دلالة القبور على الأول أتم . مفاتيح الغيب جـ ٣١ ص ٢٥١ مجلد ١٦.

(٦١) خروج الموتى: قال تعالى عن أمر القيامة: " فاستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج سورة ق : ٤١ – ٤٣. فالمبعوثون يسمعون الصيحة وهى نفخة الأحياء فيحيون بأولها ويسمعون بآخرها فإنها تمتد حتى قال بعضهم أولها الإحياء وآخرها الإخراج من الحفر كمن أيقظ نائما ثم أزعجه فقام فأخرها لإزعاجهم وهم أحياء حيث يسمعوها . فأما لو أنهم لم يسمعوا فإنها قبل أن يحيوا وقال " يسمعون الصيحة بالحق " قيل على الحقيقة وقيل عليه بالوعد والقسط وقال سبحانه: " فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة " النازعات ١٣ – ١٤ ، والزجرة النفخة الأخيرة للأحياء بخروجهم بها من بطون قبورهم إلى أرض القيامة، فالساهرة فى اللغة هى وجه الأرض وعند بعضهم فصل عند شفير جهنم فيه يكون الفصل ، وقال بعضهم بالشام موضع ملقب بالساهرة يعرفه أهل الشام.

وفيه اختلاف فى هيئة القائمين من قبورهم قالﷺ: " تبعثون يوم القيامة على هيئاتكم حين تنامون " السيوطى الدر المنثور ٢١٦/٢. ومن بعض التابعين: " وإذا أردت أن تعلم كيف صفتك حين تموت فانظر إلى هيئتك حين تنام فإذا أردت أن تعلم كيف تبعث فانظر إلى حالك كيف تستيقظ من نومك فإن كنت تستيقظ ذاكراً تبعث كذلك ذاكراً. أنظر صفة أشراط الساعة محمد بن أحمد السرخسى.

قد جاء في حديث صحيح عن النبىﷺ قال: (كأنى بأهل " لا إله إلا الله " يحشرون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد الله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) فتح البارى ٦٤/٤.

(١٦٢) قال الشيخ الإمام رحمه الله قولهم حفاة عراة لأن الأموال قد خلفت والدنيا قد ذهبت وتلاشت ثم هم غلف كأنهم لم يختتنوا لأن الله تعالي يعيدهم كما بدأهم أول مرة قال تعالى: " كما بدأكم تعودون " الأعراف ٢٩.

وجاء في البخارى كتاب الرقاق ٤٥ أن النبىﷺ قال لما يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة قالت عائشة رضى الله عنها: وا سوأتاه ينظر بعضنا إلى عورة بعض قال النبى ص يا بنت أبى قحافة يشتغل الناس يومئذ عن النظر أى لا ينظر بعضهم إلى سوءة بعض. صفة أشراط الساعة. ص ٦٧.

(١٦٣) قال تعالى: "يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون " المعارج ٤٣ ومعنى الآية: أنهم يوم يخرجون من الأجداث يسرعون إلى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصارهم " يوفضون : يسرعون مفاتيح الغيب جـ٣٠ ص ٧٣٣ المجلد ١٥.

(١٦٤) قال تعالى: " واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب " ق ٤١.قال الرازى: المناد إما أن يكون هو الله تعالى أو الملائكة أو غيرهما وهم المكلفون من الإنس

من بركة وأن زائرها والمسلم القارئ عندها والداعي لمن فيها لا ينقلب إلا بخيـــر ولا يرجع إلا بأجر.

باب ذكر منامات رؤيت لبعض الصالحين تدل علي ما هم فيه من الخير

٢٩٠- وقد قال علية السلام: " إن الرسالة والنبوة[١٦٥]قد انقطعت فلا رســول بعدي ولا نبي فشق ذلك علي المسلمين فقال: لكن المبشرات قالوا: يا رســول الله ومــا المبشرات؟

والجن فى الظاهر وغيرهم لا ينادى. فلو كان المنادى هو الله تعالى ففيــه وجــوه: ١- ينادى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم " الصافات ٢٢ ، ٢- ينادى " ألقيا فى جهنم كــل كفار عنيد " ق : ٢٤ مع قوله " ادخلوها بسلام ومثله قوله تعالى: " خــذوه فغلــوه" ٣- غيرهما لقوله تعالى: " يناديهم أين شركائى" وأما إذا كان المنادى غير الله ففيه وجــوه أيضاً:

١ــ قول إسرافيل أيتها العظام البالية اجتمعوا للوصل واستمعوا للفصل.

٢- النداء مع النفس يقال للنفس " ارجعي إلى ربك لتدخلى مكانك من الجنة أو النــار.

٣- ينادى مناد هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، كما قال تعالى: " فريق في الجنة وفريق في السعير " وأما إذا كان المنادى هو المكلف فيحتمل أن يقال هو ما بين الله تعالى في قوله " ونادوا يا مالك " ويقول الرازى وقد اختاره الزمخشرى أيضاً أن الظــاهر أن المــراد الملك وهو إسرافيل لأن قوله المنادى للتعريف وكون الملك فــي ذلــك اليــوم مناديــا معروف عرف حاله وإن لم يذكر. "أنظر مفاتيح الغيب جــ ٢٨ ص ٤٧٥ المجلد ١٤" "والكشاف للزمخشرى جــ٤ ص ١٢" وقال الزمخشرى " والمنادي إسرافيل ينفخ في الصــور وينــادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشــعور المتفرقــة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقال الزمخسرى: قيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينــادى بالحشر.

([165]) **الرسول والنبي .**

النبي في اللغة تعنى الطريق. والنبوة هي ما أرتفع من الأرض كالنبوة والنبـــي وأنبـــأه الخبر وبالخبر أخبره. واستنبأ النبأ بحث عنه ونبأه ونابأه أنبـــأ كـــل منهمـــا صـــاحبه "القاموس المحيط". وعلى ذلك فالنبي لغة قد يكون مأخوذاً من النباوة وهـــي الارتفـــاع وذلك لارتفاع مكانة النبي وسموها عند الله والناس ، وقد يكون مأخوذاً من النبي وهـــو الطريق لكونه هو الطريق الذى يصل الخلق من خلاله إلى الحق سبحانه، وقـــد يكـــون مأخوذاً من النبأ وهو الخبر لأنه يخبر عن ربه.

الرسول في اللغة :

الإرسال هو التوجيه، والرسول المرسل ويستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمـــع وقال السيد في التعريفات الرسول في اللغة هو الذى أمره المرسل بأداء الرسالة للســـيد بالتسليم أو القبض وتجمع أيضا على الرسل.

وقد اختلف العلماء بالنسبة إلى تعريف النبي والرسول وهل هو بمعنى واحد أم **مختلفين إلى طائفتين أساسيتين. الأولى منهما ذهبت إلى القول بأن النبيوالرسول بمعنى واحد فالنبي هو الرسول والرسول هو النبي ولا فرق بينهما. فالرسول من الألفاظ المتعدية أى لابد وأن يكون هناك مرسل ومرسل إليه ، وهو على إطلاق اللفظ المرسل من جهة الله تعالى.**

والنبي بمعنى النبئ هو المبعوث من الله تعالى أيضاً المخبر عنه " شرح الأصول الخمســة ص ٥٦٨. وعلى ذلك فلا يوجد فرق بين نبئ ورسول في الإخبار عـــن الله ولا فرق أيضاً – عند هذه الطائفة – بين نبي ونبئ من حيث صحة إطلاقها علي الرســـول فإذا اتصف بأنه نبئ فيكون المخبر عن الله ، وإذا اتصف بأنه نبي أى رفيـــع المقـــام، وهي تستعمل في كل رفعة ولكنها صارت في الشريعة والتعارف تستعمل فـــي رفعـــة مخصوصة، ودليل هذه الطائفة على المساواة بين الرسول والنبي فـــي الشـــرع أنهمـــا

يثبتان معاً ويزولان معاً فى الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفــى الآخــر لتنـــاقض الكلام. وقالوا إن هذا هو أمارة إثبات كل من اللفظين المتفقين فى الفائدة.

وذهبت الطائفة الثانية إلى أن بين النبى والرسول اختلافا فى المفهــوم وهــؤلاء استندوا فيما ذهبوا إليه من الاختلاف بين النبى والرسول إلى أدلة من الكتاب والســنة. فمن الكتاب قوله تعالى: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنــى ألقــى الشيطان فى أمنيته "سورة الحج آية ٥٢" ، قالوا إن هذه الآية عطفت النبى على الرســول والعطف يقتضى المغايرة، ولو كانا بمعنى واحد ما عطف أحدهما على الآخر. وأمــا السنة فقد ورد أن أصحاب الرسولﷺ قد سألوه عن عدد الأنبياء فقــال : مائــة ألــف وأربعة وعشرون ألفاً ثم سألوه عن عدد الرسل فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً ثم سألوه عن عدد الكتب فقال مائة كتاب وأربعة كتب.

وقد اختلفت هذه الطائفة فيما بينها على أقوال: فمنهم من ذهب إلى أن الرســول هو صاحب شريعة جديدة موحى بها عن طريق الوحى ويكون مأموراً بتبليغهــا إلــى الناس،وأن النبى من أختص بشرع من عند ربه للتعبد به فى نفسه ولم يكــن مــأموراً بالتبليغ "الفتوحات المكية" والفرق بينهما على هذا الــرأى أن الرســول والنبــى كلاهمــا صاحب شريعة إلا أن الرسول مأمور بالتبليغ.

ومنهم من ذهب إلى أن الرسول من جمع مع المعجزة كتابا منزلا عليه كالتوراة بالنسبة لموسى والإنجيل بالنسبة لعيسي والقرآن بالنسبة لمحمد صــلوات الله وســلامه عليهم أجمعين، والنبى من لا كتاب له كيوشع وغيره من بنى إســرائيل فهــم بمثابــة المساعدين للرسل " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين جـ٢ ص ٥ ،٦ " والفرق بينهما أن كلاً منهما مأمور بالتبليغ إلا أن الرسول صاحب كتاب وشرع، أما النبى فلا كتاب له يخصه كأن يبلغ شريعة من قبله من الرسل.

قال: رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة " وقد فسر قوله تعالي: (لهم البشري في الحياة الدنيا)[يونس:٦٤] أنها الرؤيا الصالحة ذكر الحديثين الترمذي .

وقيل بينهما عموم وخصوص من جهة فالرسول عام من جهة إطلاقه علـــى الملـــك والبشر. قال تعالى: " الله يصطفى رسلاً من الملائكة والناس. إن الله ســـميع بصـــير " الحج آية ٧٥ .

والنبى لا يطلق إلا على البشر فيكون خاصا من هذه الجهة ومن ناحية أخـــرى فالرسول خاص من جهة أنه يأتيه الملك بالوحى ، والنبى عام من هذه الجهة لأنه يوحى إليه فى المنام ويأتيه الوحى كالرسول " تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس ص٧ " .

التفرقة بين النبى والرسول ليس لها دليل قاطع فالشرع يســـوى بـــين النبـــى والرسول سواء كان فى التبليغ أو فى إنزال الكتاب قال تعالى: " يا أيها الرسول بلغ مـــا أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " المائدة ٦٧. وقال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " فالآية الأولى صريحة فى أمر الرســـول بتبليغ الرسالة والآية الثانية المفهوم منها أن النبى أيضاً مأمور بـــالتبليغ لكونـــه مبشـــر ومنذر ، ولا يكون النبى مبشر ومنذر إلا إذا كـــان هنـــاك مـــن الأوامـــر والنـــواهى والتعليمات التى بها يكون مبشر ومنذر. وقال تعالى : " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلـــى نوح والنبيين من بعده " الخطاب هنا للرسولﷺ والآية تدل على أن الرسول يوحي إليه والنبيين كذلك. ولعل هناك فرقاً هو أن الرسول من كان معه شرع جديد والنبي ينـــذر بشرع من سبق من الرسل.

٢٩١- قال مسلم: من حديث أبي هريرة عن النبيﷺ قال: " الرؤيا الصالحة بشري من الله[١٦٦] وقال: " رؤيا المسلم يراها أو تري له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة[١٦٧].

([١٦٦]) قال الرازى في تفسير الآية: أن فيها أقوال:

لقول الأول: المراد منه الرؤيا الصالحة، عن النبيﷺ أنه قال: " إن البشرى هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له " وعنهﷺ "ذهبت النبوة وبقيت المبشرات " وعنهﷺ " الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلم يخافه فليتعوذ منه وليبصق عن شماله ثلاث مرات فإنه لا يضره " وعنهﷺ " أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزاءاً من النبوة ". وعن ابن مسعود الرؤيا ثلاث الهم يهم به الرجل من النهار فيراه في الليل، وحضور الشيطان، والرؤيا التي هي الرؤيا الصادقة. وعن إبراهيم الرؤيا ثلاثة فالمبشرة من الله جزء من سبعين جزء من النبوة والشيء يهم به أحدكم بالنهار فلعله يراه بالليل، والت خويف من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يحزنه فليقل " أعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر رؤياي التي رأيتها أن تقرني في دنياي أو في آخرتى " وعلى ذلك فالرؤيا الصادقة لا تحصل إلا لولى الله فهو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله.

القول الثاني: أنها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم إياه بالثناء الحسن عن أبى ذر قال: "قلت يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس: فقال " تلك عاجل بشرى المؤمن "

القول الثالث: أنها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت قال تعالى : " تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة " فصلت ٣٠". وأما البشرى في الآخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال تعالى: "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ".

القول الرابع: أن ذلك عبارة عما بشر الله عباده المتقين في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه من جنته وكريم ثوابه. ودليله قوله تعالى: " يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان "

التوبة ٢١ انظر مفاتيح الغيب جــ١٦ ص ٤٠٣-٤٤ مجلد ٨. أخرجه مسلم في الرؤيا ١٧٧٣/٤ رقم ٢٢٦٣/٦.

(١٧) أخرجه البخاري في التعبير جــ١٢ ص٣٧٣ الحديث رقم ٦٩٨٧ ومسلم في الرؤيا ١٧٧٤/٤ الحديث ٢٢٦٤/٧ كلاهما بلفظ " رؤيا المؤمن " وقوله "من النبوة" قال بعض الشراح كذا هو في جميع الطرق وليس في شئ منها بلفظ من "الرسالة" بدل " من النبوة " وكان السر فيه أن الرسالة تزيد عن النبوة بتبليغ الأحكام للمكلفين بخلاف النبوة المجردة فإنها إطلاع على بعض المغيبات وقد يقرر بعض الأنبياء شريعة من قبله ولكن لا يأتى بحكم جديد مخالف لمن قبله. فتح الباري حــ١٢ ص ٣٧٤.

والرؤيا هي ما يراه الشخص في منامه. قال الراغب والرؤية بالهاء إدراك المرء بحاسة البصر ، وتطلق علي ما يدرك بالتخيل نحو أرى أن زيداً مسافر، وعلى التفكير النظري نحو " أي أرى ما لا ترون " وتطلق الرؤيا أيضاً على الرأي وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن. وقال القاضي أبو بكر بن العربي الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك أو شيطان إما بأسمائها أي حقيقتها وإما بكناها أي بعبارتها وإما تخليط ، ونظيرها في اليقظة. الخواطر فإنها قد تأتى على نسق فى قصة وقد تأتى مسترسلة غير محصلة. وذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أنها اعتقادات واستدل علي ذلك بأن الرائي قد يري نفسه بهيمة أو طائرا مثلا وقال ليس هذا إدراكا موجب أن يكون اعتقاداً لأن الاعتقاد قد يكون علي خلاف المعتقد. واختار العربي الرأى الأول القائل أنه إدراكات وقال الذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل ، فالإدراك إنما يتعلق به لا بأصل الذات ، وقال المازرى : كثر الناس في حقيقة الرؤيا والصحيح ما عليه أهل السنة أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فإذا خلقها فكأنه جعلها علماً (دليلا) علي أمور أخرى يخلقها فى ثانى الحال ، ومهما وقع منها علي خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أن الله خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع

٢٩٢- ومن حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " الرؤيا الصالحة(١٦٨) من العبد الصالح جزء من ستين(١٦٩) جزءاً من النبوة"(١٧٠) ذكر هذا مسلم وغيره. وإذا ثبت صلاح العبد صدقت رؤياه.

بعدها ما يسر أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله. وقال القرطبي الرؤيا من إدراكات النفس والنفس لا يعلم حقيقتها، وإذا كان كذلك فالأولى أن لا نعلم علم إدراكاتها، بل كثير مما إنكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أمورا جمليه لا تفصيليه." إنظر فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٥٣ .

ورؤيا الأنبياء وهى بخلاف غيرهم، فالوحى لا يدخله خلل لأنه محروس بخلاف رؤيا غير الأنبياء فإنها قد يحضرها الشيطان، وجميع المرائى تنحصر على قسمين: الرؤيا الصادقة وهى رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين وقد تقع لغيرهم بنذور وهى التى تقع فى اليقظة وعلى وفق ما وقعت فى النوم، والأضغاث وهى لا تنذر بشئ وهى أنواع: **الأول** تلاعب الشيطان ليحزن الرائى كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه أو رأى أنه واقع فى هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك ، **الثانى** أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلاً ونحوه من المحال عقلا، **الثالث** أن يرى ما تتحدث به نفسه في اليقظة أو تتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت به عادته فى اليقظة أو ما يغلب على مزاجه ويقع عن المستقبل غالباً وعن المحال كثيراً وعن الماضي قليلا. فتح البارى جـ١٢ ص ٣٥٤ .

(١٦٨)**قال المهلب** المراد غالب رؤيا الصالحين لأن الصالح قد يرى الأضغاث ولكنه نادر لغلبة تمكن الشيطان منهم بخلاف غير الصالحين فإن الصدق في رؤياهم نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم وقال: فالناس على هذا ثلاث درجات: الأنبياء ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير، والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير ؟ ومن عداهم يقع فى رؤياهم الصدق

والأضغاث وهى على ثلاثة أقسام : مستورون فالغالب استواء الحال فى حقهم، وفسقه الغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق، وكفار ويندر فى رؤياهم الصدق جداً ويشير إلى ذلك قولهﷺ "وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً" وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما فى رؤيا صاحبى السجن مع يوسف عليه السلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك.

(٦٩) قال الحاكم العسقلانى " جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوه " أن الأكثر في الأحاديث ذلك " ستة وأربعين " ولمسلم من حديث أبى هريرة " جزء من خمسة وأربعين " ووقع عند مسلم أيضا من حديث ابن عمر " جزء من سبعين جزء " وأخرج ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت عن أنس مرفوعا " جزء من ستة وعشرين " وعن العباس بن عبد المطلب " جزء من خمسين جزء من النبوة " وللترمزى جزء من أربعين جزء". انظر فتح البارى جـ١٢ ص ٣٦٢-٣٦٣ .

(٧٠)قال القاضى أبو بكر بن العربى: رؤيا المؤمن الصالح هى التى تنسب إلى أجزاء النبوة، ومعنى صلاحها استقامتها وانتظامها، والفاسق لا تعد رؤياه فى أجزاء النبوة. وقيل تعد من أقصى الأجزاء ، وأما رؤيا الكافر فلا تعد أصلا. وقال القرطبى: المسلم الصادق الصالح هو الذى يناسب حاله حال الأنبياء فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء وهو الاطلاع على الغيب ، وأما الكافر والفاسق والمخلط فلا، ولو صدقت رؤياهم أحيانا فذاك كما قد يصدق الكذوب، وليس كل من حدث عن غيب يكون خبره من أجزاء النبوة كالكاهن والمنجم. " فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٦٢ "

وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبىﷺ فقيل فى الجواب إن وقعت الرؤيا من النبى فهى جزء من أجزاء النبوة حقيقية وإن وقعت من غير نبى فهى جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز.

٢٩٣ -ذكر البخاري من حديث أم العلاء وكانت ممن بايعت رسول اللهﷺ قالت:" طار لنا عثمان بن مظعون في السكني حيث أقرعت الأنصار علي سكني المهاجرين فاشتكي فمرضناه حتي توفي ثم جعلناه في أثوابه فدخل علينا رسول اللهﷺ قلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال: وما يدريك أن الله أكرمه ؟ قلت: لا أدري والله؟ قال: أما هو فقد جاءه اليقين إني لأرجو له الخير من الله؛ والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي(١٧١)

وقال الخطابى قيل معناه أن الرؤيا تجئ على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة ، وقيل المعنى أنها جزء من علم النبوة لأن النبوة وان انقطعت فعلها باق. وقال ابن بطال: كون الرؤيا جزءاً من أجزاء النبوة مما يستعظم ولو كانت جزءا من ألف جزء، فيمكن أن يقال إن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام لغة فعلى هذا المعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه ، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة فى صدق الخبر. وقال المازرى: يحتمل أن يراد بالنبوة فى هذا الحديث الخبر بالغيب لا غير وإن كان يتبع ذاك إنذار أو تبشير فالخبر بالغيب أحد ثمرات النبوة "وهو غير مقصود لذاته لأنه يصح أن يبعث نبى يقرر الشرع ويبين الأحكام وإن لم يخبر فى طول عمره بغيب ولا يكون ذلك قادحا فى نبوته ولا مبطلا للمقصود منها، والخبر بالغيب من النبي لا يكون إلا صدقا ولا يقع إلا حقا " فتح البارى ج١٢ص ٣٦٣.

(١٧١) قال تعالى " قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم" الأحقاف وقول الرسول: "والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى"موافقة للآية الكريمة وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " لأن الأحقاف مكية والفتح مدنية بلا خلاف فيهما، وقد ثبت أنهﷺ قال " أنا أول من يدخل الجنة " وغير ذلك من الأخبار الصريحة فى معناه، فيحتمل أن يحمل الإثبات فى ذلك على العلم المجمل، والنفى على الإحاطة من حيث التفصيل " جـ ٣ ص ١١٦ كتاب الجنائز فتح البارى.

قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعدة؛ قالت: فأحزني ذلك فنمت فرأيــت[١٧٢] لعثمــان بــن مظعون في النوم عيناً تجري[١٧٣] فجئت رسول الله ρ فذكرت ذلك له فقال: ذلك عملـــة يجري له[١٧٤] ".

٢٩٤-ويروي عبد الرحمن بن غنم أنة قال:" رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث سنوات علي فرس أبلق وخلفه كرجال أهل مني رجال بيض عليهم ثياب خضـــر علـــي خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني مـــن المكرمين[١٧٥]) يس :٢٦،٢٧. ثم التفت عن يمينه وشماله يقول: يا ابن رواحه يـــا

---

(١٧٢) ذكر ابن بطال الاتفاق على أن رؤيا المؤمنة الصالحة داخلة فـــى قولـــه " رؤيا المؤمن الصالح جزء من أجزاء النبوة ".

(١٧٣) قال المهلب العين الجارية فى المنام تحتمل وجوهاً: فإن كان ماؤها صـــافيا عبرت "فسرت " بالعمل الصالح وإلا فلا. وقال غيره العين الجارية عمـــل جـــار مـــن صدقة أو معروف لحي أو ميت قد أحدثه أو أجراه. وقال آخرون : عين المـــاء نعمـــة وبركة وخير وبلوغ أمنية إن كان صاحبها مستوراً فإن كان غير عفيف أصابته مصيبة يبكى لها أهل داره " فتح البارى جـــ ١٢ ص ٤١١ كتاب التعبير باب العين الجارية فى المنام ".

(١٧٤) أخرجه البخارى فى كتاب التعبيرجـــ١٢ص٤١١ والجنائز والشهادات.

(١٧٥) الآية ٢٦ – ٢٧ من سورة يس " قيل ادخل الجنة قال يـــا ليـــت قـــومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين " والآية تخص صاحب ياســـين وهـــو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام، وهو ممن آمنوا برسول الله صـــلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة، وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه أمر الرسل الـــذين

ابن مظعون (الحمد لله الذي صدقنا وعدة وأورثنا الأرض[١٧٦]نتبوأ من الجنة حيث نشاء[١٧٧]فنعم أجر العاملين): [الزمر٧٤] قال :ثم صافحني وسلم علي" معاذ بن جبل

أرسلهم عيسى عليه السلام إلى إنطاكية يدعون أهلها إلى الحق أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا: أو أنت تخالف ديننا ؟ فوثبوا عليه فقتلوه ، وقيل رجموه وهو يقول اللهم إهد قومى. قال "إنى آمنت بربكم فاسمعون" ثم قال تعالى عنه " قيل ادخل الجنة " الآية أى لما قتل قيل له "ادخل الجنة" وقال "يا ليت قومى يعلمون " قال الزمخشرى وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول فى الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلها إلى الجنة وقوله "يا ليت قومي يعلمون اما أن يكون بعد موته والله أخبر بقوله واما أن يكون فى حياته وكأنه سمع الرسل أنه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به وعلمه،فقال يا ليت قومي يعلمون" كما علمت فيؤمنون كما آمنت فيعلمون بالذى غفر له ربه، وجعله من المكرمين، والإكرام بالاستغناء فيغنى الله الصالح عن كل أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه " الكشاف ج ٣ ص٣١٩، مفاتيح الغيب جـ٢٥ ص ١٠٨- ١٠٩ المجلد ١٣

وقول معاذ بن جبل هنا لهذه الآية تبين حالة من غفران الله له وجعله من المكرمين الحالة التى يتمنى أن يعلمها قومه والدليل على ذلك أنه أخبر بالآية التى ذكرها ثانيا بأنه تبؤ مكانه من الجنة.

(١٧٦) الأرض عبارة عن المكان الذى أقاموا به ولتخذوه مقراً ومتبوّاً وقد أورثوها: أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى إنفاقه طولا وعرضاً الكشاف جـ ٣ ص ٤١١

(١٧٧) قال الزمخشري يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره. الكشاف جـ ٣ ص ٤١١

هذا وعثمان بن مظعون وعبد الله بن رواحه تشهد لهم صحبة رسول الله ﷺ بم هم فيه من الخير وبما صاروا إلية من الكرامة ولا يحتاج لهم إلي رؤيا ولكن أردت ألا أخلي هذا الباب من ذكر بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

٢٩٥- وقال صالح بن بشير: "رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له: يرحمك الله كنت طويل الحزن في الدنيا فقال: أما والله أعقبني فرحاً طويلاً وسروراً دائماً فقلت: في أي الدرجات أنت؟ فقال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين(١٧٨)) [النساء:٦٩].

---

(١٧٨) الآية ٦٩من سورة النساء. قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ذكر الله تعالى فى هذه الآية وعد أهل الطاعة بكونهم مع
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس معنى ذلك كون الكل فى درجة واحدة، لأن هذا يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول، وإنه لا يجوز، بل المراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر، وإن بعد المكان، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً، وإذا أرادوا الزيارة والتلاقى قدروا عليه فهذا هو المراد من هذه المعية. والصديق هو اسم لمن عادته الصدق ، والصدق صفة كريمة فاضلة من صفات المؤمنين وكفى الصدق فضيلة أن الإيمان ليس إلا التصديق وكفى الكذب مذمة إن الكفر ليس إلا التكذيب.

وللمفسرين فى الصديق وجوه: الأول: أن كل من صدق بكل الدين لا يتجالجه فيه شك فهو صدّيق والدليل عليه قوله تعالى: "والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون " (الحديد:١٩١)• **الثانى:قال قوم:**" الصديقون أفاضل أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام• **الثالث:** إن الصديق اسم لمن سبق إلى تصديق الرسول صلى فصار لذلك قدوة لسائر الناس ولذلك كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أولى الخلق بهذا

الوصف. لقوله ﷺ " ما عرضت الإسلام على أحد إلا وله نبوه غير أبى بكر فإنـــه لـــم يتلعثم. أى لم يتوقف "وإذا ذكر الصديق والنبى لم يجعل بينهما واسطة. قال تعالى: فى وصف إسماعيل عليه السلام "إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا " وفـــى وصـــف إدريس عليه السلام " إنه كان صديقاً نبيا" وقال فى هذه الآية "من النبيـــين والصـــديقين "يعنى إنك إن ترقيت من الصديقين وصلت إلى النبوة، وإن نزلت من النبوة وصلت إلى الصديقية.

والشهداء: قال الرازى لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر فالشهيد فعيل بمعنى الفاعل وهو الذى يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان، وأخرى بالسيف والسنان فالشهداء هم القائمون بالقسط، وهم الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط" ويقال للمقتول فى سبيل الله شهيد من حيث أنه بذل نفسه فى نصرة دين الله، وشهادته له بأنه هو الحق وما سواه هو الباطل، وإن كان من شهداء الله بهذا المعنى كان من شهداء الله فى الآخرة. كما قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس" البقرة آية ١٤٣. وقد استدل الرازى بأن الشهادة لا يجوز أن تكون مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر بأن هذه الآية دالة على أن مرتبة الشهادة مرتبة عظيمة فى الدين وكون الإنسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف، لأن هذا القتل قد يحصل فى الفساق ومن لا منزلة له عند الله والدليل على ذلك أيضا أن المؤمنين قد يقولوا اللهم ارزقنا الشهادة فلو كانت الشهادة عبارة عن قتل الكافر إياه لكانوا قد طلبوا من الله ذلك القتل وإنه غير جائز، لأن طلب صدور ذلك القتل من الكافر كفر: فكيف يجوز أن يطلب من الله ما هو كفر."حيث إن المسلم يطلب الشهادة كذلك مما روى أنه ﷺ قال:المبطون شهيد والغريق شهيد، وقال الرازى فعلمنا أن الشهادة ليست عبارة عن القتل.

الصالحون: الصالح هو الذى يكون صالحا فى إعتقاده وفى عمله ، فإن الجهل فساد فى الإعتقاد والمعصية فساد فى العمل.

٢٩٦- ولما مات سفيان الثوري "رؤي في المنام فقيل له: ما فعل بك ؟ قـــال: وضعت أول قدم علي الصراط والثاني في الجنة".

٢٩٧- وقال إبراهيم بن إياس:" رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته وهـــو مخضوب اللحية فقلت له: أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال: أنا مع السفرة قلـــت: ومـــا السفرة؟ قال: الكرام البررة [(١٧٩)]

٣٠٢ – وذكر أبو الحسن بن جهضم عن أبى بكر بن محمد بن الحجاج قال: " حدثنى رجل من أهل طرسوس قال: دعوت الله -عزّ وجلّ- أن يرينى أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به، فرأيت بعد عشر سنين فيما يرى النائم كـــأن

من تعريف الصديق والشهيد والصالح يظهر ما بين هذه الصفات مـــن التفـــاوت، وذلك لأن كل من كان اعتقاده صوابا وكان عمله طاعة وغير معصية فهو صالح، ثـــم إن الصالح قد يكون بحيث يشهد لدين الله بأنه هو الحق وأن ما سواه هو الباطل، وهـــذه الشهادة تارة تكون بالحجة والدليل وأخرى بالسيف، وقد لا يكـــون الصـــالح موصـــوفاً بكونه قائماً بهذه الشهادة، فثبت أن كل من كان شهيداً كان صالحاً، وليس كل من كـــان صالحا كان شهيداً، فالشهيد أشرف أنواع الصالح ، ثم إن الشهيد قد يكون صديقاً وقد لا يكون ومعنى الصديق الذى كان أسبق إيمانا من غيره، وكان إيمانه قدوة لغيره، فثبـــت أن كل من كان صديقاً كان شهيداً وليس كل من كان شهيداً كان صديقاً. فثبت أن أفضل الخلق هم الأنبياء عليهم السلام، وبعدهم الصديقون، وبعدهم من لـــيس لـــه درجـــة إلا محض درجة الشهادة، بعدهم من ليس له إلا محض درجة الصلاح."مفاتيح الغيب جـــ٩ ص٣٠١ -٣٠٥ مجلد ٥.

(١٧٩) قال تعالى فى سورة عبس الآية ١٥ " بأيدى سفرة كرام بررة " وسفرة أى كتبه ينتسخون الكتب من اللوح وسفرة جمع سافر وهم الملائكة " كـــرام " علـــى الله أو عن المعاصى. وبرره أى أتقياء. " تفسير النسفى جـ ٤ ص ٣٣٣.

أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادرونى بالكلام فقالوا: يا هذا كم تدعو الله أن يريك إيانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة طوبى " وهذا الكلام من أهل القبور إنما هو عبارة عن علو درجة أحمد بن حنبل وارتفاع مكانتــه وعظــم منزلته فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعن ما هو فيه إلا بهذا وبما هو فى معناه.

٣٠٣- وقال محمد بن أحمد الكندى: "رأيت أحمد بن حنبل فى النوم فقلت له: يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى. ثم قال لى : يا أحمد ضُــربت فـــى ســـتين سوطاً؟ قلت: نعم يا رب قال: هذا وجهى قد فانظر إليه".

٣٠٥- وقال أبو جعفر السقا صاحب بشر بن الحارث: "رأيت بشر بن الحارث ومعروفاً الكرخى وهما جائيان وكأنهما فى قبة أو كما قال قلت: من أين ؟ قالا: من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى ﷺ".

٣٠٦ – ولما احتضر حجاج الزاهد: " قيل له: ما تشتهى؟ قال: الله ثم خرجــت نفسه فرآه بعض إخوانه فى النوم كأنه يمشى على حائط قال: فرفعت رأسى إليه وأنـــا أمشى بالأرض فقلت له: أبا يوسف كيف حالك؟ وكيف أنت ؟ وعـــلام قـــدمت؟ قـــال: فضحك وقال: ما الأمر إلا سهل ما رأيت شيئاً مما كنت أخافه والحمد لله".

٣٠٧- وعن سعيد بن أسد: "أن رجلاً كان من دعائه: اللهم سهل على المـــوت ويسر على الحساب وبارك لى فى اللقاء وأعزنى من جهد البلاء فمات فرؤى فى النوم فقيل له: ما فعلت ؟ فقال: لقيت خيراً كل شئ سألت الله أن يعطينى أعطانيه".

٣١١- وذكر بعض الصالحين قال: " رؤى بشر بن الحارث فى النـــوم وهـــو يهرول وهو يقول الساعة انطلقنا من السجن" .

٣١٢- وكان من دعاء بعض الصالحين: " اللهم يا سيدى حبست من شئت عن خدمتك، وأطلقت لها من أحببت من خلقك، غير ظالم ولا مسؤول عن فعلك، وقد تقدمت لى فيك آمال، فلا تجمع على المنع من الطاعة، وخيبة الأمل فيك يا كريم؟ وكان هذا خاتمة دعائه فلما مات رؤى فى المنام فى الجنة فقيل له: بم نلت هذا ؟ قال: بذلك التضرع والاستغاثة فى الأسحار. قال: ورؤوى عليه حلة قال الرائى: ما رأيت لها شبهاً وعليها مكتوب بالذهب أنعم فقد نلت الأمل أنعم فقد نلت الأمل فقلت له: ما هذه الكتابة على ثيابك ؟ قال: هذا خاتمة تضرعى وأملى الذى كنت آمله من سيدى".

٣١٣- وقال بعض الصالحين: "رأيت أبا بكر الشبلى فى النوم وكأنى قاعد فى مجلس بالموضع الذى كان يقعد فيه وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان قال: فقمت إليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له: يا سيدى من أقرب أصحابك إليك؟ فقال: مسرعاً ألهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله".

٣١٤- وقال أبو عبد الرحمن الساحلى: " رأيت ميسرة بن سلم فى المنام بعد موته فقلت له: أصلحك الله طالت غيبتك فقال: السفر طويل قال: فقلت: فما الذى قدمت عليه؟ فقال: رخص لنا لأنا كنا نفتى بالرخص فقلت : فما تأمرنى فقال: اتباع الآثار وصحبة الأخيار تنجيان من النار وتقربان من الجبار".

٣١٥- وقال بعض الصالحين: "رأيت فى النوم كأنى فى السماء ولأهل السماء ضجيج وحركة وهم يقولون جاء المحسن جعفر بن الزبير فانتبهت فمشيت إلى منزله فوجدته قد مات".

٣١٧- وقال عبود المعلم وكان يعرف بوجه الجنة: "رأيت أبا عبد الله الفزارى المعلم فى المنام فقلت له: كيف وجدت الأمر؟ قال: أسهل مما تذكرون وأصعب مما تصفون. فقلت له: صاحبك سهل الوراق معك هو؟ قال: يدى فى يده ويده فى يدى-

يعنى فى الجنة– ولكنه أطول منى قامة". وقوله أطول منى قامة يريد أرفع منى رتبة وكان قد رآه بعد موته.

٣١٨– ويروى عن معود بن جبراود التاكونى: وكان من الصالحين أنه قال: " رأيت أبا حفص عمر بن عباد الزعينى الزاهد بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك ؟ فقال: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير" وهذا يدل على أنه فعل معه خير فأراد الزيادة منه.

٣١٩– وعن يعلى بن عبيد قال: " جاء رجل إلى سفيان الثورى فقال له : يا أبا عبد الله رأيت فى المنام كأنه ملكاً نزل من السماء إلى الشام فاقتلع ريحانة ثم صعد بها إلى السماء فقال له سفيان: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى فحفظ ذلك اليوم فجاء نعيه أنه مات فيه".

٣٢٠ – ويروى أن امرأة قالت لابن سيرين وهو يأكل:" رأيت كأن شجرة ياسمين قلعت من الأرض ورفعت إلى السماء وكأن الثريا سقطت من السماء فى دارك قال:فرفع ابن سيرين يده من الطعام وقال: أعظم الله أجرى فى نفسى وإن كثر البقاء فإلى سبع فكان كذلك" .

٣٢٧–ورؤى غيره شاباً وكان فى الدنيا أشيب فقيل له: "نراك دون شيب؟ فقال: لا يشيب أحد فى هذه الدار"[١٨٠]

---

(١٨٠) قال الرسولﷺ لعجوز تسأل عما إذا كانت تدخل الجنة ، "لا يدخل الجنة عجوز".

٣٢٨- وقال بعض الصالحين: " كان لى ولد فاستشهد فرأيته فى النوم ليلة مات عمر بن عبد العزيز فقلت له: يا بنى ألست ميتاً؟ قال: ولا ولكنى حى أرزق فقلت: وما جاء بك؟ قال: نودى فى أهل السماء لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فحضرت ثم جئت ثم لأسلم عليكم وأراكم " والأخبار فى هذا الباب لا تحصى.

ذكر منامات رؤيت لرجال تدل

على ما هم فيه من سوء حال

٣٢٩- روى عن العباس بن عبد المطلب قال: "كنت مؤاخياً لأبى لهب فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله حولاً أن يرينيه فى المنام قال: فرأيته يلتهب ناراً فسألته عن حاله فقال: صرت إلى النار والعذاب لا يخفف عنى ولا يروح إلا ليلة الإثنين فى كل الليالى والأيام قلت: وكيف ذلك؟ فقال: ولد فى تلك الليلة محمد ρ فجاءتنى أميمة فبشرتنى بولادة آمنة إياه ففرحت وأعتقت وليدة فرحا به فأثابنى الله بذلك أن يرفع عنى العذاب فى كل ليلة إثنين" أبو لهب كان عم رسول الله ﷺ وكان كثير الإذاعة لرسول الله ﷺ بعد ما جاءته النبوة شديد العداوة له[١٨١].

٣٣٠- وروى عن طارق بن عبد الله المحاربى قال: رأيت بسوق عكاظ رجلاً جميل الوجه يقول: أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ووراءه رجل أعور جميل يقول: أيها الناس لا تصدقوا فإنه كذاب وقد رمى كعبيه وعرقوبيه بالحجارة حتى أدماه فقلت: من هذا الرجل الجميل الوجه فقالوا: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

---

(١٨١) انظر الإحياء جـ ٤ ص ٤٩١

يزعم أن الله أرسله قلت : ومن هذا الآخر وراءه ؟ " قالوا عمه أبو لهب"[١٨٢].

وسوء حال أبى لهب أصح من أن يحتاج فيها إلى شاهد ولكن أردت أن لا أخلى هذا الباب من ذكره أو ذكر مثله، وهذا التخفيف الذى ذكر إن كان فإنما هو فى البرزخ وأما فى الآخرة فلا تخفيف ولا تفتير ولا راحة ونعوذ بالله من عذابه" .

٣٣١- ويروى عن بعض الصالحين من أهل القيروان قال: " كان لى جار فذكر أنه ليس بمسلم فمات فرأيت فى النوم حجراً فلملما يتدحرج حتى وصل إلى باب دار ذلك الرجل فدنوت منه فإذا بالحجر قد انفرج فخرج منه رجل هو

ذلك الرجل فقلت له: ما هذا؟ فقال: هكذا نحن نعذب وذكر سوء حاله. فقلت له: لعل الله أن يغفر لك. فقال: وكيف يغفر لى وأنا قد مت على غير الإسلام".

٢٣٢ – ويروى عن هشام بن حسان قال: "مات ابن لى شاب فرأيته فى النوم وهو أشيب فقلت له: يا بنى ما هذا المشيب؟ فقال: قدم فلان فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها أحد إلا شاب".

ذكر الأرواح أين يذهب بها
وما جاء فى عذاب القبر

٣٣٥- ذكر أبو بكر البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة عن النبىﷺ قال: "إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة[١٨٣] بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما

---

(١٨٢) انظر مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٥ – ٢٦ قال الهيثمى أخرجه الطبرانى وفيه أبو جناب الكلبى وهو مدلس وقد وثقه ابن حيان وبقية رجاله رجال الصحيح.

تسل الشعرة من العجين ويقال: أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وكرامته فإذا خرج روحه وضع على ذلك المسك والريحان وطويــت عليــه

([183]) الملائكة

وصف الله تعالى الملائكة فى كتابه العزيز بالقوة فى العبادة وفــى الخلــق وحســن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل فى الصور المتعددة، فكــان جبريــل يــأتى إلــى النبىﷺ فى صفات متعددة فتارة يأتى فى صوره دحية الكلبــى وتــارة فــى صــورة أعرابى وتارة فى صورته التى خلق عليها. له ستمائة جناح مابين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين. مرة منهبطــا مــن الســماء إلــى الأرض. ومرة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. قال تعالى: "علمه شديد القــوى. ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى. ثم دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنــة المــأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى ".

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام. فمنهم حملة العرش ، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهــم الملائكة المقربون. ومنهم جبريل وميكائيل عليهم السلام. ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلا ونهاراً صباحاً ومساءا. ومنهم الموكلــون بالجنــان وأعــداد الكرامة لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومأكل ومشــرب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وخــازن الجنــة ملك يقال له رضوان. ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية. ومقــدموهم تســعة عشــر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة. والملائكة هم الموكلون بحفــظ بنــى آدم ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد. البداية والنهاية جــ1 ص 47-54.

الحريرة وذهب به إلى عليين[184] ، وإن الكافر إذا حضر أتته الملائكــة بمســح فيــه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال: أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة مســخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فإذاخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب به إلى سجين"[185].

٣٣٦- وعن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: "إن المؤمن إذا حضر أتته ملائكــة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجي راضية مرضــية[186] عنــك إلــى روح الله

([184]) قال تعالى: " فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ". وقال الله تعالى " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون " وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها فى أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة " ثم يصعدون بها فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقى بها إلى الأرض. قال الله تعالى: " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون. ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين " البداية والنهاية جـ١ ص ٤٧.

([185]) قال تعالى. (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصــلية جحيم " الواقعة ٨٨ – ٩٤ وملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عملــه إن كــان مؤمنا أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح وإن كان كافراً فالبضد مــن ذلك. أخرجه النسائى جـ٤/٨ والحاكم فى مستدركه ٣٥٢/١ – ٣٥٣.

([186]) قال تعالى: " يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية " (الفجر ٢٨) .

وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى أنـــه ليتناولـــه بعضـــهم يشمونه، حتى يأتون به باب السماء فيقولون:ما أطيب هذه الريح التـــى جـــاءتكم مـــن الأرض فكلما أتوا سماءً قالوا لهم مثل ذلك، حتى يأتون به أرواح المؤمنين فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كـــان فى غم الدنيا فإذا أصبح أو استراح قال لهم: أما أتاكم فإنه قد مات فيقولون: ذهـــب بـــه إلى أمه الهاوية، وأما الكافر فإن ملائكة العذاب تأتيه بمسح فيقولون : أخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه ، فتخرج كأنتن ريح فينطلقون بـــه إلـــى بـــاب الأرض" وفى بعض طرق هذا الحديث " فينطلقون به إلى باب الأرض فيقولون ما أنتن

يقول الزمخشرى: يقول الله تعالى للمؤمن:" يا أيتها النفس" إما أن يكلمه إكراما له كما كلم موسى – ص – أو على لسان ملك. (والمطمئنة): أى الآمنة التى لايستفزها خـــوف ولا حزن وهى النفس المؤمنةأو المطمئنة إلى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجهـــا شك.

وقال الزمخشرى ويقال لها ذلك إما عند الموت وإما عند البعث وإما عند دخول الجنة على معنى إرجعى إلى موعد ربك "راضية " بما أوتيت" مرضـــية " عنـــد الله " فادخلى فى عبادى "فى حملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم" وادخلـــى جنتـــى" معهم، وقيل النفس الروح، ومعناها: فادخلى فى أجساد عبادى. وقـــرأ ابـــن عبـــادى". فادخلى فى عبدى وقرأ ابن مسعود فى جسد عبدى". وقرأ أبى ائتـــى ربـــك راضـــية مرضية ادخلى فى عبدى.

قيل نزلت فى حمزة ابن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صـــلبه أهـــل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال: اللهم إن كان لى عندك خير فحول وجهـــى نحـــو قبلتك ، فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر العموم. أنظر الكشـــاف جـــ ٤ ص ٢٥٤ الزمخشرى.

هذه الريح، كلما أتوا على أرض قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح الكفار" ذكره قاسم بن أصبغ من حديث ابى هريرةأيضاً.

٣٣٧- وذكر مالك فى الموطأ من حديث كعب بن مالك رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: "إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله فى جسده يوم يبعثه"(١٨٧) .

٣٣٨- وذكر مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندق أخا بنى كعب وهو يجر قصبه فى النار(١٨٨)" القصب : الأمعاء.

٣٣٩- وذكر مسلم أيضاً عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت قال : قال أبو سعيد ولم أشهده عن النبىﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال : "بينما النبىﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة ونحن معه إذ به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة قال: كذلك كان يقول الحويرى فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل: أنا،

---

(١٨٧) الموطأ فى كتاب الجنائز ٢٤٠/١ باب جامع الجنائز ١٦ الحديث ٤٩ وأخرجه النسائى ١٠٨/٤ والترمزى رقم ١٦٤١ والبيهقى فى الكبرى ١٦٣/٩.

(١٨٨) مسلم فى الكسوف٦٢٢/٢ الحديث ٩٠٤/٩، والبخارى فى المناقب جـ٦ ص ٥٤٧ رقم ٣٥٢١ وزاد البخارى(وكان أول من سيب السوائب) والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شئ. قال أبو عبيدة ، كانت السائبة من جميع الأنعام وتكون من النذور للأصنام فتسيب فلا تحبس عن مرعى ولا عن ماء ولا يركبها أحد. وقيل السائبة لا تكون إلا من الإبل، كان الرجل ينذر إن برئ من مرضه أو قدم من سفره بسبعين بعيراً، وروى عن عبد الرازق عن معمر عن قتادة قال السائبة كانوا يسيبون بعض إبلهم فلا تمنع حوضا أن تشرب فيه. " أنظر فتح البارى جـ٨ ص ٢٨٤.

قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى فى قبورهـا فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه، ثم أقبل علينـا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر قال: تعوذوا بالله من الفـتن مـا ظهر منها وما بطن قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال"(١٨٩).

٣٤٠ – وعن أبى أيوب الأنصارى قال: "خرج رسول الله ﷺ بعـدما غربـت الشمس فسمع صوتاً فقال يهود تعذب فى قبورها(١٩٠)"

٣٤١- وعن عائشة رضى الله عنها قالت: "دخل علىّ رسـول الله ﷺ وعنـدى امرأة من اليهود وهى تقول: هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور قالت: فارتـاع رسـول الله ﷺ وقال: إنما تفتن يهود. قالت عائشة: فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله ﷺ: هل شعرت

---

(١٨٩)مسلم فى الجنة وصفة نعيمهاجـ ٤ ص٢١٩٩-٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧/٦٧ باب عرض مقعد الميت –الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

(١٩٠) أخرجه البخارى فى الجنائز جـ٣ ص ٢٤١ رقم ١٣٧٥ وقيل فى الصـوت الذى سمعه الرسول ﷺ يحتمل أن يكون صوت ملائكـة العـذاب أو صـوت اليهـود المعذبين أو صوت وقع العذاب. قال الحافظ: قـد وقـع عنـد الطبرانـى مفسـراً أن الرسول ﷺ قال: "أسمع اصوات اليهود يعذبون فى قبورهم". والحديث يدل على تعـذيب اليهود، واذا ثبت ذلك ثبت تعذيب غيرهم من المشركين لأن كفرهم بالشرك أشـد مـن كفر اليهود." ص ٢٤١ جـ ٣ فتح البارى".

إنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور. قالت عائشة . فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر(١٩١) .

٣٤٢- وعن عائشة أيضاً قالت: "دخلت عجوزان من عجايز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل على رسول ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا على فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم قالت : فماصرأيته جهر في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر(١٩٢). في هذا الحديث زيادة كثيرة تجئ بعد إن شاء الله.

٣٤٣- وذكر أبو داود(١٩٣)من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت(١٩٤) فإنه الآن يسأل(١٩٥)" وقد تقدم.

---

(١٩١)أخرجه بن ابى عاصم في السنة رقم ٨٧٣ ، ٨٧٤ .

(١٩٢) أخرجه البخاري في الدعوات جـ١١ص رقم ٦٣٦٦ ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة جـ١ ص ٤١١ الحديث رقم ١٢٥ / ٥٨٦. وقال فيه أنه لا يوجد تناقض بين هذا الحديث وما قبله عن عائشه لأن لم يكن قد أوحي إلى الرسول ﷺ أن المؤمنين يفتنون في القبور فقال "إنما يفتن يهود" فجرى على ما كان عنده من علم، ثم لما علم بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه وعلمه وأمر بإيقاعه في الصلاة ليكون انجح في الإجابة. " انظر فتح الباري جـ ١١ ص ١٧٦ .

(١٩٣) في الجنائز رقم ٣٢٢١

(١٩٤)عند أهل السنة "الدعاء" وهو رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ينفع مما نزل ومما لم ينزل فينفع الأحياء والأموات ويضرهم والنفع الخير وهو ما يتوصل به

الإنسان إلى مطلوبه فالدعاء يوصل إلى المطلوب ولو صدر من كـافر لحـديث أنـس رضى الله عنه: دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً والقضاء على قسـمين مبـرم ومعلق فالمعلق لاستحالة فى رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ولا فى نزول ما علـق نزوله منه على الدعاء وأما المبرم فالدعاء وإن لم يرفعه لكن ربما أثاب الله العبد علـى دعائه برفعه أو أنزل بالداعى لطفه فيه والمدعى ترتب تقع للداعى أو يغـدو أو علـى دعائه عاجلاً أو آجلاً يخرجه عن العبثية وجزم "أهل السنة بأن الاعتقاد ينفـع الـدعاء (كما من القرآن وعداً) أى لأن الله وعد به فى القرآن حال كون ذلك الموعود به قـال تعالى: " وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوه الداعى إذا دعان" وقال أهل السنة الإجابة المصرح بها فى حديث مناجاة موسى عليـه السلام: وإن دعونى أستجب لهم فإما أن يره عاجلا وإما أن أصرف عنهم سوءاً وإما أن أدخره لهم فى الآخرة . وفى كلام بعضهم أن الإجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينـه على الفور وتارة تقع ولكن يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الإجابة بغير عـين المطلـوب حيث لا يكون المطلوب مصلحة ناجزة وفى الواقع مصلحة نـاجزة أو أصـلح منهـا وتخصيص القرآن لواتره لا لقصر الدلالة عليه.

ومن آداب الدعاء تحرى الأوقات الفاضله كالسجود وعنـد الآذان ومنهـا تقـديم الوضوء والصلاة واستقبال القبلة ورفع الأيدى وتقـديم التوبـة والاعتـراف بالـذنب والإخلاص وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبىﷺ والسؤال بالأسـماء الحسـنى وختمه بالصلاة والسلام عليهﷺ وجعلها فى وسطه أيضا. "انظر حاشية محمد الأمير علـى شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ص ١٣٤ – ١٣٥.

(١٩٥) سؤال الميت فى القبر

قال شيخ الإسلام وسؤالنا أى سؤال منكر ونكير إيانا معاشر أمة الـدعوة المـؤمنين والمنافقين والكفار بعد إقعادنا بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس واجب سـمعا بـأن يعيد الله تعالى الروح إلى الميت جميعه كما ذهب إليه الجمهور وهو ظاهر الأحاديـث

٣٤٤-وذكر مسلم[١٩٦]من حديث البراء بن عازب عن النبىﷺ قال: "(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) [إبراهيم :٢٧] قال: نزلت فى عذاب القبر[١٩٧]يقال لــه مــن

وتكمل حواسه فيرد الله إليه ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجــواب مــن الحواس والعقل والعلم حتى يسأله الملكان أو أحــدهما ويأخــذ الله بأبصــار الخلائــق وأسماعهم إلا من شاء الله عن حياة الميت وما هــو فيــه عينــا وســماعا يترفقــان بالمؤمنين وينتهران المنافق والكافر يسألان كل أحد بلسانه ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع فى أجوافها إذ لا يبعد أن يخلق الله الحياة فيها وأحوال المسئولين مختلفة فمــنهم من يسأله الملكان جميعا ومنهم من يسأله أحدهما ، وإذا مات جماعة فــى وقــت واحد بأقاليم مختلفة جاز أن يعظم الله جثتهما ويخاطبان الخلق الكثير فى الجهــة الواحدة فى المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد مــن المخــاطبين أنــه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله عالى من ســماع جــواب بقيــة المــوتى. قــال القرطبى: وقال السيوطى ويحتمل تعدد الملائكة المعده لــذلك كمــا فــى الحفظــة ونحوهم، وقال القرطبى اختلفت الأحاديث فى كيفية الســؤال والجــواب وذلــك بحسب الأشخاص فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسأل عن كلهــا.

الحديث أخرجه الحاكم فى مستدركه ج١ص ٣٧٠ والبغوى وشرح السنه ٥ / ٤١٨١.

(١٩٦) مسلم فى كتاب الجنة جـ ٤ ص ٢٢٠١ رقم ٧٣ / ٣٨٧١.

(١٩٧) **عذاب القبر** مما يجب الإيمان به وهو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر لأنه الغالب هناك اختلاف بين العلماء على أى شئ يقع عذاب القبر الروح أم البدن أم همــا معاً: فقد جاء بحاشية محمد الأمير أن الذى عليه أهل الحق أنه محله البــدن والــروح جميعا بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه إن قلنا أن المعذب بعض الجسد، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحــو ذلــك، ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ولهذه الأمة وغيرها، ولا يمتنع عند العقــل أن يعيد الله الحياة فى الجسد أو فى جزء منه ويعذبه كل ما لم يمنعه العقل وورد بوقوعــه

الشرع وجب قبوله واعتقاده والله يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم ويصرف أبصارنا ويحجبها عن جميعه لأنه القادر على كل ممكن.

وقال ابن حزم: المساءلة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد أثر ذلك قبر أو لم يقبر واستدل على ذلك بقوله تعالى" ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم"، وقال:" وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا هو عذاب القبر، وقال: وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ لأن الآيات التى ذكرنا تمنع من ذلك ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً وهذا باطل وخلاف القرآن إلا من أحياه الله تعالى آية لنبى من الأنبياء: فى مثل قوله تعالى:" الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم "(هم أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا وهم قوم من بنى اسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا فقال الله لهم " موتوا " فماتوا " ثم أحياهم بعد ثمانية أيام أو اكثر بدعاء نبيهم من قبل وعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن واستمرت فى أسباطهم . تفسير الجلالين الآية ٢٤٣ سورة البقرة .) وقوله تعالى: " والذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه " فصح بذلك أن روح من مات لا يرجع إلى جسده إلا إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة .

وقد جوز الإمام الغزالى الأمرين فقال بجواز عودة الروح إلى البدن فى القبر وجواز تأخيرها إلى يوم البعث. ودليل وقوع عذاب القبر عند أهل السنة كما ذكره محمد الأمير قوله تعالى:النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا" قالوا: ولا يصح أن يكون المراد منه عذاب الآخرة لعدم تقيده بالغدو والعشى ولقوله تعالى: " ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب فميز بين العذابين، ولقوله تعالى: " أغرقوا فأدخلوا ناراً" والفاء للترتيب باتصال، ووردت أخبار بلغت حد الاستفاضة باستعاذته عليه السلام من

عذاب القبر، وقال القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. " أنظر حاشـية الأمير ص ١٤٢ ، وحواشى على شرح الكبرى للسنوسى ص ٤٩٩، والملل والنحل لابن حزم جـ٤ ص ٦٦ – ٦٨ . واحياء علوم الدين جـ٤ ص ٤٧٨.

وذكر صاحب أصول الدين اختلاف العلماء فى وقوع عذاب القبر فقال فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم من زعـم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التى فى قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهى فى القبور (راجع أصول الدين للبغدادى ص ٢٤٥ – ٢٤٦)

وقد فرغنا من المثبتين لها سواء كان للجسد والروح أم للروح فقـط، وبقـى الحديث عن موقف المعتزلة، وإن كان البغدادى أطلق القول فى المعتزلـة إلا أن ابـن حزم حدد هذا فى ضرار بن عمرو الغطفانى أحد شـيوخ المعتزلـه وكـذلك بعـض الخوارج، وأورد دليلهم على الإنكار قوله تعالى: "ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين" وقوله تعالى" كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم".

وأرى أن المفهوم من الإنكار هنا هو إنكار الحياة فى القبر أى عـودة الـروح للبدن وليس إنكاراً لعذاب القبر فالعذاب قد يكون للروح كما قال به ابن حزم وجـوزه الغزالى. ومن ناحيه أخرى فإن القاضى عبد الجبار من المعتزلة بين أن عـذاب القبـر حق وأن المعتزلة لا تنكرة، وكذلك قال ابن حزم أن بشر بن المعتمر والجبائى وسـائر المعتزلة تقوله به.

قال القاضى عبد الجبار:أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شئ يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابـن الروانـدى يشنع علينا، ويقول المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به.

وقد بين القاضى قوله المعتزله بثبوته وكيفية ثبوته والوقت الذى يقع فيه وفائده وقوعه فقال:أما ثبوته فالذى يدل عليه قوله تعالى:" مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نـــارا فلم يجدوا " فالفاء للتعقيب من غير مهلة وإدخال النار لا وجه له إلا التعذيب. واســتدل أيضا بقوله تعالى: " النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا " وقال : أن وجه دلالته علـــى عذاب القبر ظاهر غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين " وأتـــى بـــدليل آخر يظهر عمومه لجميع المكلفين، قوله تعالى:" ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين " وقال فى ذلك : ولا تكون الإماتة والإحياء مرتين إلا وفى إحدى المرتين إما التعــذيب فـــى القبر أو التبشير على تقوله، وقد استدل أيضا بقول الرسولﷺعندما مر بقبرين:" إنهمـــا ليعذبان وما يعذبان من كبير كان أحدهما يمشى بالنميمة والآخر كان لا يســتنزه مـــن البول".

وقال فى كيفية التعذيب ما يدل على إحيائهم فى القبر فقال: فاعلم أنه تعـــالى إذا أراد تعذيبهم فإنه لابد من أن يحييهم لأن تعذيب الجماد محال لا يتصور، وقال: وكمـــا لابد من الإحياء ليصح التعذيب، فلابد من أن يخلق الله فيهم العقل ليحسن التعذيب، وإلا اعتقد المعاقب المعذب أنه مظلوم، ولهذا المعنى قلنا إن أهل النار لابد مـــن أن يكونـــوا عقلاء هذا هو الذى تعلمه من جهة العقل .

وقد تكلم أيضاً عن كيفية العذاب فى القبر فقال: إنه تعالى يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشرانه حسب ما وردت به الأخبار، فإن ذلك محال أن يهتدى إليه من جهه العقل، وإنما الطريق إليه الســـمع. وقـــال عـــن الوقت الذى يثبت فيه العذاب لا طريق إلى معرفته ولكنه من الجـــائز أن يكـــون بـــين النفختين، واستدل على ذلك بقوله تعالى "ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفـــخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" مما سبق نستنتج أن المعتزلة لم تنكـــر عذاب القبر كما بينه القاضى عبد الجبار " انظر شرح الأصول الخمسة جـــ ٧٣٠ – ٧٣٢ ".

ربك؟ فيقول ربى الله ونبيى محمد فذلك قوله-عزّ وجلّ-: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) [إبراهيم:٢٧]" .

٣٤٥- وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها عن النبى ρ أنه قال:" قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال- لا أدرى أى ذلك قالت أسماء- فيؤتى أحدكم فيقال له:ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن-لا أدرى أى ذلك قالت أسماء-فيقول:هو محمد رسول اللهﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات. فيقال له:نم قد كنا نعلم أنك لتؤمن به نم صالحاً. وأما المنافق أو المرتاب-لا أدرى أى ذلك قالت اسماء فيقول:لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت"[198].

وعذاب القبر قسمان: دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فإنهم يعذبون بحسبها ثم يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو غير ذلك.، " انظر شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد كتاب حاشية محمد الأمير ص ١٤٢ ، ١٤٣.

(١٩٨) أخرجه البخارى فى العلم جـ١ ص ١٨٢ رقم ٨٦ ونص الحديث كما أورده البخارى: عن فاطمة عن أسماء قالت أتيت عائشة وهى تصلى، فقلت ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء فإذا الناس قيام. فقالت سبحان الله. قلت آية . فأشارت برأسها- أى نعم- فقمت حتى تجلانى الغشى، فجعلت أصب على رأسى الماء. فحمد الله عز وجل النبى وأثنى عليه ثم قال:ما من شئ لم أكن أرتيه إلا رأيته فى مقامى حتى الجنة والنار فأوحى إلى أنكم .... الحديث".

٣٤٦- وذكر النسائى عن أنس أن النبىﷺ قال: "إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان[١٩٩]فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ محمدﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً خيراً منه قال رسول اللهﷺ: فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقال له:ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول:لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس فيقال له:لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين " ذكر البخارى قال:" ويضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح[٢٠٠] " وذكر باقى الحديث.

٣٥٠-قال عبد:وأخبرنى عمرو بن عون أخبرنا أبو عوانة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان أبى عمر بن البراء بن عازب قال: " خرجنا مع رسول اللهﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول اللهﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير قال: فجعل النبىﷺ يرفع بصره إلى السماء وينكت فى الأرض ويحدث نفسه ثم قال: أعوذ بالله من عذاب القبر مراراً ثم قال: إن الرجل إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه فإذا كان مسلماً قال: أخرجى أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج نفسه تسيل كما تسيل قطرة السماء، وتنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن

([١٩٩]) هما منكر ونكير وهما خلق بديع وليس فى خلقهما أنس للناظرين جعلهما الله تذكرة للمذنبين وهتكا لستر المنافق وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح ، وقيل هما للكافر والعاصى وأما المؤمن الموفق فله ملكان اسم أحدهما بشير والآخر مبشر قيل ومعهما ملك آخر يقال له ناكور ويجئ قبله ملك يقال له رومان . " انظر حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ص ١٤١.

([٢٠٠]) البخارى فى الجنائز جـ ٣ ص ٢٠٥ حديث رقم ١٣٣٨ .

وجوههم الشمس معهم اكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلســون منــه مــد البصر، فإذا أخذها قاموا إليه فلم يتركوها فى يده طرفة عين، فذلك قوله-عــزّ وجــلّ- :(إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) (٢٠١) الأنعام:٦١ قال: فتخرج منه مثل أطيب ريح وجدت على وجه الأرض. قال: فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فقالوا: هــذا فــلان بأحسن أسمائه فإن انتهوا به إلى السماء قالوا: ما هذا الروح الطيب ؟ فقالوا: هذا فــلان بأحسن أسمائه فيفتح له أبواب السماء ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة قال: فيقال: اكتبوا كتابه فى عليــين ومــا أدراك مــا عليــون كتــاب مرقوم(٢٠٢) وارجعوه إلى الأرض إن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها

---

(٢٠١) الآية ٦١ من سورة الأنعام " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون" حفظه " أى ملائكة حــافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تقرأ على رءوس الأشهاد وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة إلــى أن يأتيه الممات أستوفت روحه رسل الله وهم ملك الموت وأعوانه ،" وهم لا يفرطون " لا يتوانون ولا يؤخرون". انظر تفسير النسفى جـ٢ ص ١٦".

والتوفى فى الحقيقة يحصل بقدرة الله تعالى، وهو فى علم الظاهر مفوض إلــى ملك الموت، وهو الرئيس المطلق فى هذا الباب." الرازى مفاتيح الغيب جـــ١٢ ص ٣٥١ مجلد ٦.

(٢٠٢) قال تعالى: "كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتــاب مرقوم" المطففين ١٨- ٢٠" كلا "ردع عن التكذيب. والآية تعنى أن ما كتب مــن أعمــال الأبرار المطيعين الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث" لفى عليين" وهو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين من العلو وسمى الديوان به لأنــه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة أو لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيــث يسكن الكروبيون تكريما له.

أخرجهم تارة أخرى قال:فيرجع روحه فى جسده قال: ويبعث الله إليه ملكين شـديدين الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: ربى الله . فيقولان:ما هـذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: رسول اللهﷺ فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتـاب الله تعالى فآمنت به وصدقت فذلك قول الله–عزّ وجلّ(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفىالآخرة)إبراهيم:٢٧ وينادى مناد من السماء أن قد صدق فألبسوه من الجنة وأفرشوا له من الجنة وأروه منزله من الجنة قال: فيلبس من الجنة ويفرش له من الجنة ويرى منزله من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره، قال: ويمثل له رجل حسـن الوجه حسن الثياب طيب الريح قال: فيقول:أبشر بما أعد الله لك من الكرامة هذا يومك الذى كنت توعد قال:فيقول له:ومن أنت رحمك الله ؟ فوالله لوجهك الوجه جاء بـالخير قال:فيقول: أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لحريصاً على طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً قال:فيقول: رب أقم السـاعة لكـى أرجـع إلـى أهلـى ومالى"(٢٠٣).

٣٥١- قال:وقال الأعمش: وحدثنى بعض أصحاب النبىﷺ أنه قال:" يقال له: نـم، قال: فينام ألذ نومة نامها نائم قط حتى توقظه الساعة. ثم رجع إلى حديث البراء قـال: وإن كان فاجراً إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول:اخرجى أيتها النفس الخبيثة إلى غضب وسخط من الله قـال: فيفـرق

والعليون " كتاب مرقوم يشهده المقربون" تحضره الملائكة قيـل يشـهد عمـل الأبرار مقربوا كل سماء إذا رفع " انظر النسفى جـ٤ ص ٣٤١. والرسولﷺ يخبر فى هذا الحديث أن روح المؤمن تصعد إلى هذه المنزله حال موته.

(٢٠٣) اخرجه أبو داود رقم ٣٢١٢، والنسائى ٤/ ٧٨، ابن ماجـه رقـم ١٥٤٩ والامام احمد فى مسنده ٤ /٢٩٧ . ﷺ

روحه فى جسده قال:فيستخرجها يقطع منها العروق كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود قال: وتنزل ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر فإذا وقعت فى يد ملك الموت قام إليه الملائكة فلم يتركوها فى يده طرفة عين قال: ويخرج منه مثل أنتن ريح وجدت على الأرض فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون:هذا فلان بأسوأ أسمائه قال: فإذا انتهى به إلى السماء الدنيا أغلقت دونه فلم تفتح له وينادى مناد أن اكتبوا كتابه فى سجين[٢٠٤]وأرجعوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى[٢٠٥]قال: فيرمى به من السماء فذلك قوله تبارك وتعالى:(من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطيرأو تهوى به الريح

---

(٢٠٤) قال تعالى:" كلا إن كتاب الفجار لفى سجين وما أدراك ما سجين -كتاب مرقوم. ويل يومئذ للمكذبين" المطففين ٧- ١٠ " الآية فيها وعيد الفجار، قال تعالى أن صحائف أعمال الفجار " لفى سجين" وهو كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بيّن الكتابة أو عليه علامة يعلم من رآه أنه لا خير فيه، والمعنى كما قال النسفى

أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته. فقال الله فى وعيدهم ويل لهم يوم يخرج هذا المكتوب يوم الجزاء والحساب " انظر النسفى جـ٤ ص ٣٤٠.

(٢٠٥) قال تعالى: " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " طه آية ٥٥.

فى مكان سحيق)[٢٠٦] قال: فيعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه قال: فيقولان له: من ربك؟ فيقول: لا أدرى.فيقولان له: ما هذا النبى الذى بعث فيكم؟ قال: فيقول: لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك لا أدرى قال: فيقولان له لا دريت قال: وذلك قول الله عالى:(ويضل الله لظالمين ويفعل الله ما يشاء)[٢٠٧]قال:

---

(٢٠٦) سورة الحج آية ٣١. قال تعالى:"حنفاء لله غير مشركين به ومن يشـــرك بالله ... الآية " قال الزمخشرى قوله تعالى "ومن يشرك بالله .... الآية يجوز فى هـــذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فإن كان مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من الســـماء فاختطفتـــه الطيـــر فتفرق مزعاً فى حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به فـــى بعـــض المطـــاوح البعيدة، وإن كان مفرقا، فقد شبه الإيمان فى علوه بالسماء والذى ترك الإيمان وأشـــرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الـــذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ". الكشاف جـــ٣ ص ١٢- ١٣ والنسفى جـــ٣ ص ١٠١ .

(٢٠٧) سورة إبراهيم الآية٢٧ قال تعالى:" يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابـــت فـــى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء" قيـــل إن هـــذه الآيـــة وردت فى سؤال الملكين فى القبر، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق فى القبر عند الســـؤال وتثبيته إياه على الحق. وعن النبىﷺ أنه قال فى قوله تعـــالى : " يثبـــت الله ... وفـــى الآخرة " قال:" حين يقال له فى القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقـــول ربـــى الله ودينى الإسلام ونبيى محمدﷺ والمراد من الباء فى قوله تعالى:" بالقول الثابت. هـــو أن الله تعالى إنما يثبتهم فى القبر بسبب مواظبتهم فى الحياة الدنيا على هذا القول. قال ابن عباس: من داوم على الشهادة فى الحياة الدنيا يثبته الله عليها فى قبره ويلقنه إياها. وإنما فسر الآخرة ههنا بالقبر، لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل فـــى أحكـــام الآخرة. وقوله تعالى:" يضل الله الظالمين " يعنى أن الكفار إذا سئلوا فى قبورهم قـــالوا

وينادى مناد من السماء أن قد كذب فألبسوه من لنار وافرشوا له من النار وأروه منزله من النار قال: فيكسى من النار ويفرش له من النار ويرى منها منزله قال: ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال:ويمثل له رجل قبيح المنظر قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوؤك أبشر بغضب من الله وسخط هذا يومك الذى كنت توعد هذا يومك الذىكنت تكذب به قال: فيقول له: ويلك ومن أنت فوالله لوجهك الوجه جاء بالشر قال: فيقول: أنا عملك الخبيث والله ما علمت إن كنت لبطيئاً عن طاعة الله حريصاً على معصية الله فجزاك الله عنى شر الجزاء فيقول: يا رب لا تقم الساعة مما يرى مما أعد الله له ".

٣٥٤- وذكر البخارى عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال:" إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير[٢٠٨]، فأما هذا فكان لا يستنزه[٢٠٩] من بوله، وأما هذا

لا ندرى ؛ وإنما قال ذلك لأن الله أضله. وقوله تعالى: " ويفعل الله ما يشاء " يعنى إن شاء هدى وان شاء أضل ، ولا اعتراض عليه فى فعله البتة." مفاتيح الغيب جـ ١٧ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ مجلد ٩ " وهذا هو التفسير المشهور للآية ولها تفسير آخر .

([٢٠٨]) **الكبائر:** اختلف العلماء فى تعريف الكبائر فمن الناس من قال إن جميع الذنوب والمعاصى كبائر، وذلك ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال:"كل شئ عصى الله فيه فهو كبيرة، فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله، فإن الله تعالى لا يخلد فى النار من هذه الأمة إلا راجعا عن الإسلام، أو جاحداً فريضة، أو مكذبا بقدر. وقد رد الرازى هذا القول وضعفه وقال إن الذنوب لو كانت بأسرها كبائر لم يصح الفصل بين ما يكفر باجتناب الكبائر، وبين الكبائر، يشير الرازى إلى قوله تعالى: " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم" فالسيئات شئ وهى المعاصى والكبائر شئ آخر وأن اجتناب الكبائر يكفر السيئات أو المعاصى التى هى دون الكبائر، وعلى ذلك ليس كل ذنب صغيرة. وذكر أيضا قوله تعالى: "وكل صغير وكبير مستطر". أى مكتوب فى اللوح المحفوظ - وقوله تعالى: " لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها "

فالآية فرقت بين نوعين من الذنوب الصغائر والكبائر. ويقول الرازى أيضا أن الرسولﷺ- نص على ذنوب بأعيانها أنها كبائر، كقولهﷺ " الكبائر الاشراك بالله واليمين الغموس وعقوق الوالدين وقتل النفس" لعل الرازى يشير إلى ما جاء في الصحيح عن أبى بكرة عن أبيه قال:كنا عند رسول اللهﷺ فقال: ألا أنبأكم بأكبر الكبائر ثلاثا الاشراك، وعقوق الوالدين وشهادة الزور، أو قول الزور، وكان رسول اللهﷺمتكئا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"صحيح مسلم جـ٢ ص ٨١ .

وذكر الرازى أيضا قوله تعالى: (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) فقال فيها: وهذا صريح فى أن المنهيات أقسام ثلاثة: أولها: الكفر، وثانيها: الفسوق ،و ثالثها العصيان، فلابد من فرق بين الفسوق وبين العصيان ليصح العطف، وما ذاك إلا لما ذكرنا من الفرق بين الصغائر والكبائر، فالكبائر هى الفسوق، والصغائر هى العصيان.

ومن الناس من قسم الذنوب إلى كبائر وصغائر وهم فريقان: منهم من قال الكبيرة تتميز عن الصغيرة فى نفسها وذاتها ومنهم من قال إن الكبيرة تتميز عن الصغيرة بحسب حال فاعليها. والقائلين بأن الكبيرة تتميز عن الصغيرة فى نفسها اختلفوا فيما بينهم على أقوال: القول الأول منسوب إلى ابن عباس . قال: كل ما جاء فى القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة، نحو قتل النفس المرحمة وقذف المحصنة والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف، والقول الثانى منسوب إلى ابن مسعود. يقول: كل شئ نهى الله عنه حتى ثلاث وثلاثين آية فهو كبيرة، ثم قال: مصداق ذلك قوله تعالى: "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه" وجهتها بسورة النساء وقال: افتتحوا سورة النساء. والقول الثالث : يقول كل عمد فهو كبيرة.

والقول الثاني وهو قول من يقول إن الكبيرة تتميز عن الصغيرة بحسب حال فاعليها هو قول جمهور المعتزلة ومبنى هذا الرأى علي أن كل طاعة لها قدرا من

الثواب وكل معصية قدرا من العقاب فإذا كان الحـال بـين ثـواب الطاعـة وعقـاب المعصية، فحسب القسمة العقلية يقع علي ثلاثة أوجه : ١-أن يتعادلا ويتساويا " ثـواب الطاعة وعقاب المعصية " وهذا المكلف غير موجود بالدليل السمعي لأنه تعالي قـال: " فريق في الجنة وفريق في السعير " فلو وجد هذا المكلف الذي تتسـاوى طاعتـه مـع معصيته وجب أن لا يكون في الجنة ولا في السعير .

٢-أن يكون ثواب طاعته أزيد من عقاب معصيته، وعلي ذلك بفضل من الثـواب ما يزيد عن العقاب، فهذه المعصية هي الصغيرة وهذا القدر من الثواب الذي أحبط العقاب هو المسمى بالتكفير.

٣-وهو عكس الثانى بأن يكون ثواب الطاعة أقل من عقاب المعصية وحينئذ يسقط أو يحبط ذلك الثواب بما يساويه من العقاب، ويفضل من العقاب شئ، ومثـل هـذه المعصية هى الكبيرة، وهو الانحباط هو المسمى بالاحباط. وهذا هو الفـرق بـين الصغيرة والكبيرة كما ذكرها الرازى عن المعتزلة .

وقد أبطل الرازى كلا القولين الأول الذى يرى أن الكبيرة تتميز عن الصغيرة فـى نفسها وذاتها والقول الآخر الذى قالت به المعتزلة مـن أن الكبيـرة تتميـز عـن الصغيرة بحسب حال فاعليها.

فأما عن **القول الأول** قال الرازى ما نسب لابن عباس فهو مردود لأن يؤدى إلى أن كل ذنب كبيره وليس كذلك .

وعن قول ابن مسعود قال الرازى إنه ضعيف لأن الله تعالى ذكر كثيراً من الكبائر فى سائر السور ولا معنى لتخصيصها بسورة النساء.

والقول الثالث قال فيه الرازى إنه ضعيف أيضاً ؛ لأنه إن أراد بالعمد أنه ليس بساه عن فعله ، فما هذا حاله هو الذى نهى الله عنه، فيجب على هذا أن يكون كل ذنـب كبيرة، وقد أبطله الرازى من قبل، وإن أراد بالعمد أن يفعل المعصية مع العلم أنها معصية ، فمعلوم أن اليهود والنصارى يكفرون بمحمد ﷺ وهـم لا يعلمـون أنـه معصية، وهو مع ذلك كفر كبير.

وأما قول المعتزلة فقد أنكره الرازى لأنه مبنى على أصول كلها باطلة عند أهل السنة من هذه الأصول قاعدة الحسن والقبح العقليين كذلك الإحباط وهما مما تنكرها أهل السنة " ولمزيد من التفاصيل انظر مفاتيح الغيب جـ٩ ص ١٨٣ مجلده " .

وقال الأكثرون إن الله لم يميز كل الكبائر عن كل الصغائر حتى يكون ذلك زاجراً له عن الإقدام عليه وبيان ذلك؛ إذا لم يميز الله تعالى الكبائر عن كل الصغائر، ولم يعرف فى شئ من الذنوب أنه صغيرة، ولا ذنب يقدم عليه إلا ويجوز كونه كبيرة فيكون ذلك زاجراً عن الإقدام عليه. وقالوا ونظير هذا فى الشريعة إخفاء الوسطى فى الصلوات وليلة القدر فى ليالى رمضان، وساعة الإجابة فى ساعات الجمعة، ووقت الموت فى جميع الأوقات. روى أنهﷺ قال: "ما تعدون الكبائر" فقالوا ! الله ورسوله أعلم، فقال: "الإشراك بالله وقتل النفس المحرمة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف والسحر وأكل مال اليتيم وقول الزور وأكل الربا وقذف المحصنات الغافلات "، وعن عبد الله بن عمر أنه ذكرها وزاد فيها استحلال آمين البيت الحرام، وشرب الخمر، وعن ابن مسعود أنه زاد فيها: القنوط من رحمة الله واليأس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله. وذكر عن ابن عباس أنها سبعة، ثم قال: هى إلى السبعين أقرب وفى روايه أخرى إلى السبعمائة أقرب. " انظر مفاتيح الغيب جـ٩ ص ١٨٢ مجلد ٥ " وقد ذكر الإمام الحافظ شمس الدين الذهبى أنهم سبعون. راجع كتاب الكبائر للإمام الحافظ.

(٢٠٩) أى لا يتحرز من البول وقال الرسولﷺ: " استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه " ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة، قال الإمام الحافظ الذهبى "هو شعار النصارى" انظر الكبائر جـ ٩ ١٠ .

فكان يمشى بالنميمة[210]، ثم دعا بعسيب رطب شقه باثنين فغرس على هـذا واحـداً، وعلى هذا واحداً، ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا "[211].

([210]) النميميه: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد أى علـى وجهه يترتب عليها الإفساد بينهم وهى محرمة إجماعاً ما لم تـدع الحاجـة إليهـا وإلا جازت كما اذا أخبرك شخص أن إنسانا يريد الفتك بك أو بمالك أو بأهلك فهذا ونحـوه ليس بحرام وقد يكون بعضه واجبا وبعضه مستحبا كما صرح به النـووى رحمـة الله تعالى. والمذاهب متفقه على أنها كبيرة لحديث الصحيحين لا يدخل الجنة نمامـا. قـال النووى "وأما قولهﷺ لا يدخل الجنة نمام" ففيه التأويلان المتقدمان. فى نظائره أحـدهما يحمل على المستحيل بغير تأويل مع العلم بالتحريم ، والثانى لا يدخلها دخول الفـائزين وقال الإمام الغزالى فى الإحياء" وكل من حملت إليه نميمة وقيل له فلان يقـول فيـك. صحيح مسلم جـ١ ص ٣٠٣. أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمـور. **الأول:** ألا يصـدقه لأن النمام فاسق. **الثانى:** أنه ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله. **الثالث:** أن يبغضه فـى الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعـالى. **الرابـع:** ألا يظن بأخيه الغائب السوء. **الخامس** ألا يحمله ما حكى له على التحسيس والبحـث عـن ذلك. **السادس** ألا يرجى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا تحكى نميمته عنه فيقـول فـلان **حكى كذا فيصير به نماماً ويكون آتيا ما نهى عنه" صحيح مسلم جـ١** ص ٣٠٢ بشـرح النووى .

وذكرها الحافظ شمس الدين الذهبى من الكبائر وقال فى الحديث وظـاهرة أنهـا ليست بكبيرة قال وقوله وما يعذبان فى كبير أى ليس بكبير تركه عليها أو ليس بكبيـر فى زعمهما ولهذا قال فى رواية أخرى: " بلى أنه كبيره " ص ١٢٤ كتاب الكبائر.

والغيبة وهى ذكر الإنسان بما فيه مما يكرهه سواء ذكـره بلفظـه أو كتابتـه أو إشارته إليه بعينه أو يده أو رأسه وضابطه كل ما أفهم به غيره نقصان مسلم فهو غيبه محرمه بالإجماع وفى القرآن الشريف " أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتـا". وكمـا تحرم الغيبه على المغتاب يحرم إستماعها وإقرارها والغيبة بالقلب محرمة لها باللسان . أنظر شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد فى كتاب حاشية الأمير. ص ١٦١- ١٦٢.

٣٥٥- وذكر النسائى عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: " هذا الذى تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف من الملائكة لقد ضُم ضمة ثم فرج عنه"[٢١٢].

وهذا الذى تحرك له العرش هو سعد بن معاذ الأنصارى رُمى بسهم فـــى غـــزوة الخندق ثم مات منه بعد ذلك ويعنى بالضمة ضمة القبر.

٣٥٦- ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤنين قـــال: قـــال رسول الله ﷺ: "إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ"[٢١٣].

٣٥٧- وذكر مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رســـول الله ﷺ : " إن أحدكم إذا مات عُرض على مقعده بالغداة والعشى[٢١٤]، إن كان من أهل الجنة فمن أهل

([٢١١]) البخارى فى الوضوء جـــ١ص٣٢٢ الحـــديث ٢١٦ - ٢١٨ ومســـلم فـــى الطهارة جـــ١ص٢٤٠ رقم ١١ / ٢٩٢ وفى البخارى (يستتر من البـــول) ولمســـلم " يستنزه " معنى الإستتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله ستره يعنى لا يتحفظ منه.

([٢١٢]) النسائى ٤ /١٠٠ / ١٠١ وأخرجه بن حبان فى صحيحه ٨٩/٩ والـــديلمى فـــى مسند الفردوس رقم ٦٩٧٢ .

([٢١٣]) الإمام أحمد ٥٥/٦ ، ٩٨ .

([٢١٤]) قال ابن التين : يحتمل أن يريد بالغداة والعشى غداة واحدة وعشـــية واحـــدة يكون العرض فيها : ويحتمل أن يريد كل غداة وكل عشى ، وهو محمول على أنه يحيا منه جزء ليدرك ذلك فغير ممتنع أن تعاد الحياة إلى جزء من الميت أو أجزاء وتصـــح مخاطبته والعرض عليه. وخالف القرطبى ابن التين وقال : ويجـــوز أن يكـــون هـــذا العرض على الروح فقط وجوز أيضا أن يكون على الروح مع جزء من البدن ، وقـــال فى " الغداة والعشى " المراد وقتهما وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء، وقـــال إن

الجـــــنة[٢١٥]، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه[٢١٦] يوم القيامة[٢١٧] ويروى: " عرض عليه مقعده ".

وهذا ضرب من العذاب كبير، وعندنا المثال فى الدنيا بمن يعرض عليه بالسيف للقتـل أو غيره من آلات العذاب أو بمن يهدد به من غير أن يرى الآلة، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه وبكرمه ورحمته.

هذا فى حق المؤمن والكافر واضح، فأما المؤمن المخلط فمحتمل فى حقه أيضاً ، لأنـــه يدخل الجنة فى الجملة، ثم هو مخصوص بغير الشهداء لأنهم أحياء وأرواحهم تســـرح فى الجنة، ويحتمل أن يقال : إن فائدة العرض فى حقهم تبشير أراوحهم باستقرارها فى الجنة مقترنة بأجسادها، فإن فيه قدراً زائداً على ما هى فيه الآن .

(٢١٥) قال النوريشتى: إن كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه. وقال الطيبى: اتحد فيه الشرط "إن" والجزاء " فمن .... " لفظا والشرط والجـزاء إذا إتحدا لفظا دل على الفخامة، والمراد أنه يرى بعد البعث من كرامة الله ما ينسيه هذا المقعد.

(٢١٦) قال ابن التين: " حتى يبعثك الله " أى لا تصل إليه إلى يوم البعث. وقال ابن عبد البر حتى يبعثك الله الى ذلك المقعد، ويحتمل أن يعود الضمير فى " إليه " إلـــى الله فإلى الله ترجع الأمور. وقال الحافظ ابن حجر الأول أظهر. ويؤيده رواية الزهرى عن سالم عن ابيه بلفظ "ثم يقال: هذا مقعدك الذى تبعث اليه إلى يـــوم القيامـــة " وأرى أن المعنى واحد فيوم القيامة يرجع الناس إلى الله." أنظر فتح البارى جـ٣ ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٢١٧) أخرجه البخارى فى الجنائز جـ ٣ ص ٢٤٣ رقم ١٣٧٩ ومسلم فى الجنـــة جـ ٤ ص ١٩٩ ، الحديث ٦٥ / ٢٨٦٦ .

قد صحت الأحاديث عن النبىﷺ فى عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها، وإنما اختلف الناس هل تعذب الروح قبل أن ترد إلى الجسد أو بعد دفنه أو بعد ما ترد إليه لأن الرواية فى رد الروح إلى الجسد فى القبر لم تصح صحة عذاب القبر من غير ذكر رد الروح وحديث رد الروح إلى الجسد فى القبر ذكره أبو داود أيضاً.

وكيف ما كان فالعذاب محسوس، والألم موجود، والأمر شديد، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً بالنائم فإن روحه تتنعم أو تتعذب والجسد لا يحس بشئ من ذلك، فتفكر أيها الإنسان فى نفسك، وتخيل حالك عند حلول رمسك، وهل يكون أول سعدك أو يكون اول نحسك، وقد جاء فى الخبر " إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وفى الخبر أيضاً:" إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار".

وقد تقدم الحديثان وأنت أعلم بحالك وما قدمت من أعمالك فتخيل بين عينيك وثوب منكر ونكير عليك وفى إسميهما ما يدلك على صفتهما وقولهما وفعلهما، وقد بدا لك بعض ما يعذبان به ذلك الممتحن وما يسومان به ذلك البائس المرتهن.

واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين، بل تشاركهم فيه طائفة من المؤمنين،وكل على حاله من عمله وماستوجبه بخطيئته وزلله وإن كانت تلك النصوص المتقدمة فى عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق،ومن أين لك بالأمان من تلك الصفة المذمومة والأعمال المشنومة وإنما الأعمال بالخواتيم، وما ختم لك به فهو الواجب عليك اللازم، والطوق فى عنقك المقيم الدائم، وعذاب المؤمن لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله، قد يكون عذاب المؤمن فى ضمة القبر أو ضيقة أو صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات، وبالحسرات على ما سلف له من الجهالات، وبالندامات على ما مضى به من التباعات، أو بما شاء الله

تعالى،فيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم، فإن أمنــت بذلك العذاب الأكبر فما الذى ما شاء الله أن يكون ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم ، فإن أمنت بذلك العذاب الأكبر فما الذى أمنك من هذا الذى هو بالإضافة إليه عذاب أصغر، فتفكر ما دام ينفعك التفكر، وتخيل ما دمت ترجو ثمرة هذا التخيل إذا طرحت فى حفرة من الأرض قصيرة الطول ضيقة العرض، فاشتدت بها وحشــتك واســتبانت غربتــك، فانضمت عليك ضمة كسرت أنفك، وشدخت رأسك، ورضت عظامك ، وسرت ورائك وأمامك، وتحتك وفوقك ، وملأت ظلمة أرضك ، وأفقك ، من قلب قد نُكس، وبدن قــد رمس قد قصر وحُبس، وأردت أن تفر فلم تترك، وأردت أن تستغيث فلــم تملــك، ولا تدرى ما يدوم ولا متى تترك أن تقعد أو تقوم، أتراك كنت مفتوناً من هذا المقام ، بمــا كنت جمعت من حطام، بل جمعه جميع الأنام من حلال وحرام، بل بما لا يحصر مــن أضعاف ذلك ولا يُحد، ولا يجمع ولا يعد، ولعلك قد كنت فى الدنيا لا ترضى بمنزلــك المتسع، ولا بشملك المجتمع، ولا تقنع برزق ربك المندفق، عليك المندفع، فانظر رحمك الله لنفسك وادفع عنك جوانب هذه الحفرة وخفف عنك من هذه الضــمة، وأنــس مــن ووطئ لذلك المصرع، وارغب وتوسل واضرع وتذلل، ولعل الإله المعبود الذى جــوده الجود ، وكرمه لا محصور ولا معدود، وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود، سيرســل منه قطرة تغمر العرش والدره فيصيبك منه بنصيب ويبلك منه بذنوب، وتعمــك منــه بشؤوب ، فقد انقطع الرجاء إلا منه، وسددت الأبواب إلا عنه، جــل وعــلا وتبــارك وتعالى.

ذكر يوم القيامة وأسمائه

واعلم رحمك الله أن هذا اليوم ليس عظمة مما يوصف ولا هول له مما يكيــف علي مقدار مما يعلم في الدنيا ويعرف، بل لا يعلم عظمه ولا مقداره إلا هو لــه إلا الله تبارك وتعالي، وما ظنك بيوم يعبر الله تبارك وتعالي عن بعض ما

يكون فيه "بشيء عظيم" قال-عز وجل-:(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة[٢١٨] الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) [الحج: ١،٢] وماذا عسي أن يقول القائل فيه وماذا عسي أن يصفه الواصف به الأمر أعظم، والخطب أكبر، والهول أشنع.

يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ثم ما أدراك ما يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجد كل عامل عمله أمامه:

يوم المدمدمة،يوم الزلزلة[٢١٩] ، يوم الصاعقة[٢٢٠] ، يوم الواقعة[٢٢١] ،يوم الراجفة، يوم الرادفة[٢٢٢]يوم الغاشية[٢٢٣]،يوم الداهية[٢٢٤] ،يوم الآزفة[٢٢٥] ، يوم الحاقة[٢٢٦] يوم

---

(٢١٨) قال النسفى: الزلزله شده التحريك والإزعاج وإضافه الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هى التى تزلزل الأرض على المجاز الحكمى، أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار. ووقت الزلزله يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها. يوم ترونها تغفل كل مرضعه عن أرضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل، وقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشه إذ المرضعة هى التى فى حال الإرضاع ملقمه ثديها الصبع ، والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به . ويومها تضع كل ذات حمل ولدها قبل تمامه. وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام، ويكون الناس سكارى ولكن ليس على الحقيقة، ولكن خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه. " انظر تفسير النسفى جـ٣ ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢١٩) " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم " الحج ١ .

الطامـــة[٢٢٧] ،يوم الصاخه[٢٢٨]،يوم التلاق[٢٢٩]،يوم الفراق[٢٣٠]،يوم المساق [٢٣١]،يـــوم الإشفاق[٢٣٢]،يوم القصاص[٢٣٣]،يوم ولات حين مناص[٢٣٤] ، يـــوم التنـــاد[٢٣٥] ،يـــوم

---

(٢٢٠) الصاعقة " فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون " الـــذاريات ٤٤

(٢٢١) " اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة " الواقعة ١ .

(٢٢٢) " يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة " النازعات ٦.

(٢٢٣) " هل أتاك حديث الغاشية " الغاشية ١.

(٢٢٤) " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر " القمر ٤٦.

(٢٢٥) " وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين " غافر ١٨ .

(٢٢٦) " الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة " سورة الحاقة . ١- ٣.

(٢٢٧) " فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى " النازعات ٣٤.

(٢٢٨) " فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه " عبس ٣٣ .

(٢٢٩) " يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق " غافر ١٥.

(٢٣٠) " كلا اذا بلغت التراقى . وقيل من راق . وظن أنه الفراق " القيامه ٢٨.

(٢٣١) " إلى ربك يومئذ المساق " القيامة ٣٠ .

(٢٣٢) " الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون " الأنبياء ٤٩ .

(٢٣٣) يوم القصاص يوم القيامة وهى الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور .

(٢٣٤) كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص " أى ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والحال أن لا مهرب ولا منجى " تفسير الجلالين " .،

(٢٣٥) قال تعالى : " انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله مـــن عاصم " غافر ٣٢ : ٣٣ . وفى تسميه يوم القيامة يوم التناد وجوه : منها أن أهل الجنة ينادون أهل النار وبالعكس، ومنها أنه من قوله يوم ندعو كل اناس بإمـــامهم ومنهـــا أن بعض الظالمين ينادى بعضا بالويل والثبور قائلين يا ويلنا، ومنها أنهم ينادون المحشـــر ومنها أنه ينادى المؤمن هاؤم أقرؤا كتابيه والكافر يا ليتنى لم أوت كتابيه ، ومنها إنـــه يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى فى أهل القيامة لا مـــوت فيـــزداد

الأشهاد[٢٣٦]، يوم الميعاد[٢٣٧] ، يوم المرصاد[٢٣٨] يوم المساءلة[٢٣٩]، يوم الحساب[٢٤٠] ، يوم المآب ، يوم العذاب[٢٤١] ، يوم الفرار لو وجد الفرار[٢٤٢]،يوم القرار[٢٤٣]،إما في

أهل الجنة فرحاً على فرح وأهل النار حزنا على حزن . النيسابورى ص ٤٤ جـ ٢٤ م ١١ .

(٢٣٦) قال تعالى: انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد " غافر ٥١ . والأشهاد جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب " انظر تفسير الجلالين " ص ٦٢٤.

(٢٣٧) قال تعالى: " ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد" لا يخلف الميعاد " أى موعده بالبعث. آل عمران آية ٩ .

(٢٣٨) قال تعالى : " إن ربك لبالمرصاد " أى يرصد أعمال العباد فلا يفونه منها شئ ليجازيهم عليها فى الآخرة " الفجر آية ١٤.

(٢٣٩) قال تعالى : " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً الاسراء ٣٤.

(٢٤٠) قال تعالى : " إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم " الغاشية ٢٦.

(٢٤١) قال تعالى : " ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون .... "الأنعام ٩٣.

(٢٤٢) قال تعالى : " فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه " عبس ٣٤ . وقال جل ثناؤه : " يقول الإنسان يومئذ أين المفر " القيامة ١٠ .

(٢٤٣) قال تعالى : " جهنم يصلونها وبئس القرار " إبراهيم ٢٩ .

الجنة ، وإما في النار ، يوم القضاء[٢٤٤] ، يوم البكاء[٢٤٥] ، يوم البلاء[٢٤٦] ، يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً [٢٤٧]يوم الحشر[٢٤٨]يوم النشر[٢٤٩]، يوم الجمع[٢٥٠]يوم البعث[٢٥١]يوم العرض[٢٥٢] ، يوم الوزن[٢٥٣] ، يوم الحق[٢٥٤] ، يوم

([٢٤٤]) قال تعالى : " ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون" . سورة يونس ٩٣.

([٢٤٥]) قال تعالى : " فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون " أى فيضحكوا فى الدنيا وليبكوا فى الآخرة. وهو خبر عن حالهم بصيغة الأمر " تفسير الجلالين " ص ٢٥٥. سورة التوبة آية : ٨٢ .

([٢٤٦])-قال تعالى: "إنه على رجعه لقادر.يوم تبلى السرائر" سورة الطارق آية ٨ – ٩.

([٢٤٧]) إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيرا " الطور آية ٩ – ١٠ .

([٢٤٨]) قال تعالى: "وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم " الحجر ٢٥.

وقال تعالى : "اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت " الانشقاق : ١ .

([٢٤٩]) قال تعالى : (... فأحيينا به الأرض بعد موتها فكذلك النشور) فاطر آية ٩ .

([٢٥٠]) قال تعالى: (لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه) سورة الشورى آية ٧.

([٢٥١]) قال تعالى: (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) الروم آية ٥٦ .

([٢٥٢]) قال تعالى: (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) الكهف ١٠٠

وقال تعالى: (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) سورة الأحقاف ٢٠.

([٢٥٣]) قال تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) الأنبياء آية ٤٧.

([٢٥٤]) قال تعالى: (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين). سورة النور آية ٢٥.

الحكم[٢٥٥] ، يوم الخزي[٢٥٦] ، يوم عقيم[٢٥٧] ، يوم عظيم[٢٥٨] ، يوم عسير[٢٥٩] ، يـــوم قمطرير [٢٦٠]، يوم النشور[٢٦١] ، يوم المصير[٢٦٢] ، يوم الدين[٢٦٣] ، يوم اليقين[٢٦٤] ، يوم النفخة[٢٦٥] ، يوم الصيحة[٢٦٦] ، يوم الزحف ، يوم الزجرة [٢٦٧]، يوم الســـكرة[٢٦٨] ، م الفزع[٢٦٩] ، يوم الجزع ، يوم الفلق ، يوم الفراق[٢٧٠] ، يـــوم العــــرق[٢٧١] ، يـــوم

---

(٢٥٥) قال تعالى: (فما يكذبك بعد بالدين. أليس الله بأحكم الحاكمين)التين ٧-٨.

(٢٥٦) قال تعالى: (ألم يعلموا أن من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم) سورة التوبة : آية ٦٣.

(٢٥٧) قال تعالى:(حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) سورة الحج ٥٥.

(٢٥٨) قال تعالى: (إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) الشعراء : ١٣٥.

(٢٥٩) قال تعالى: (فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) المدثر : ٩.

(٢٦٠) قال تعالى : (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريراً) الإنسان ١٠.

(٢٦١) قال تعالى: (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك: ١٥

(٢٦٢) قال تعالى : (وإليه المصير)

(٢٦٣) قال تعالى : مالك يوم الدين) سورة الفاتحة

(٢٦٤) قال تعالى: (إن هذا لهو حق اليقين) الواقعة ٩٥

(٢٦٥) قال تعالى: (ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) يس: ٥١

(٢٦٦) قال تعالى: (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) ق: ٤٢

(٢٦٧) (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) الصافات : ١٩

(٢٦٨) قال تعالى: (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)الحج :٢

(٢٦٩) قال تعالى: (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يـــومكم الـــذى كنـــتم توعدون) ابراهيم:١٠٣

(٢٧٠) قال تعالى: (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الروم : ١٤

(٢٧١) سوف يأتى الحديث عن العرق يوم القيامة.

الميقات(٢٧٢) ، يوم يخرج الأموات (٢٧٣) وتظهر المخبآت ، يوم الانشـــقاق(٢٧٤) ، يـــوم الانكدار(٢٧٥)، يوم الانتشار(٢٧٦)، يوم الانفطار(٢٧٧) ، يوم الافتقار ، يوم الوقـــوف(٢٧٨) ، يوم الخروج ، يوم الانصداع (٢٧٩)، يـــوم الانقطـــاع(٢٨٠) ، يـــوم معلـــوم(٢٨١) ، يـــوم موعود(٢٨٢) ، يوم مشهود(٢٨٣) ، يوم تبلي السرائر(٢٨٤) ، يوم تخرج الضمائر.

يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً(٢٨٥)، يوم لا تغنى نفس عن نفس شـــيئاً(٢٨٦)، يـــوم لا تملك نفس لنفس شيئاً(٢٨٧)، يوم يدعى فيه إلى النار(٢٨٨) ، يوم ينجى فيه من النار(٢٨٩).

---

(٢٧٢) قال تعالى: (إن يوم الفصل كان ميقاتا) النبأ: ١٧

(٢٧٣) قال تعالى: (كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الأعراف : ٥

(٢٧٤) قال تعالى: (اقتربـــت الســـاعة وأنشـــق القمـــر) القمـــر :١. وقـــال تعـــالى : (إذا السماء أنشقت وأذنت لربها وحقت) سورة الإنشقاق ١،٢

(٢٧٥) قال تعالى : " وإذا النجوم انكدرت " التكوير : ٢ .

(٢٧٦) قال تعالى: " يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر " القمر : ٧.

(٢٧٧) قال تعالى: " إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت " الانفطار : ١

(٢٧٨) قال تعالى: " وقفوهم إنهم مسئولون " الصافات:٢٤ وقال تعالى: " ولـــو تـــرى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم " سبأ ٣١ .

(٢٧٩) قال تعالى: " يومئذ يصدعون " الروم : ٤٣ .

(٢٨٠) قال تعالى : " إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعـــت بهـــم الأسباب " البقرة : ١٦٦ .

(٢٨١) قال تعالى: " لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم " الواقعة : ٥٠ .

(٢٨٢) قال تعالى: " والسماء ذات البروج . واليوم الموعود " البروج : ٢ .

(٢٨٣) قال تعالى: " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) هود : ١٠٣ .

(٢٨٤) قال تعالى: "إنه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر " الطارق : ٩ ؟

(٢٨٥) قال تعالى: "واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ". البقرة : ٤٨ .

(٢٨٦) قال تعالى:"يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ". الطور: ٤٦ .

يوم تقلب فيه الوجوه فى النار، يوم البروز إلى الله ، يوم الصدور إلى الله، يوم لا تنفع المعذرة ، يوم لا يرتجى إلا المغفرة، وأهول أسمائه وأبشع ألقابه، يوم الخلود وما أدراك ما يوم الخلود، يوم لا انقطاع لعذابه، ولا آخر لعقابه، ولا يكشف فيه عن كافر ما به ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله من بلائه وسوء قضائه بكرمه ورحمته.

واعلم:أن العرب قد تسمى الشئ بأسماء كثيرة وتجعل له ألقاباً عديدة تعظيماً لشانه، وإكباراً لأمره، قد سمى الله – تبارك وتعالى – يوم القيامة بأسماء كثيرة، ولعله من هذا، وهو– تبارك وتعالى–أعلم.

ذكر النفخ فى الصور: النفخة الأولى والثانية

قد تقدم لك الكلام فى ذكر الموت وغصته وكربه وشدته وعذاب القبر وفتنته وضيقه وظلمته ومنكر ونكير ورؤيتهما وسماع كلامهما على فظاظتهما وغلظتهما وبشاعة منظرهما وتكلف جوابهما والتوقى من مقامعهما بالإقرار بالربوبية والشهادة بالرسالة لمن يثبه الله تعالى بالقول الثابت وأمده بنور الإيمان وألهمه حجته وإن فى ذكر هذا لتنبيهاً من الغفلة وتنشيطاً من الكسل وحلا من عقال البطالة وصرفاً عن اللذات وردعاً عن نيل الشهوات بل فيه ما يذهل النفوس ويميت القلوب أن تنال من الدنيا حظها الذى يكون به حياتها ويكون به قوامها فضلاً أن تنال منها غير ذلك فكيف بما وراء هذا من جمع العباد ليوم التناد ويوم يقوم الأشهاد وحشر الأمم لذلك الهول الأعظم.

([٢٨٧]) قال تعالى: " فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضراً " سبأ:٤٢.

([٢٨٨]) قال تعالى: " يوم يدعون الى نار جهنم دعاً " الطور : ١٣.

([٢٨٩]) قال تعالى:" ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " مريم : ٧٢.

واعلم: أن الإنسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من إحدى الدارين وصحبته من أحد الفريقين، وأنه لا تزال نفسه معذبة أو منعمة إلى يوم الجزاء والاجتماع لفصل القضاء، وبعد ذلك لا يتجرد النعيم والعذاب على وجه آخر وصفة أخرى مما سيأتي ذكره بعد هذا إن شاء الله – عزّ وجلّ – .

واعلم: أن الله تعالى خلق للجنة أهلاً وخلق للنار أهلاً وهم مع الساعات راحلون ومع الأنفاس ظاعنون، إلى دار البلى ومعسكر الموتى ومستقر الأرواح، وكل مطلع على مكانه، الذى يصير إليه ومشرف على منزله الذى ينزل به، وبذلك يكون نعيمهم وعذابهم، وبغير ذلك مما شاء الله– عزّ وجلّ– فلا يزالون هكذا يرحلون وينتقلون ويظعنون على أن يفرغ العدد السعيد والفريق المنعم ويبقى من العدد الشقى والفريق المقصى، بقية لا يحصيها إلا خالقها تعالى لكنهم قليلون بالإضافة إلى ما رحل منهم، يكون ارتحال هذه البقية إلى الدار الآخرة بمدة واحدة وخروجهم من الدنيا فى دفعة واحدة، وهم الذين تبعثهم الصيحة وتقوم عليهم الساعة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ (٢٩٠) [الأعراف : ١٨٧].

---

(٢٩٠) السؤال عن الساعة هنا ليتحقق فى القلوب أن وقت الساعة غير معلوم للخلق مكتوم عنهم، فيصير ذلك حاملاً للمكلفين على المسارعة إلى التوبة وأداء الواجبات .

وقد اختُلف فى من هو السائل فقال ابن عباس: القائل هم قوم من اليهود ، قالوا يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت هذه الآية. وقال الحسن وقتادة: هم قريش قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة، فاذكر لنا متى الساعة. فكان سؤالهم عن زمان وقوع الساعة وثبوتها " وهو: الإرساء "، فقال تعالى إن وقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله وقد أكد الله

٣٦٤- ويروى عن الشعبى قال:" لقى جبريل عيسى عليهما السلام فقال له عيسى:متى الساعة ؟ فانتفض جبريل فى أجنحته وقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل (ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) وأما تقريب وقتها فكل آت

سبحانه وتعالى هذا المعنى فقال: (لا يجليها إلا هو " أى لا يظهرها فى وقتها المعين إلا هو. وقد وصفها بالثقل فى السماوات والأرض، وللمفسرين فى ثقلها وجوه ذكرهم الرازى وهى قول الحسن: أى ثقل مجيئها على السموات والأرض لأن عند مجيئها تشقق السماوات وتكور الشمس والقمر وتنتثر النجوم، وأما ثقلها على الأرض لأن فى ذلك اليوم تبدل الأرض غير الأرض ، وتبطل الجبال والبحار.

وقول أبو بكر الأصم: ثقلها يكون على أهل السماء والأرض لأن فيه فناءهم وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب.

وقال السدى: الثقل معناه الخفاء أى خفيت فى السماوات والأرض ولم يعلم أحد من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين متى يكون حدوثها ووقوعها . وقال آخرون:إن هذا اليوم عظيم الثقل على القلوب بسبب أن الخلق يعلمون أنهم يصيرون بعدها إلى البعث والحساب والسؤال والخوف من الله فى مثل هذا اليوم الشديد . وقال آخرون: أى ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السماوات والأرض، وكما يقال فى المحمول الذى يتعذر حمله إنه قد ثقل على حامله ، فكذلك يقال فى العلم الذى استأثر الله تعالى به إنه يثقل عليهم.

وقد أكد الله تعالى كون وقت حصولها غير معلوم للخلق بأنها لا تجئ إلا بغتة فجأة على حين غفلة من الخلق. وعن النبىﷺ أنه قال" الساعة تفجأ الناس ، فالرجل يصلح موضعه، والرجل يسقى ماشيته، والرجل يقوم بسلعته فى سوقه، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه" وروى الحسن عن النبىﷺأنه قال: " والذى نفس محمد بيده لتقوم الساعة وإن الرجل ليرفع اللقمة إلى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك " " انظر مفاتيح الغيب جـ ١٤ ص ٣٨٦ - ٣٨٨. مجلد ٧.

قريب قال الله تعالى:(وما أمر الساعة إلا كلمح البص[٢٩١]أوهو أقرب[٢٩٢]إن الله على كل شئ قدير)[النحل:٧٧] وقال-عزّ وجلّ-:(اقترب للناس حسابهم[٢٩٣]وهم في غفلة

([٢٩١]) الساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة سميت ساعة لأنها تفاجأ الإنسان في ساعة فيموت بصيحة واحدة، اللمح النظر بسرعة، يقال لمحة ببصره لمحاً ولمحانا، والمعنى: وما أمر القيامة في السرعة إلا كطرف العين، والمراد منه تقرير كمال القدرة.

([٢٩٢]) وقوله " أو هو أقرب" معناه أن لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ، ولا شك أن الحدقة مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ ، فلمح البصر عبارة عن المرور على جملة تلك الأجزاء التي منها تألف سطح الحدقة، ولا شك أن تلك الأجزاء الكثيرة، والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من آنات متعاقبة ، والله تعالى قادر على إقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات ، فلهذا قال تعالى:" أو هو أقرب) إلا أنه لما كان أسرع الأحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا لمح البصر لا جرم ذكره." انظر مفاتيح الغيب جـ ١٨ . ص ٥٩٩ مجلد ٩ .

([٢٩٣]) **يعني أقترب وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة** وإنما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالإضافة لما ما مضى ، ولأن كل آت قريب. " تفسير النسفي جـ٣ ص ٧١". قال الرازي: إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكون أقرب الى تلافي الذنوب والتحرز عنها خوفا من ذلك.جـ٢١ ص٧١. مجلد ١١.

وقال الرازي: لقائل أن يقول كيف وصف بالاقتراب وقد عبر بعد هذا القول قريب من ست مائه عام. وذكر أن الجواب على ذلك من **ثلاثه أوجه هي:**

١- أنه مقترب عند الله تعالى والدليل عليه قوله تعالى: " ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون " الحج : ٤٧.

٢- أن كل آت قريب وإن طالت أوقات ترقبه ، وإنما البعيد هو الذي انقرض .

معرضون(٢٩٤) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث(٢٩٥) إلا استعموه وهــم يلعبــون(٢٩٦) لاهية قلوبهم(٢٩٧)) [الأنبياء:١-٣] وقال تبارك وتعــالى : (اقتربــت الســاعة وانشــق

٣- أن المعاملة إذا كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر ، فإنه لا يقال اقترب الأجل أما إذا كان الماضى أكثر من الباقى فإنه يقال اقترب الأجل، فعلى هذا الوجه قال العلماء أن فيه دلالة على قرب القيامة ، ولهذا الوجه قال عليه السلام " بعثت أنا والساعة كهاتين " وهذا الوجه قيل إنه عليه السلام ختم به النبوه ، كل ذلك لأجل أن الباقى من مدة التكليف أقل من الماضى .

وفى تسمية يوم القيامة بيوم الحساب يقول الرازى فائدته أن الحساب هو الكاشــف عن حال المرء فالخوف من ذكره أعظم .

(٢٩٤) وصف الله الناس تجاه الحساب بأمرين الغفلة والإعراض فهــم غــافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون فى عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لابــد مــن جــزاء المحسن والمسئ ثم اذا انتبهوا من سنة الغفلة ورقدة الجهالة مما يتلى عليهم من الآيات، والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم .

(٢٩٥)قال الرازى:إنما ذكر الله تعالى ذلك بيانا لكونهم معرضين، وذلــك لأن الله تعالى يجدد لهم الذكر وقتا مؤقتاً ويظهر لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظه لعلهم يتعظون فما يزيدهم ذلك الا لعبا واستسخاراً.

(٢٩٦) ذلك ذم للكفار وزجر لغيرهم عن مثله لأن الانتفاع بما يسمع لا يكون إلا بما يرجع إلى القلب من تدبر وتفكر، وإذا كانوا عند استماعه لاعبــين حصــلوا علــى مجرد الاستماع الذى قد تشارك البهيمة فيه الإنسان.

القمــر(٢٩٨) وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكــل أمر مستقر، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمــة بالغــة فمــا تغــن النــذر) [القمر:١-٥] وقال عز من قائل:(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) (٢٩٩) [النحل:١].

---

(٢٩٧) تأكيد لذمهم واللاهية من لهى عنه إذا ذهل وغفل، وإنما ذكر اللعب مقدما على اللهو تنبيها على أن اشتغالهم باللعب الذى معناه السخرية والاستهزاء معلل بــاللهو الذى معناه الذهول والغفلة، فإنهم أقدموا على اللعب للهوهم وذهولهم عن الحق." انظــر تفسير الرازى مفاتيح الغيب جـــ٢١ ص٧٧ –٨٠ لتفسير الآية " مجلد ١١.

(٢٩٨) انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة. عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين " وكذا عــن ابــن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما. قال ابن عباس: انفلق فلقتين ، فلقة ذهبت، وفلقــة بقيت. وقال ابن عباس : رأيت حراء بين فلقتى القمر. وعن بعض النــاس أن معنــاه ، ينشق يوم القيامة. وقد انشق القمر " فى قراءة حذيفة أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق. وعن حذيفة أنه خطب فى المــدائن ثــم قــال: ألا إن الساعة قد اقتربت وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم. "انظر الكشاف جـــ٤ ص ٣٦.

(٢٩٩) أنه عليه الصلاة والسلام لما أكثر من تهديدهم بعــذاب الــدنيا وعــذاب الآخرة ولم يروا شيئا نسبوه إلى الكذب، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله تعــالى: " أتى أمر الله فلا تستعجلوه" . وإنه وإن لم يأت هذا العذاب إلا أنه واجب الوقوع كأنــه قيل: أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد منذ الأزل الى الأبد فصح قولنا أتى أمر الله ، إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل لأنه تعالى خصــص حصــوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت. " انظــر مفــاتيح الغيب جـــ ١٨ ص ٤٦٤ مجلد ٩.

٣٦٥- يروى أن النبىﷺ " لما نزل عليه (أتى أمر الله) وثب قائماً فلما نزل (فلا تستعجلوه) جلس[٣٠٠] قال بعض العلماء: إنما وثب عليه السلام خوفاً من أن تكون الساعة قد قامت.

٣٦٦- وقال عليه السلام: " بعثت أنا والساعة كهاتين وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى ذكره مسلم بن الحجاج فى كتابه.

٣٦٧- وذكر مسلم بن الحجاج أيضاً فى كتابه عن النواس بن سمعان الكلابى عن النبىﷺ وذكر خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم[٣٠١]، وقتله الدجال، ثم

([٣٠٠]) انظر مفاتيح الغيب ص ٤٦٥ مجلد ٩ جـ ٨، والدرر المنثور ص ١٠٩ - ١١٠ .

([٣٠١]) نزول عيسى بن مريم قيل إن نزول عيسى عليه السلام أول شرائط الساعة العظام، وقد قال أبو بكر السرخسى فنزوله عليه السلام إلى الارض بعدما رفع الى السماء من اشراط الساعة واقتراب الزمان وأنهﷺ رفع إلى السماء ليعصم من شر اليهود فهو حى فى السماء يتعبد مع الملائكة فإذا دنى أجله لا يتوفى فى السماء فإن متوفى بنى آدم وجه الأرض. ومن خلق من تراب لا يتوفى إلا فى الأرض" ومسألة صعود عيسى إلى السماء مسأله مختلف عليها من العلماء ولكل أدلته. ثم أمر نزوله بدليل الكتاب وفيما تواتر من الإخبار عن النبى ثم اختلفت الآثار فى موضع نزوله عليه السلام من الأرض وقيل أصحها أنه ينزل بالأرض المقدسة ثم يأتى مكة حاجا ويأتى المدينة زائراً لقبر النبى ρ . وجاء فى الخبر عن النبى أنه قال: ينزل عليكم عيسى بن مريم فى مهرودتين حكما عدلاً وإماماً مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل كل يهودى ويهوديه ويضيع الجزية فلا يبقى على الأرض كافر. البخارى بيوع ١٢ أنبياء ٤٩ . انظر صفة أشراط الساعه ص ٣٨ - ٣٩ أبو بكر السرخسى .

خروج يأجوج[٣٠٢] ومأجوج عليه، ثم هلاكهم، ثم ذكر ما يكون بعد ذلك من البركـات والخيرات قال:" فبيناهم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة".

---

(٣٠٢) **خروج يأجوج ومأجوج**

جاء فى سوءة الكهف عن يأجوج ومأجوج " حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهمـا قوماً لا يكادون يفقهون قولا. قالوا يا ذا القرنين إن يـأجوج ومـأجوج مفسـدون فـى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً. قال ما مكنى فيـه ربـى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتونى زبر الحديد حتـى إذا سـاوى بـين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً فمـا اسـطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا. قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكـاء وكان وعد ربى حقا. وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ." الكهف ٩٢– ٩٩.

قال ابن كثير هم من ذرية آدم بلا خلاف – ثم هم من ذرية نوح لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح فى دعائه على أهل الأرض بقولـه " رب لا تـذر علـى الأرض من الكافرين دياراً " وقال تعالى " فأنجيناه وأصحاب السفينة" وقـال " وجعلنـا ذريته هم الباقين" ... وأن نوحا ولد له ثلاثة وهم سام وحام ويافث فسام أبـو العـرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مثل المغول وهم أشد بأسا وأكثر فساداً من هؤلاء ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم. وقد قيـل أن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم فتركوا من ورائه. فلهذا قيل لهم الترك.

كان يأجوج ومأجوج قد تعدوا على الترك أبناء عمومتهم وفسدوا بلادهم وقطعـوا السبل عليهم وقد ذكر الترك لذى القرنين ذلك عندما بلغ بين السدين وبذلوا لـه حمـلا

وهو الخراج على أن يقيم بينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول اليهم فامتنع من أخذ الخراج اكتفاءاً إنما أعطاه الله من الأموال الجزيله ثم طلب منهم أن يجمعوا لـــه رجـــالا وآلات ليبنى بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخـــروج إلـــيهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطـــر وهو النحاس المذاب- وجعل بدل اللبن حديداً وبدل الطين نحاساً فما استطاعوا أن يعلوا عليه بسلالم ولا غيرها بمعاول ولا فئوس ولا غيرها"، وذلك بقدرة الله تعالى" ليكـــون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم فى تلك المحلة."

وقد أخبر الله تعالى بخروجهم آخر الزمان وذكر الرسولﷺ فـــى كثيـــر مـــن الأحاديث أن خروجهم من أشراط الساعة الكبرى" فإذا جاء " الوقت الذى قدر خروجهم على الناس فى آخر الزمان جعل هذا السد دكا أى مساويا للأرض كما قال تعالى: "حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق الآية. ولـــذا قال تعالى: (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض" يعنى يوم فتح السد " ونفـــخ فـــى الصور فجمعناهم جمعاً" البداية والنهاية جـ١ ص ١٠٨ .

قال أبو بكر السرخسى فإذا خرج يأجوج ومأجوج من حيث حبســـوا لا يـــأتون على شئ الا أتوا عليه فأتلفوه فيفيض عنهم ماء البحار لا يدع أولهـــم لآخـــرهم شيـــئا وكذلك أوراق الأشجار ونبات الأرض فيكثر منهم الفساد فـــى الأرض ، وفـــى قـــدهم ولحاهم آثار مناكير لا يعتمد عليها وعن التابعين هم أشوه الناس وجوهاً وفـــى بعـــض الآثار هم أحسن الناس. ص ٤٥. صفة أشراط الساعة .

انظر تفسير ابن كثير فى أحاديث خروج يأجوج ومأجوج.

واعلم أن كل ميت مات فقد قامت عليه قيامته[٣٠٣]، لكنها قيامة صغرى وقيامة كبرى، فالصغرى هى ما تقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والقيامة الكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة، والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبىﷺ لقوم من الأعراب وقد سألوه متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال:" إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم[٣٠٤] " وذكره مسلم بن الحجاج فى كتابه.

والقيامة التى تعم الأرض بمدة إنما تأتيهم بغتة وتأخذهم على غفلة كما تقدم، لكنها تقوم فى يوم جمعة فى غير شهر معروف، ولا سنة معروفة، والملك الذى وكل بهذه النفخة وجعل على يده هذه الصعقة قد استعد لها وتهيأ لإمضائها.

٣٦٨- وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال:" لما كان ليلة أسرى برسول اللهﷺ لقى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام

---

(٣٠٣)من مات قامت قيامته رواه ابن أبى الدنيا بسند ضعيف ورغم أن الحديث إسناده ضعيف إلا أن الغزالى تكلم عن قيامة صغرى وقيامة كبرى فيقول شارحا للحديث السابق" وفى هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال" ولقد جئتمونا فرداى كما خلقناكم أول مرة". وفيها يقال – كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا – أما فى القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمراً لا أحاداً والهول الأول هو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى حـ٤ ص ٦٣

(٣٠٤) البخارى فى الرقاق حـ١١ رقم ١ ، ٦٥ ومسلم فى الفتن حـ٤ ص ٢٢٦٩ الحديث ١٣٦ / ٢٩٥٢.

فتذاكروا الساعة متى هى فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم فسألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فردوا الحديث إلى عيسى فقال: عهد الله إلى فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله ويعنى بوجبتها وقعتها قال: فذكر من خروج الدجال: فأهبط فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشئ إلا أفسدوه فيجأرون إلى ما دعوا الله فيرسل من السماء ماء فيحل أجسامهم فيلقيهم فى البحر ثم تنشق الجبال وتمد الأرض مد الأديم، وعهد الله إلىّ إنه إذا كان ذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتم الذى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً".

قال العوام: فوجدت تصديق ذلك فى كتاب الله-عزّ وجلّ-قرأ : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) [٣٠٥].

٣٦٩- وذكر أبو داود من حديث أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ: " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة[٣٠٦]. وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة ومن حين يصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله -عزّ وجلّ-شيئاً إلا أعطاه إياه[٣٠٧].

٣٧٠ – وذكر النسائى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " كيف أنعم وصاحب الصور[٣٠٨] قد التقم القرن وأصغى بسمعه حنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ قالوا: يا رسول الله وكيف نقول ؟ قال : قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على

---

[٣٠٥] اخرجه الحاكم فى مستدركه ٤/٥٤٥ – ٥٤٦ .

[٣٠٦] مسلم فى الجمعه – جـ٢ ص ٥٨٥ – الحديث ١٧/ ٨٥٤ .

[٣٠٧] أخرجه ابو داود جـ١ ص ٢٧٤ – ٢٧٥ وانظر البخارى فتح البارى جـ٢ ص ٤١٥ رقم ٩٣٥ وأنظر رقم ٥٢٩٤ – ٦٤٠٠ .

[٣٠٨] صاحب الصور أو القرن هو إسرافيل عليه السلام "دقائق الأخيار فى ذكر الجنة والنار" ص ٢٠ .

قال الإمام عبد الرحيم بن أحمد القاضى " لإسرافيل أربعة أجنحة جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وجناح يستره وجناح يغطى به رأسه. وليس فى الملائكة أقـرب مكانـا مـن العرش من إسرافيل عليه السلام" وقال السيوطى فإذا انقضت مدة الدنيا فيضم إسـرافيل أجنحته وينفخ فى الصور نفخة واحدة فتخرج الأرواح من أهل السماوات والأرض حتى أن الرجل يرفع اللقمة الى فيه فلا يطعمها والثوب بين يديه فلا يلبسه الكوز على فمـه فلا يشرب ولا يبقى فى الأرض إلا ابليس لعنه الله ولا فى السماء إلا الملائكة الأربعـة المقربون وحملة العرش ثم يقول الله تعالى لملك الموت إنى أجعل لـك بعـدد الأولـين والآخرين أعوانا وأعطيك قوة أهل السماوات والأرض وأعطيك الزبانية سبعين ألفا بيد كل واحد منهم سلسلة من سلاسل لظى وأرسلك إلى إبليس لتذيقه الموت فيقول السـمع والطاعة ثم إن مناديا ينادى يا مالك افتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لـو نظر اليها أهل السماوات والأرض لماتوا ويقول له ذق يا خبيث لأذيقنك الموت. " الورد الحسان فى البعث ونعيم الجنان للسيوطى بهامش كتاب دقائق الأخبار فى ذكر الجنة والنار".

وقد ذكر السيوطى والإمام عبد الرحيم الكثير عن إسرافيل ذكرت بعضها للتنبيه على أن ذلك لم يأت فيه حديث صحيح والكلام عنه رجم بالغيب وقد نبه على ذلك أبـو بكر السرخسى ص ٥١. كتاب أشراط الساعة .

والنفخ فى الصور نفختان ذكرهما الله تعالى فى القرآن الكريم إحدهما للإماتـة والافناء . قال تعالى " ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فـى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى ". فإذا هم قيام ينظرون" وقد جاء لفظان فى هـذا البـاب أحدهما النفخ. " ونفخ فى الصور" الكهف ٩٩ . المؤمنين ١٠١ .

ولفظ النقر قال تعالى : " فإذا نقر فى الناقور " المدثر ٨ .

قال السرخسى " قال مشائخنا من أهل العلم بالتفسير: الأشبه فى النفخة الأولى أن يكون معها نقر فيجتمع أمران نقر فى نفخ أو نفخ فى نقر وهو إخراج الأرواح من الأجسـاد والنقر والنفخ فى اللغة بأنهما كل ذلك من باب النزع فهذا أعظم النفختين نشـتد فينتقـر

فينفخ قالوا: يا رسول الله وكيف نقول ؟ قال : قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل علـــى الله توكلنا "[٣٠٩].

٣٧١- وذكر الترمذى[٣١٠] عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رســـول الله ﷺ: " كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ ، فكـــأن

بها الأرواح عن أجسادها بإذن الله تعالى يصعقون فيموتون كالرعد الهائل يموت منـــه بعض الناس وكالبرق الخاطف يخطف الإبصار اذا اشتد لمعانه، وجاء فى بعض الآثار أنها نفخة تمتد وتطول الى ما شاء الله تعالى ثم خروج أرواحهم على ظاهر هذا ولـــيس بتوفى ملك الموت ولا يخاض فى هذا بل يمسك عنه.

وأما النفخة الثانية فالظاهر أنها دون الأولى فى الفزع لأنها لإرسال الأرواح لتـــدخل فى أجسادها وقد هيئت للأحياء. فأما الأولى تهول فإنها للإنزاع ثم عند النفخة الأولـــى يصعق من فى السماوات ومن فى الأرض" ص ٥١ - ٥٢ . صفة أشراط الساعة السرخسى

وجاء فى صحيح مسلم عن الرسول أن ما بين النفختين أربعين .عن ابى هريرة قال: قال رسول اللهﷺ "ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قـــال: أبَيْت ؟ قالوا أربعون شهرا؟ قال ابيت، قالوا:اربعون سنه ؟ قال أبَيْت ثم ينزل الله مـــن السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال: وليس من الإنسان شئ إلا يبكى إلا عظما وحداً وهو عَجْب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة " كتاب الفتن وأشراط الساعة ما بين النفختين رقم ١٣١ .

وعجب الذنب بفتح العين وإسكان الجيم أى العظم اللطيف الـــذى فـــى أســـفل الصلب وهو رأس العصعص . ويقال له عجم بالميم وهو أول ما يخلق من الآدمى وهو الذى يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه. شرح النووى . جـــ٨ ص ٣١٠ المكتب الثقافى .

([٣٠٩]) الترمذى رقم ٢٤٣١ - الامام أحمد ١/ ٣٢٦ .

ذلك ثقل على أصحاب النبيﷺ فقال لهم:" قولوا: حسبنا الله ونعـم الوكيـل علـى الله توكلنا".

٣٧٥- وذكره أبو بشر الدولابي من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في قوله تعالى: (ونفخ في الصور) فقال: الصور كهيئة القرن.

٣٧٦- وذكر البخاري عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال : " لا تقـوم السـاعة حتى[٣١١] تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة[٣١٢]، ودعواهما واحدة وحتـى يبعث[٣١٣] دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله[٣١٤]. وحتي يقبض

([٣١٠]) رقم ٢٤٣٠ .

([٣١١]) قال البخاري أن هذه الأشياء التي ذكرت في الحديث وأمثالها مما أخبرﷺ بأنه سيقع بعد، قبل أن تقوم الساعة، لكنه على أقسام : أحدها على وفق ما قال والثـاني ما وقعت مباديه ولم يتسحكم والثالث ما لم يقع منه شئ ولكنه سيقع ، فالنمط الأول تقدم معظمه في علامات النبوة، ومنها اقتتال الفئتين العظيمتين وظهور الفتن وكثرة الهـرج وتطاول الناس في البنيان وتمنى بعض الناس الموت وقتال الترك وتمنى رؤيتـه ﷺ. ومن النمط الثاني تقارب الزمان وكثرة الزلازل وخروج الدجالين الكذابين . ومن النمط الثالث طلوع الشمس من مغربها وذلك يقع قبل الدجال.

([٣١٢]) جاء في صحيح البخاري أن المراد بالفئتين علي ومن معه ومعاوية ومن معه .

([٣١٣])والمراد ببعثهم إظهارهم لا البعث بمعنى الرسالة.ج ١٣ ص ٨٦.

([٣١٤]) الرسول خاتم الرسل والأنبياء ؛ قال تعالى: (ما كان محمد أبا أحد مـن رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) . فالآية دليل على أن الرسولﷺ خاتم النبيـين فلا نبي بعده، وكذلك لا رسول لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة .

وقد ورد كثير من الأحاديث عن الرسولﷺ تدل على أنه خاتم النبيين والرسل ومن ذلك قولهﷺ:" إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى). فشق ذلك على الناس فقال:" لكن المبشرات " قالوا يا رسول الله وما المبشرات " ؟ قال: " رؤيا الرجل المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة " وقال: " إنى عند الله لخاتم النبيين وإن أدم لمنجدل فى طينته ".

وقد اخبر الله تعالى فى كتابه العزيز أنه لا نبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاق دجال، مضل ولو تحرق وشعبز وأتى بأنواع السحر، فكلها محال وضلال عند أولى الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسى باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة، والأقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجة أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يجتمعوا بالمسيح الدجال فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، وذلك لأنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ويكون فى غاية الإفك والفجور فى أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم " وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم فى غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات. ولذلك فالايمان بنبوة محمدﷺ ورسالته يقتضى من المؤمنين عدم تصديق كل من ادعى النبوة بعده والحكم عليه بأنه كاذب، فقد جاءت الرسالة المحمدية مهيمنه على ما قبلها من كتب ورسالات ، كما جاءت كاملة صالحة لكل زمان ومكان لجميع البشر على مختلف أحوالهم ومقامهم ولغاتهم واتجاهاتهم بحيث يصبح الحاجة لغيرها من الرسالات السماوية معدوم ولذلك كانت خاتمة الرسالات وكان الرسول خاتم الرسل.

العلم [٣١٥] وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض[٣١٦] حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقـــول

وأما عن نزول عيسى ﷺ فى آخر الزمان كما صح روايته عن الرسول ﷺ ليس فيه قدح فى ختم النبوة بمحمد ﷺ وذلك لأن نبوة عيسى عليه السلام سابقة ومتقدمة على رسالته ﷺ وكونه ينزل فى آخر الزمان فذلك ليحكم بالإسلام وفق ما جاء بـــه رســـول الله ﷺ فهو فى تلك الحالة داع إلى الإسلام وليس أكثر من ذلك ، وصـــدق الله العظـــيم حيث قال: " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين "

(٣١٥) إن العلم يرتفع بموت العلماء فكلما مات عالم ينقص العلم بالنسبة إلى فقد حامله، وينشأ عن ذلك الجهل بما كان ذلك العالم ينفرد به عن بقية العلماء كتاب الفـتن جـ ١٣ ص ١٨ . فتح البارى .

(٣١٦) وفى الحديث ويفيض المال أى يكثر المال يومئذ وتمتلئ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً قبل ذلك تنزع جمه ذات كل سم فترى الصبى فـــى ذلـــك الزمـــان يلعـــب بالحيات والعقارب ولا يخشى منها فإنه ينزع سمها ويألف الذئب الغنم فلا يخشى منـــه عليها ويضع الرعى عصيهم أمنا منهم على غنمهم "مسند ابن حنبل ٢:٤٠٦، ٤٣٧

جاء فى صحيح البخارى " أن ذلك يقع فى الزمان الذى يستغنى فيه الناس عـــن المال إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتن فلا يلوى على الأهل فضـــلا عـــن المال، وذلك فى زمن الآجال وإما حصول الأمن المفرط والعدل البالغ بحيث يســـتغنى كل أحد بما عنده عما فى يد غيره وذلك فى زمن المهدى وعيسى بن مريم، وإما عنـــد خروج النار التى تسوقهم إلى المحشر فيعز حينئذ الظهر وتباع الحديقة بالبعير الواحـــد ولا يلتفت أحد حينئذ الى ما يثقله من المال بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله وهذا أظهر الاحتمالات "جـ ١٣ ص ٨٢ فتح البارى " .

الذى يُعرض عليه لا أرب لى فيه" وحتى تطاول الناس في البنيان[٣١٧] وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني" وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلي فيه فلا يطعمها[٣١٨]

٣٧٧- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "تتركون المدينة علي خير[٣١٩] ما كانت لا يغشاها إلا العوافي يريد عوافي السباع

([٣١٧]) معنى التطاول فى البنيان أن كلا ممن كان يبنى بيتا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد المباهاه به فى الزينة والزخرفه أو أعم من ذلك . صحيح البخارى جـ١٣ ص ٨٨ . كتاب الفتن .

([٣١٨]) البخارى فى الفتن جـ١٣ ص ٧١٢١ .

([٣١٩]) أنكر ابن عمر على أبى هريرة تعبيره فى هذا الحديث بقوله " خير ما كانت " وقال إن الصواب أعمر ما كانت أخروج ذلك عمر بن شبه فى "أخبار المدينة" من طريق ما حق بن عمرو أنه كان جالساً عند ابن عمر " فجاء أبو هريرة فقال له: لم ترد على حديثى؟ فوالله لقد كنت أنا وأنت فى بيته حين قال النبى ﷺ يخرج منها أهلها خير ما كنت فقال ابن عمر: أجل ولكن لم يقل خير ما كانت أنما قال أعمر ما كانت، ولو قال خير ما كانت لكان ذلك وهو حى وأصحابه . فقال أبو هريرة: صدقت والذى نفسى بيده" جـ٤ ص ٩٠ .

ونص الحديث كما ذكره البخارى أن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول ﷺ يقول "تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف يريد عوافى

والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا علي وجوههما "[٣٢٠] سمعت في تفسيره أن هذين الراعيين إنما يخران علي وجوههما من صيحة يوم القيامة، فعند هذه الصيحة تخمد الأصوات وتسكن الحركات وتخلي من إهلها الأرضون والسموات إلي يوم الخروج والميقات والجزاء بالحسنات والسيئات، إلا أن الله تعالي ذكر عند هذه الصيحة استثناء سيأتي ما قيل فيه بعد إن شاء الله ،ثم ينزل الله مطرا فتنبت به الاجسام ويحي به الرفات من العظام وتستعد لقبول الأرواح عند النفخة الثانية قال الله تبارك وتعالي: (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) .

٣٧٨-وذكر مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: " يخرج الدجال في أمتي أربعين لا أدري أيوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما " الشك من" الراوي" قال: فيبعث الله عيسي ابن مريم كأنة عروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين أثنين عداوة، ثم يرسل الله-عز وجل- ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقي علي وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته علية حتي تقبضه،

السباع والطير- وآخر من يحشر راعيان من مزينه يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى اذا بلغا ثنيه الوداع خر على وجوه" قيل ان الضمد فى يجدانها يعود على الغنم وكان ذلك من علامات قيام الساعة جـ ٤ ص ٩١ . فتح البارى .

([٣٢٠]) مسلم فى الحج جـ٢ ص ١٠١٠ الحديث ٤٩٩ / ١٣٨٩ والبخارى فى فضائل المدينة جـ٤ رقم ١٨٧٤.

قال: سمعتها من رسولﷺ ، قال: فيبقي شرار الناس في خفه الطير وأحلام السباع[٣٢١] لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم: ألا تستحون فيقولون: فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغي ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الظل أو الطل الشك من الراوي فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخري فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلي ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون.ثم يقال: اخرجوا بعث النار فيقال: من كم ؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال:فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق[٣٢٢] " .

يروي أن هذا المطر الذي تنبت منه الأجسام هو كمني الرجل، وقد أخبر تعالي إن إنشاء الأجسام مثل إخراج النبات من الأرض قال الله سبحانه وتعالي: (الله الذي

([٣٢١]) قوله " فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع، قال العلماء معناه يكونون فى سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفى العدوان وظلم بعضهم بعضا فى اخلاق السباع العادية.

([٣٢٢]) عن ابن سعيد الخدرى عن النبىﷺ. قال: (يقول الله تعالى: يا آدم . فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك . فيقول أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملهاء، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف. ثم قال: والذى نفسى بيده إنى أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا فقال: أرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة. فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبرنا. فقال: ما أنتم فى الناس إلا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود"البخارى . الأنبياء رقم ٣٣٤٨ " .

يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلي بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) [فاطر:٩] أي كما ينبت نبات الأرض بالماء كذلك تنبت الأجساد بهذا الماء، فبينا روحك في البرزخ مع الأرواح، وكل علي عمله من فساد أو صلاح، إذ أمر الله- عز وجل-بها أن تجتمع فتقبل أرواح المؤمنين تتلألأ نورا وأرواح الكافرين تسود ظلمة، فيقبضها جميعاً فيجعلها في الصور ثم ينفخ إسرافيل فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت السماء والأرض .

٣٧٩- يروي عن رسول اللهﷺ قال: يقول الله تعالي: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلي جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلي الأجسام فتدخل الخياشيم ثم تمشي مشي السم في اللديغ".

٣٨٠- وذكر مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: " ما بين النفختين أربعون قالوا:يا أبا هريرة أربعون عاما؟ قال: أبيت قالوا: أربعون شهراً ؟ قال: أبيت قالوا: أربعون يوماً ؟ قال: أبيت. ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال: وليس شيء من الإنسان إلا ويبلي[٣٢٣]إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب[٣٢٤]وفيه يركب الخلق يوم القيامة"[٣٢٥].

([٣٢٣]) يحتمل أن يريد به يفنى أى تعدم أجزاؤه بالكلية، ويحتمل أن يراد به يستحيل فتزول صورته المعهودة فيصير على صفة جسم التراب، ثم يعاد إذا ركبت إلى ما عهد.

([٣٢٤]) قيل يا رسول الله ما عجب الذنب؟ قال: مثل حبة خردل والعجب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحده ويقال له "عجم" بالميم أيضا عوض الباء . وهو عظم لطيف فى أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع وفى حديث أبى سعيد الخدرى " أنه مثل حبة الخردل" قال ابن الجوزى " قال

٣٨١- وذكر أبو بكر بن أبي دواد في كتاب البعث بإسنادة عـن أبـي سـعيد الخدري عن النبيﷺ قال:" يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب قيل: وما هو يا رسول الله ؟ قال: مثل حبة خردل منه تنشؤون"[٣٢٦].

٣٨٢- وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلي لقيط بن عامر عن النبيﷺ في حديث طويل قال فيه: " ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمر إلاهك ما تدع علـى ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك يطوف فـي الأرض وقد خلت عليه البلاد [٣٢٧] فأرسل ربك السماء من عند العرش فلعمر إلاهك مـا يـدع

ابن عقيل لله فى هذا سر لا يعلمه إلا الله، لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شئ يبنى عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحيـاء كـل إنسـان بجوهره ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص ليعلم أنه إنمـا أراد بذلك إعادة الأرواح الى تلك الأعيان التى هى جزء منها، ولولا إبقاء شئ منها لجوزت الملائكة أن الاعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد.

([٣٢٥]) البخارى كتاب التفسير فتح البارى جـ٨ ص ٥٥١ رقم ٤٨١٤ ، ومسلم فى الفتن جـ ٤ ص ٢٢٧٠ . الحديث ١٤١ / ٢٩٥٥.

([٣٢٦])الحاكم فى المستدرك٤/٦٠٩-الإمام أحمد فى مسنده جـ ص ٢٨ .

([٣٢٧]) قال تعالى: "كل من عليها فان ويبقى وجه ربـك ذو الجـلال والإكـرام" سورة الرحمن ٢٦ : ٢٧ .

علي ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت الأرض[٣٢٨] عنه حتي يخلقه من قبل رأسه وذكر الحديث" [٣٢٩].

قوله: " فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد ": إنما هــو تفهــيم وتقريب إلي أن جميع من في الأرض يموت وأن الأرض تبقي خالية ليس يبقى إلا الله وحده كما قال تعالي:(كل من عليها فان ويبقي وجــه ربــك ذو الجــلال والإكــرام) الرحمن:٢٦،٢٧]. وقوله:(والملائكة الذين مع ربك) فإنه جاء في بعض التفاسير فــي قوله تعالي:(نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) [الزمر:٦٨]. وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملــك المــوت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيمــوت[٣٣٠]

---

(٣٢٨) قال تعالى " يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير. يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يســير "ق٤٢ – ٤٤.

(٣٢٩) انظر مجمع الزوائد ١٠/٣٤١ – ٣٤٣.

(٣٣٠) قال السيوطى فى كتاب الدرر الحسان فى البعث ونعيم الجنــان" .... ثــم يقول الله تعالى يا ملك الموت من بقى من خلقى فيقول اللهم أنت أعلــم بقــى جبريــل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وأنا عبدك الضعيف فيقول يا ملــك المــوت اقــبض روح جبريل فينطلق إليه فيجده ساجداً أو راكعاً فيقول إن الله تعــالى أمرنــى بقــبض روحك فيقول رب هون على سكرات الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض بها روحه ثم يأتى فيقول له من بقى فيقول ميكائيل فيقول أقبض روحه فينطلق اليه ويقول له قــد أمرنى الله بقبض روحك فيقول رب هون على سكرات الموت فيضمه ضمه يقبض بها روحه ثم يأتى فيقول من بقى وهو أعلم فيقول بقى إسرافيل فيقبض الله مــن إســرافيل الصور فيضمه ضمه يقبض بها روحه فيقول له من بقى وهو أعلم فيقول بقــى حملــة العرش فيقول أقبض أرواحهم فقبضها ثم يقول الله تعالى من بقى وهو أعلم فيقول بقيت

ولا يبقي إلا الذين له البقاء والعزة والكبرياء والملك الذي لا يـزول ولا يفنـي تبـارك وتعالي فينادي جل جلاله:(لمن الملك اليوم) [غافر:١٦] فلا يجيبه مجيب ومن ذا يجيبه ولم يبق موجود إلا الواحـد لمعبـود فيجيـب نفسـه فيقـول سـبحانه:(لله الواحـد القهار)[غافر:١٦] ثم يمكث الناس في البرزخ أربعين عاماً ثم يحي الله-عـز وجـل- إسرافيل فيأمره أن ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله-عز وجل-: (ثم نفخ فيه أخري فـإذا هم قيام ينظرون) [الزمر:٦٨] قيام علي أرجلهم ينظارون إلي ذلـك الأمـر العظـيم والهول الجسيم.

واعلم رحمك الله أنك إن كنت ممن لا يشاهد هذه الصعقة العامة فلا بد لك من أن تشاهد صعقة نفسك التي تخصك ولابد لك من إنشائك وتسويتك ورد روحـك إلـي جسدك وإخراجك من الأرض التي خلقت منها كما قال الله تعالي: (منهـا خلقنـاكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[طه :٥٥]. وقال عز من قائـل: (أو لـم يـر الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال مـن يحيي العظام وهي رميم، قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلـق علـيم)[يـس ٧٧- ٧٩].

أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا فيقول الله تعالى خلق أنت من خلقى خلقتـك فمـت فيذهب إلى موضع بين الجنة والنار ويرقد فيه ويجعل بصره إلى السماء ويقبض روحه بيده فيمكث أربعين سنه وهو يعالج نفسه ويصيح كل صيحة لو كانت الخلائـق أحيـاء لماتوا من صيحة واحدة ويقول لو علمت أن نزع الروح بهذه الشدة لكنت أشـفق علـى أرواح المؤمنين ثم يموت ولا يبقى إلا الله تعالى وتبقى الأرض خالية أربعين سـنة ثـم يتجلى الله ويقول لمن الملك اليوم فلم يجبه أحد فيكررها ثلاث مرات فيجيب نفسه بنفسه الملك لله الواحد القهار." ص ٢١. بهامش كتاب دقائق الأخبار فى ذكر الجنة والنار للامـام عبـد الرحيم بن احمد القاضى.

وقال سبحانه: (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)[الروم:٢٧].وقال تبارك وتعالى : (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب[٣٣١] كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) [الأنبياء : ١٠٤]. وقال سبحانه وتعالى: (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)الواقعة:٦٢.

٣٨٣-وذكر النسائى عن أبى هريرة عن النبىﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: " كذبنى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبنى وشتمنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يشتمنى أما تكذيبه إياى فقوله أنى لا أعيده كما بدأته وليس آخر الخلق بأعز علىّ من أولـــه، وأمـــا شتمه إياى فقوله: اتخذ الله ولداً. وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفـــواً أحد ". قد أخرجه البخارى بمعناه والاعتبار الصحيح يشهد بصحة هذه النشـــأة الآخـــرة والقدرة متسعة لها ولكل ما شاءه الحكيم القدير تبارك وتعالى كما قال سبحانه:(وهـــو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قـــديراً)(الفرقـــان:٥٤) خلـــق سبحانه الماء من لا شئ وأخرجه من غير شئ، أخرجه من عدم إلى وجود وكوّنه بعـــد أن لم يكن شيئاً، ثم خلق منه هذا الإنسان فجعله آية عجباً وعبرة ظـــاهرة فـــى شـــكله

(٣٣١) قال الرازى فى السجل قولان: ١- الطومار (الصحيفة) الذى يكتب فيه الكتاب أى المكتوب فيكون معى طى السجل للكتاب كون السجل ساتراً لتلـــك الكتابـــة ومخفيا لها لأن الطى ضد النشر الذى يكشف والمعنى نطـــوى السـماء كمـــا يطـــوى الطومار الذي يكتب فيه. ٢- قال بن عباس: السجل اسم ملك يطوي كتب بنـــي آدم إذا رفعت إليه وهو مروي عن علي رحمه الله عنه. " أنظر مفاتيح الغيب جـــ ٢١ ص ٢١٧ م "

وتخطيط وحركاته وسكناته وما فيه من الحكمة وما أودعه من عجائب الصنعة مما يطول وصفه ويتسع شرحه فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه[٣٣٢]، إن ربك هو الخلاق العليم[٣٣٣]، فمن آمن بهذا لو يضق صدرهُ عن الإيمان بالنشأة الثانية وكان منتظراً لها مشتغلاً بالفكرة فيها وإنها لموضع الانتظار وموضع الاشتغال آناء الليل و آناء النهار ولكن حب العاجل والاشتغال آناء الليل و آناء النهار لكن حب العاجل والاشتغال بالحاضر والنظر إلى هذا الخيال القائم صرف وجه القلب عن استعمال الحقيقة فى هذا الأمر، وطمس أعينه عن النظر إليها، وسد مجارى فكره عن التصرف فيها، فلو اشتغل ونظر الإنسان وتفكر لأذهله ذلك عن الأهل والمال وشغله عن قيل وقال، وصرفه عن لذة الحال والمال، ولكنه إن لم ينظر الآن فسينظر فى وقت لا ينفعه فيه النظر ولا ينقضى له به وطر، وسيقدم فيعلم.

باب فى انبعاث الناس من قبورهم وصفة الأرض التى يحشرون عليها وكيف يحشرون

وذكر أول من يشق عنه القبر يوم القيامة وما جاء أنهم يبعثون على نياتهم وما كانوا عليه.

٣٨٤ – كما ذكر مسلم بن الحجاج[٣٣٤]من حديث أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: " يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله بعثاً فإذا كانوا ببيداء من

([٣٣٢]) سورة لقمان آية ١١

([٣٣٣])سورة الحجر : ٨٦

([٣٣٤]) فى الفتن وأشراط الساعة جـ٤ ص ٢٢٠٨ – ٢٢٠٩ رقم ٤ / ٢٨٨٢ وتمامه أن أم سلمه سئلت عن الجيش الذى يخسف به وكان ذلك فى أيام ابن الزبير فقالت: قال

الأرض خُسِفَ بهم. قلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته ".

٣٨٥- وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على أعمالهم " (٣٣٥).

رسول الله ﷺ يعوذ عائذ .... الحديث " وقال أبو جعفر: هى بيداء المدينة. قال العلماء البيداء كل أرض ملساء لا شئ عليها. وبيداء المدينة الشرف الذى قدام ذى الحليفة أى إلى جهة مكة.

(٣٣٥) البخارى فى الفتن جـ ١٣ ص ٦٠ رقم ٧١٠٨ ومسلم فى الجنة جـ ٤ ص ٢٢٠٦ رقم ٢٨٧٩/٨٤ . ولفظ البخارى "إذا أنزل الله بقوم .... " وأنزل العذاب هو لعقوبه لهم على سئ أعمالهم ، " وأصاب العذاب من كان فيهم " أى من كان فيهم ممن ليس هو على رأيها، ويبعث كل واحد منهم على حسب عمله وإن كان صالحا فعقباه صالحة والا فسيئة فيكون ذلك العذاب تطهيراً للصالحين ونقمة على الفاسقين . وفى صحيح ابن حبان عن عائشة مرفوعاً " أن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون قبضوا معهم ثم بعثوا على نياتهم وأعمالهم" . والمعنى أنه لا يلزم من الاشتراك فى الموت الاشتراك فى الثواب أو العقاب بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته. وقال ابن حمزة أن الذين يقع لهم ذلك إنما يقع بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وأما من أمر ونهى فهم المؤمنون حقا لا يرسل الله عليهم العذاب بل يدفع بهم العذاب . ويؤيده قوله تعالى: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ". ويدل على تعميم العذاب لمن لم ينه عن المنكر وإن لم يتعاطاه قوله تعالى: " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم ". ١٥ انظر فتح البارى جـ ١٣ ص ٦٠ - ٦١ باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً ".

٣٨٦- وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبىﷺ يقول: " يبعث كل عبد على ما مات عليه، وأول من يشق عنه القبر يوم القيامة نبينا محمدﷺ ".

٣٨٧- كما ذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ:" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من يشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفعﷺ [٣٣٦].

٣٨٨- وذكر البخارى عن أبى هريرة عن النبى عليه السلام قال: " إنـــى مـــن أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدرى أكـــذلك كان أم بعد النفخة "[٣٣٧].

٣٨٩- ويروى " فأكون أول من يفيق "وهو الأكثر.

٣٩٠ – وقال البخارى أيضاً فى بعض ألفاظ هذا الحديث: "فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى[٣٣٨]أم جوزى[٣٣٩] بصعقة الطور"[٣٤٠]. لـــم

([٣٣٦])مسلم فى الفضائل جـــ٤ ص ١٧٨٢ رقم ٣ / ٢٢٧٨ ، وأخرجه ابو داود برقم ٤٦٧٣ والترمذى برقم ٣٦١٠ .

([٣٣٧]) فى التوحيد جـــ١٣ ص ٤٤٧ رقم ٧٤٧٢ ونصه فى البخارى " عن أبى هريرة قال: " استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذى اصطفى محمداً على العالمين فى قسم يقسم به، فقال اليهودى والـــذى اصـــطفى موســـى علـــى العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودى فذهب اليهودى إلى الرسولﷺ فأخبره بالذى كان من أمره وأمر المسلم ، فقال النبىﷺ لا تخيرونى على موسى فإن النـــاس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطن بجانب العرش، فـــلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله ".

(٣٣٨) قوله ﷺ لا تفضولونى على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بساق العرش .... " وقوله " أنا سيد ولد آدم ولا فخر" وقوله ﷺ أيضا " لا تخيروا بين الأنبياء " و لا تفضلوا بين أنبيـاء الله " كـان موضـع اختلاف بين العلماء فى تأويل معناه فقال قوم إن هذا كان قبل أن يوحى إليه بالتفضـيل وقبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم وأن القرآن جاء ناسخا للمنع من التفضيل. وقال ابن قتيبه إنما أراد بقوله " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة " لأنه الشافع يومئـذ ولـه لـواء الحمـد والحوض وأراد بقوله " لا تخيرونى على موسى " على طريق التواضع. كما قال أبـو بكر وليتكم ولست بخيركم. وكذلك قوله: " لا يقل أحد أنا خير من موسى بن متى على معنى التواضع. ويجوز أن يريد لا تفضلونى عليه فى العمل فلعله أفضله عملا منى ولا فى البلوى والامتحان فإنه أعظم محنة منى ، وليس ما أعطاه الله تعالى لرسـولنا مـن الفضل يوم القيامة على سائر الأنبياء والرسل بعمله بل بتفضيل الله إياه واختصاصه له. ومنهم من قال أن قوله ﷺ "لا تخيروا بين الأنبياء" يعنى النهى عن الخوض فى ذلك لأن الخوض فى ذلك ذريعة الى الجدال ، وذلك يؤدى الى أن يذكر منهم مـالا ينبغـى أن يذكر ويقل احترامهم عند الجدال والنقاش، فلا يقال النبى أفضل من الأنبياء كلهـم ولا من فلان ولا خير منه وذلك لأنه فى ذلك توهم النقص فى المفضول، فإن النهـى منـع إطلاق اللفظ ، ولا يمنع من الاعتقاد بتفاضل الأنبياء فإن الله تعالي أخبر بأن الرسـل متفاضلون فلا نقول نبينا ﷺ خير من الأنبياء ولا من فلان النبى اجتنابا لما نهـى عنـه وتأدبا به وعملا باعتقاد ما تضمنه القرآن من التفضيل. وقيل أن المنع من التفضيل من جهه النبوة التى هى خصلة واحدة لا تفاضل فيها وإنما التفضيل فـى زيـادة الأحـوال والخصوص والكرمات والألطاف والمعجزات المتباينات وأما النبوة فـى نفسـها فـلا تتفاضل وإنما تتفاضل بأمور أخر زائدة عليها. ولذلك منهم رسل وأولو عزم ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال تعالى: " ولقد فضـلنا بعـض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً " وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ".

([339]) الحديث أخرجه البخارى فى الخصومات جـ٥ ص٧٠رقم ٢٤١٢ ونص الحديث هو "عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودى فقال يا أبا القاسم ضرب وجهى رجل من أصحابك. فقال: من ؟ قال: رجل من الأنصار. قال: ادعوه . فقال: أضربته ؟ قال: سمعته بالسوق يحلف: والذى اصطفى موسى على البشر، قلت: أى خبيث، على محمد ﷺ. فأخذتنى غضبة ضربت وجهه. فقال النبى ﷺ لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى "

([340]) قال تعالى: " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين " الأعراف ١٤٣.

قد استدل المعتزلة بهذه الآية على عدم رؤية الله تعالى: وقالوا فى ذلك لو كانت الرؤيه جائزة لما قال الله تعالى لموسى عليه السلام " لن ترانى " كما أن " لن " تفيد التأبيد وهذا يدل على نفى الرؤيه فى الآخرة. وقد رد هذا القول من وجوه :

١- إنه لو لم يكن من الجائز رؤية الله تعالى لعلم ذلك موسى عليه السلام ولما سأله الرؤية لأنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه فى وقته أن يسأل مالا يجوز عليه ،

٢- أن الله لم ينكر على موسى السؤال وهذا يعنى أن الرؤية ممكنه فلو لم تكن الرؤيه ممكنه لانكر الله سبحانه على موسى عليه السلام السؤال مثلما أنكر سؤال نوح عليه السلام عندما سأله سبحانه نجاة ابنه وقال تعالى : " إنى أعظك أن تكون من الجاهلين".

٣- أنه تعالى قال " لن ترانى " ولم يقل إنى لا أرى أو لا تجوز رؤيتى أو لست بمرئى. الفرق بين الجوابين واضح وهذا يدل على أنه سبحانه مرئى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى .

والدليل على ذلك قوله تعالى: " ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوق ترانى " فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت التجلى فى هذا الدار ، فكيف بالبشر الذى خلق من ضعف ؟.

٤- الله سبحانه علق الرؤية على استقرار الجبل وكان من الممكن أن يجعله مستقراً فإذا كان استقراره ممكن كانت الرؤيه ممكنه .

٥- قال تعالى: فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا تدل على أن الله تعالى تجلى للجبل ، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه فى دار كرامته؟ . ولكن الله أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف.

٦- أن الله تكلم ومتكلم وكلم موسى وناداه وسمع موسى كلامه بغير واسطة ومن جاز عليه ذلك فرؤيته أولى بالجواز.

أما القول فى " لن " قالوا إن لن لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفى فى الآخرة لأن العقل حدد بعدها فلو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى" وهذا دليل على أن "لن" ليست للنفى المؤبد.

فى الحقيقة فالرؤية لله تعالى ثابتة بالحديث الشريف: عن أبى هريرة أن ناسا قالوا يا رسول الله هلى نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله: قال: هل تضارون فى الشمس ليس

يكن عنده عليه السلام علم حتى يعلمه الله-عز وجل-فقد أخبرﷺ "أنه أول مـــن ينشـــق عنه القبر "وهو حديث صحيح مشهور.

اعلم رحمك الله أنه إن لم تشق سمعك النفخة الأولى فى الصور لهـــلاك هـــذا المعمور،فلابد أن تشق سمعك النفخة الثانية لبعثرة القبور، وقيام الخلائق ليوم النشـــور، وتحصيل ما فى الصدور:(إذا زلزت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها. يومئذ يصدر النـــاس أشـــتاتاً ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمـــل مثقـــال ذرة شـــراً يَـــرَهُ (سورة:الزلزل).(إذا وقعت الواقعة[٣٤١]، ليس لوقعتها كاذبة[٣٤٢]، خافضة رافعـــة[٣٤٣]، إذا رجت الأرض رجاً[٣٤٤]، وبست الجبال بســـا[٣٤٥] فكانـــت هبـــاء[٣٤٦] منبثـــا[٣٤٧])(الواقعة:١-٦)(فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة [٣٤٨]، وحملت الأرض والجبال فـــدكتا

دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك" . ومن الحديث أيضا عن جريـــر بن عبد الله البجلى قال: كنا جلوساً مع النبىﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشـــرة، فقال: إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا، لا تضامون فى رؤيته".

(٣٤١) أى قامت القيامة وقيل وصف بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل إذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها.

(٣٤٢) أى لا تكون هناك نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب حـــين تقـــع الواقعة، لأن كل نفس حينئذ مؤمنه صادقة مصدقة.

(٣٤٣)أى ترفع أقواماً وتضع آخرين.

(٣٤٤)حركت الأرض تحريكا شديداً حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء.

(٣٤٥)فتتبت الجبال تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها .

(٣٤٦)غباراً.

(٣٤٧)متفرقاً " انظر النسفى جـــ٤ ص ٢١٤.

دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ، والملك علـى أرجائها [٣٤٩] ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية [٣٥٠] ، يومئذ تعرضون لا تخفـى منكم خافيـة) (الحاقـة : ١٣-١٨). (إذا الشـمس كـورت [٣٥١] ، وإذا النجـوم انكدرت[٣٥٢]، وإذا الجبال سيرت [٣٥٣]، وإذا العشار عطلت[٣٥٤] ، وإذا الوحوش حشرت [٣٥٥]) (التكوير : ١-٥) .

([٣٤٨]) النفخة هى النفخة الأولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها" وحملت الأرض والجبال" رفعتا عن موضعهما ، ودقتا وكسرتا أى ضرب بعضها ببعض حتـى تدق وترجع كثيبا مهيلا وهباءاً منبثا .

(٢٧٥) فتحت أبواب السماء فهى يومئذ مسترخية ساقطة القـوة بعـد مـا كانـت محكمة،فتكون الملائكة على جوانبها لأنها إذا انشقت وهى مسكن الملائكة .

([٣٥٠]) فيلجئون إلى أطرافها وفوقهم يكون حملة العرش وهم ثمانية يحملون العرش. النيسابورى جـ٤ ص ٢٨٦ .

([٣٥١]) أى ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها أى يلف ضوءها لفـا فيـذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق.

([٣٥٢]) تساقطت .

([٣٥٣])عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت فى الجو تسيير السحاب.

([٣٥٤])جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلـى أن تضع لتمام السنة. "وعطلت " أى أهملت عطلها أهلها لاشـتغالهم بأنفسـهم وكـانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون ما دونها.

فناهيك من صيحة يقوم لها الأموات ويحيا بها العظام الرفات، وحسبك من هدّة تنهد لها الجبال وتعود كالكثيب المهيل من الرمال، كما قال عز من قائل:(يوم ترجف الأرض[٣٥٦]والجبال وكانت الجبال كثيباً[٣٥٧]مهيلا [٣٥٨])(المزَّمّل:١٤)(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث[٣٥٩] وتكون الجبال كالعهن المنفوش[٣٦٠])(القارعة:٤-٥)(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدّهان)(الرحمن:٣٧) هذا وأهوال لا بد لك من مكابدتها وأحوال لابد لك من مشاهدتها، يخرج سهمك فيها بما خرج ويلج بك سعيك منها فيما يلج فإما بنزول فى درك وإما بارتقاء فى درج وقد صح هذا عندك فماذا أعددت له وثبت فى نفسك فماذا تستقبله ؟ وماذا تقوله ؟ أو ماذا تفعله؟ لطال ما دعاك الداعى فتصاممت ونصحك النصيح فتعاميت، وذكرك بالمذكر فتناسيت، فقد وقفت على العيان مما كان

([٣٥٥]) جمعت من كل ناحية. قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت أتراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاووس ونحوه" تفسير النسفى جـ٤ ص٣٣٥.

([٣٥٦]) ترجف الأرض: أى تتحرك حركة شديدة .

([٣٥٧]) رملا مجتمعا من كثب الشئ إذا جمعه .

([٣٥٨])سائلا بعد اجتماعه " النسفى جـ٤ ص ٣٠٥ .

([٣٥٩]) شبه الناس بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره .

([٣٦٠]) شبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنقوش منه لتفرق أجزائها. " النسفى جـ٤ ص ٣٧٤.

عرضه عليك بالأمس البرهان، وجاءك به الرسول، وخاطبك به القرآن، فهل من رجعة أو سبيل اليوم إلى استماعك تلك الدعوة ؟! هيهات طمعت فى غير مطمع، وسمعت ما لا يسمع، إن كنت تريد أن تعود إلى الدنيا أو تركع فتفكر الآن فى نفسك وكونك فى قبرك إذ سمعت انشقاق الأرض من فوقك ووقع ذلك الصوت الهائل فى سمعك، صوت تتصدع له الأكباد لو أُذن لها فى الانصداع وتتقطع له القلوب لو أذن لها فى الانقطاع قال تعالى: (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) (ق ٤١-٤٢).

٣٩١- وفى الخبر أن هذا الاجتماع يكون بالشام.

٣٩٣- ويروى أن المنادى ينادى على صخرة ببيت المقدس: " أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ". وهذا النداء خلاف الصيحة العظماء، فتفكر وأطل فكرك فى عظم تلك الصيحة وشدة تلك النفخة، وتخيل قيام الناس وثورانهم من قبورهم دفعة واحدة وانبعاثهم بمرة واحدة، وأنت بينهم وفى جملتهم منكسفاً وجهك متغيراً لونك مغبراً بدنك، قد ملأ قلبك ذلك الفزع وقصم ظهرك ذلك المستمع وأنت حيران عطشان سكران، شاخص البصر نحو النداء مستمعاً إلى ذلك الدعاء ولو وجدت مطاراً لطرت ومفراً لفررت(كلا لا وزر إلا ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان بما قدم وأخر)[٣٦١](القيامة:١١-١٣)(يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا[٣٦٢] لا تنفذون إلا بسلطان[٣٦٣]، فبأى آلاء ربكما تكذبان)(الرحمن: ٣٣- ٣٤).

---

(٣٦١) كلا"ردع عن طلب المعز " لاوزر" لا ملجأ إلى ربك خاصة " يومئذ المستقر" مستقر العباد أو موضع قراراهم من جنة أو نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار. .. " النسفى جـ٤ ص ٣١٤.

٣٩٥- ويروى عن الأوزاعى عن بلال بن سعد أنه قال: " إن للناس جولة يوم القيامة وهو قوله تعالى: (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) (القيامة: ١٠) وقال تعالى:(ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب)[٣٦٤] (سبأ :٥١) وقال سبحانه وتعالى: (إنى أخاف عليكم يوم التناد[٣٦٥] ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من

([٣٦٢]) أى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هربا من قضائى فاخرجوا.

([٣٦٣]) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ، وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غداً بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم، وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة احتاطت به. " النسفى جـ٤ ص ٢١٠ " .

([٣٦٤])"ولو ترى "جوابه محذوفا أى ترى عجباً." وأخذوا من مكان قريب " لا يهربون وإنما الأخذ قبل تمكنهم من الهرب." مفاتيح الغيب جـ٢٤ ص١٩ مجلد ١٣.

([٣٦٥]) أجمع المفسرون على أن " يوم التناد " هو يوم القيامة .

وفى سبب تسمية ذلك اليوم بذلك الاسم وجوه :

١- أن أهل النار ينادون أهل الجنة، وأهل الجنة ينادون أهل النار كما ذكر الله عنهم فى سورة الأعراف" ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة " الأعراف:٤٤ " ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار".

٢- قال الزجاج: لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى: " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم" الإسراء :٧١ .

٣- أنه ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون: " يا ويلنا " الأنبياء : ٩٧.

٤- ينادون إلى المحشر ، أى يدعون .

عاصم)(غافر:٣٢-٣٣) وقيل في قوله تعالى: (يخافون يوماً تتقلبُ فيه القلوب والأبصار)[٣٦٦](النور:٣٧) أما تَقلُّب القلوبِ فانتزاعها من أماكنها فتغَصُّ بها الحناجر

٥- ينادى المؤمن "هاؤم اقرأوا كتابيه " الحاقة : ١٩ . والكافر " يا ليتنى لم أوت كتابيه " الحاقة : ٢٥.

٦- ينادى باللعنة على الظالمين.

٧- يجاء بالموت على صورة كبش أملح ، ثم يذبح وينادى يا أهل القيامة لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً على فرحهم، وأهل النار حزنا على حزنهم .

٨- قال أبو على الفارسي: التنادى مشتق من التناد من قولهم" ند فلان إذا هرب ، وهو قراءة ابن عباس وفسرها، فقال يندون كما تند الإبل" .

ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى: " يوم يفر المرء من أخيه "عبس: ٣٤ وقوله تعالى بعد هذه الآية : " يوم تولون مدبرين " لأنهم إذا سمعوا زفير النار يندون هاربين ، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفاً ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه.

و "يوم تولون مدبرين " منصرفين عن موقف يوم الحساب إلى النار قال به قتادة وعن مجاهد : فارين عن النار غير معجزين، ثم أكد التهديد فقال " ما لكم من الله من عاصم ". " انظر مفاتيح الغيب جـ٢٦ ص ٥٤٥ مجلد ١٣.

([٣٦٦])اختلف العلماء فى المراد **بتقلب القلوب والأبصار** على أقوال:

١- أن القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الأبصار لقوله تعالى : " وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر " الأحزاب : ١٠ .

٢- أنها تتغير أحوالها فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تبصر، فكأنهم انقلبوا من الشك إلى الظن، ومن الظن إلى اليقين، ومن اليقين إلى المعاينة ، لقوله تعالى : " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " الزمر : ٤٧ " مفاتيح الغيب جـ ٢٢ ص ٥٩٧ مجلد١١ .

فلا هى تخرج ولا هى ترجع إلى مواضعها قال -عز وجل- (وأنذرهم يوم الآزفة[٣٦٧] إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين[٣٦٨]. ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (غافر:١٨-١٩).

---

(٣٦٧) قال الرازى ذكروا فى تفسير **يوم الآزفة** وجوها:

١- أن يوم الآزفة هو يوم القيامة. والآزفة من أزف الأمر إذ دنا وحضر لقوله فى صفة يوم القيامة " أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة " النجم ٥٧-٥٨والمقصود منه التنبيه على أن يوم القيامة قريب. ومثله قوله تعالى:" اقتربت الساعة " .

٢-إن المراد بيوم الآزفة وقت الآزفة وهى مسارعتهم إلى دخول النار.

٣- يوم الآزفة يوم المنية وحضور الأجل، والذى يدل عليه أن الله تعالى فرق بين وصف يوم القيامة وبين الآزفة فوصف الله تعالى يوم القيامة بأنه يوم التلاق " يوم هم بارزون " ثم قال " وأنذرهم يوم الآزفة " فوجب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم .

ومن الأدلة أيضا على أن المقصود بيوم الآزفة يوم الموت أو يوم المنية وحضور الأجل الصفه الملازمة له فى الآية " إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين" صفة مخصوصة فى سائر الآيات بيوم الموت، مثل قوله تعالى: " فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون " الواقعة ٨٣ – ٨٤. وقوله تعالى: " كلا إذا بلغت التراقى " القيامة :٢٦. ومن الأدلة أيضا أن وصف يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب، وأيضا الصفات المذكورة بعد قوله " الآزفة " لائقة بيوم حضور الموت لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه، فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف، ويبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما فى قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق.

وأرى أن الأولى والأقرب إلى القبول أن الآزفة إسم ليوم القيامة والدليل على ذلك أنه تعالى ذكر الشفاعة والشفاعة لا تكون الا فى الآخرة . والله أعلم .

وأما تقلب الأبصار فمن الكحل إلى الزرق ومن البصر إلى العمى قال تعـــالى: (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا[٣٦٩])(طه: ١٠٢) قال عزّ وجلّ-:(ونحشرهم يوم القيامة

([٣٦٨]) اختلفوا فى أن المراد من قوله تعالى " إذ القلوب لدى الحناجر كـــاظمين" هل هو كناية عن شدة الخوف أم هو محمول على ظاهره. فمن قال أنه كناية عن شـــدة الخوف قال نظيره قوله تعالى :"وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون" ومن قال إنه محمول على ظاهره قال معناه أن القلوب انتزعت من الصدور بسبب شدة الخـــوف وبلغت القلوب الحناجر" فلا تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها مقبوضه كالسجال.

وقوله تعالى " كاظمين " أى مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا وقـــال الرازى فالمقصود من الآية أمرين: ١- الخوف الشديد وهو المراد من قوله تعـــالى: "إذ القلوب لدى الحناجر " ٢- العجز عن الكلام وهو المراد من قوله تعالى " كاظمين " فإن الملهوف إذا قدر على الكلام حصلت له خفقة وسكون، أما إذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى عظم قلقه وقوى خوفه. " انظر مفاتيح الغيب جـ٢٦ ص ٥٢٧ – ٥٢٩ مجلد ١٣ .

([٣٦٩]) قال الرازى: اختلفوا فى المراد بالزرقه على وجوه:

١- قول الضحاك ومقاتل يعنى زرق العيون سود الوجوه وهى زرقة تتشـــوه بهـــا خلقتهم والعرب تتشاءم بذلك .
٢- قول الكلبى : المراد من الزرقة العمى . زرقا أى عمياً .
٣- قول أبو مسلم : المراد بهذه الزرقة شخوص أبصارهم والأزرق شاخص لأنـــه لضعف بصره يكون محدقاً نحو الشئ يريد أن يتبينه وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره وهو قوله : " إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار" .

على وجوههم[٣٧٠]عمياً وبكماً وصماً[٣٧١]مأواهم جهنم كلما خبت[٣٧٢] زدناهم سـعيراً)(الإسراء:٩٧).

٤- قول ابن الأعرابى قال زرقا أى عطاشاً لأنهم من شدة العطش يتغيـر سـواد عيونهم حتى تزرق ويدل على هذا التفسير قوله تعالى " وتسوق المجرمين الى جهنم ورداً " الأعراف : ٥٧ .

٥- قول آخر لابن الأعرابى حكاه تعلب قال : طامعين فيما لا ينالونـه . " مفـاتيح الغيب" جـ٢١. ص ٤١ مجلد ١١ .

(٣٧٠) قيل فى كيف يمشون على وجوههم : ١- إنهم يسحبون على وجوههم " يوم يسحبون فى النار على وجوههم" . ٢- عن الرسولﷺ إن الذى يمشيهم على أقـدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم.

(٣٧١) قال ابن عباس "عمياً " لا يرون شيئا يسرهم " صما " لا يسـمعون شـيئاً يسرهم . "بكماً" لا ينطقون بحجه ".عن عطاء"عميا"عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه " بكما " عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين. " صما "عن ثناء الله تعالى علـى أوليائه. وقال مقاتل إنه حين يقال لهم " اخسئوا فيهـا ولا تكلمـون" المؤمنـون ١٠٨ " يصيرون عميا بكماً صماً، أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون.وقيل أنهم يكونون رائـين سابقين ناطقين فى الموقت ، ولولا ذلك لما قدروا على أن يطالعوا كتبهم ولا يسـمعوا إلزام حجة الله عليهم إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم الله عميـا وبكماً وصماً .

(٣٧٢) **الخبو** : سكون النار، يقال خبت النار تخبوا إذا سكن لهبها ومعنى خبـت سكنت وطفئت. وليس معنى سكون النار أن يخف العذاب فى ذلك الوقت فإن الكفـار لا يخف عنهم العذاب، ولكن يقال كما قال تعالى " فلما خبت زدناهم سعيراً " أن الزيـادة

فتفكر فى بهتك وحيرتك، وأنكادك ونلتك، وافتقارك وقلتك، يوم لا تجد إلا عملك الذى عملت، وسعيك الذى سعيت، قال تعالى: (يوم تجد كلُ نفسٍ ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه)(آل عمران: ٣٠).

٣٩٧- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث ابن عباس قال: " قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) ألا وإن أول الخلائق يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يارب أصحابى فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح(٣٧٣): وكنت عليهم شهيداً(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فيقال: إنهم لم يزالوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتهم(٣٧٤).

حصلت فى الحالة الأولى أخف من حصولها فى الحالة الثانية فكان العذاب شديداً. والتفاوت فى عظم العظام غير مشعور به' انظر مفاتيح الغيب جـ١٩ . ص ٢١٣ م١٠ .

(٣٧٣) يقصد عيسى عليه السلام عندما سأله الله تعالي عن قومه وهل قال لهم أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله قال { ما قلت لهم إلا ما أمرتني أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علي كل شهيد }.

(٣٧٤) مسلم فى الجنةجـ٤ص ٢١٩٤ -٢١٩٥ الحديث ٢٨٦٠/٥٨ كما أخرجه البخارى جـ٦ ص ٣٨٦ رقم ٣٣٤٩ .

٣٩٨- وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: " إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ثم ينقاض أهل السماء الدنيا على الأرض فأهل السماء الدنيا وحـــدهم أكثر من جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف فيفزعون إليهم ويقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: سبحانه ليس فينا ثم ينقاض أهل السماء الثانية فينتشرون علـــى وجـــه الأرض فأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهـــل الأرض جـــنهم وإنســـهم بالضعف فيفزعون إليهم فيقولون: أفيكم ربنا ؟ فيقولون: ليس فينا وهو آتٍ ثم ينقـــاض أهل السموات سماءً سماءً كلما انقاضت سماء انتشر أهلها على وجه الأرض فيكونـــون أكثر من أهل السموات التى تحتهم وأهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف ويفزع إلـــيهم أهل الأرض فيقولون: أفيكم ربنا؟ فيقولون: سبحانه ليس فينا وهو آتٍ ثم ينقاض أهـــل السماء السابعة فينتشر أهلها على وجه الأرض فهم وحدهم أكثر من أهل السموات ومن جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف وينزل الله تبارك وتعالى فى ظُلَلٍ من الغمام والملائكة[٣٧٥].

فتفكر فى هذا المشهد العظيم واليوم العقيم يوم يُجمع فيه هذا الخلق كلهـــم مـــن الملائكة ومن بنى آدم من لدن آدمﷺ إلى آخر الدنيا فتفكر فى أى أرض تســـعهم أو أى مكان يحملهم فكيف وينضاف إليهم جميع الوحوش النادرة والهوام الشاردة إلى غير ذلك من المخلوقات التى ضمها ذلك الموعد وحشرها ذلك المشهد النادر والهوام الشاردة إلى غير ذلك من المخلوقات التى ضمها ذلك الموعد وحشرها ذلك المشهد فتفكر الآن فيهم كيف يساقون وكيف يجمعون وكيف يحشرون من بين محمول قد مدت ظلال الرحمـــة

(٣٧٥) قال تعالى:" هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكـــة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور " البقرة ٢١٠ .

عليه وجمعت الأماني في يديه وبين ساع على قدميه وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول ما بين يديه "[٣٧٦].

٣٩٩- كما ورد الحديث عن النبيﷺ قال: " إنكم محشورون إلى الله - عز وجل رجالاً وركبالناً وتجرون على وجوهكم" ويروى " ويجرون على وجوههم حتى يقومون على أرض بيضاء قاع صفصف مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ولا ربوة يستتر بها ولا وهدة يختفي فيها هو صعيد واحد :

ليس فيه شئ قائم ولا علم مرتفع[٣٧٧].

قال تعالى : (ويسألونك عن الجبال[٣٧٨] فقل ينسفها ربي نسفاً[٣٧٩]، فيذرها قاعاً صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً[٣٨٠]) (طه١٠٥ - ١٠٧).

([٣٧٦]) انظر الحلية لأبي نعيم ٦٢١٦ - الطبرى ٣٠ / ١٠٢ .

([٣٧٧]) أخرجه الترمذي رقم ٣١٤٣ ، والامام أحمد ٥ / ٥ .

([٣٧٨]) قال الضحاك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيامة، وكان سؤالهم على سبيل الاستهزاء. فأمر الله تعالى الرسول بالجواب مبينا أحوال القيامة وأهوالها.

([٣٧٩]) أي تصير الجبال كالهباء المنثور تذرى تذرية فإذا زالت الجبال زالت الحوائل .

([٣٨٠]) الضمير في " فيذرها " عائد إلى الأرض، وقد وصفها الله تعالى ذلك الوقت بصفات :

١- كونها قائماً وهو المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء.

٢- أنها صفصف وهو الذي لا نبات عليه.

٤٠٠-وقال ﷺ: " يُحشر الناس يوم القيامة علـــى أرض بيضـــاء عفـــراء[٣٨١] كقرصة النّقى (ليس فيها علَمٌ لأحَد[٣٨٢]).[٣٨٣]

٣- لا يكون فيها عوج الحديث للترمذى ٣١٤٣ والنسائى ٤ / ١١٦ - ١١٧ ، الامام أحمد ٥/٥. وقال أبو مسلم : القاع الأرض الملساء وكذلك الصفصف .

٤- لا يكون فيها أمت. والأمت النتوء اليسيرة يحصل من هذه الصـــفات الأربـــع أن الأرض تكون ذلك اليوم ملساء خالية عن الارتفاع والانخفـــاض وأنـــواع الانحـــراف والاعوجاج. " انظر مفاتيح الغيب جـ ٢١ ص ٤٥ مجلد ١١" .

وقال عياض المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شئ مـــن العلامات التى يهتدى بها فى الطرقات كالجبل والصخرة البارزة. وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها. وقال الداودى: المراد أنه لا يحوز أحد منهـــا شيئا إلا ما أدرك منها.

والحديث - كما قال أبو محمد بن أبى حمزه- فيه إشارة إلـــى أن أرض الموقـــف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً والحكمة فى الصفة المذكورة أن ذلك اليـــوم يـــوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذى يقع فيه ذلك طاهراً عن عمـــل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين على أرض تليـــق بعظمته، ولأن الحكم فيه يكون لله وحده فتاسب أن يكون المحل خالصا له وحده.
وفيه إشارة إلى أن أرض الدنيا أضمحلت وأعدمت وأن أرض الموقف تجددت . " فـــتح البارى " جـ١١ ص ٣٧٥.

(٣٨١) جاء فى معنى "أرض عفراء" عدة أقوال: ١- قال الخطابى العفر بياض ليس بالناصع، وقال عياض: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلا ومنه سمى عفـــر الأرض

٤٠١-وقالﷺ: (ويجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينُفُذهُم البصر[٣٨٤]) يريد أرضاً مستوية لا جبل فيها ولا أكنة ولا ربوة ولا وهدة أرض بيضاء نقية لم يسقط عليها دم ولا عمل عليها خطيئة ولا ارتكب فيها محرم). قال تعالى: (يوم تبدل الأرض غير الأرض[٣٨٥] والسموات[٣٨٦] وبرزوا لله[٣٨٧] الواحد القهار) (إبراهيم : ٤٨).

وهو وجهها. وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض. وقال الداودى شديدة البياض، والأول هو المعتمد عند الحافظ العسقلانى. " انظر فتح البارى جـ١١ ص ٣٧٥ ".

(٣٨٢) كقرصة النقى. بالنون والنقى هو الدقيق النقى من القش والنخال قال الخطابى ولفظ البخارى " ليس فيها معلمٌ لأحد " وما ذكره المصنف من لفظ مسلم وهما بمعنى واحد. ومعنى ذلك أنها مستويه . عند الخطابى .

(٣٨٣) أخرجه البخارى فى الرقاق جـ١١ ص ٣٧٢ رقم ٦٥٢١.

(٣٨٤) خرجه البخارى فى الأنبياء جـ٦ ص ٣٩٥ رقم ٣٣٦١ " ونص الحديث: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: " أتى النبىﷺ فقال: إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر، وتدنو الشمس منهم – فذكر حديث الشفاعة – فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبى الله وخليله من الأرض، اشفع لنا إلى ربك ، فيقول . كذباته : نفسى ، نفسى ، اذهبوا إلى موسى " تابعه أنس عن النبى ﷺ – مسلم فى الايمان ١ / ١٨٤.

(٣٨٥) التبديل يحتمل وجهين : ١- تبدل صفة الأرض بصفة أخرى دون ذاتها . قال ابن عباس رضى الله عنهما : هى تلك الأرض إلا أنها تغيرت فى صفاتها فتسير

٤٠٢- وفى حديث ثوبان أن النبىﷺ : "سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: هم فى الظلمة دون الجسر[٣٨٨] " والجسر هو الصراط.

٤٠٣- وفى حديث عائشة عن النبىﷺ: " أنهم على الصراط[٣٨٩] " ذكر الحديثين مسلم بن الحجاج.

عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى، فلا يرى فيها عوج ولا أمت . وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبىﷺ أنه قال : " يبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم العاكظى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتاً " . ٢- أن يبدل الذات أى تغنى الأولى وتحدث ذات أخرى . قال ابن مسعود : تبدل بأرض كالفضة البيضاء النقية، لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة.

([٣٨٦]) تبديل السماوات يكون بأنتثار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكونها أبوابا، وأنها تارة تكون كالمهل وتارة تكون كالدهان .
وقال الرازى لا يبعد أن يقال المراد من تبديل الأرض والسماوات هو أنه تعالى يجعل الارض جهنم ، ويجعل السماوات الجنة . والدليل عليه قوله تعالى : " كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين" وقوله تعالى: " كلا إن كتاب الفجار لفى سجين " .

([٣٨٧]) البروز فى اللغة عبارة عن الظهور بعد الاستتار، ولما كان هذا فى حق الله تعالى محال فإن الله لا تخفى عليه خافيه ، كان التأويل هنا واجب وهو من وجوه :
١- أنهم عند ارتكابهم الفواحش كانوا يستترون من العيون ويظنون أنهم كذلك بالنسبة لله تعالى ، فإذا جاء يوم القيامة بسبب الحساب أنكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافيه .

([٣٨٨]) أخرجه مسلم فى كتاب الحيض جـ ١ ص ٢٥٢ رقم ٣٤ / ٣١٥ .

فتفكر فى هذا المجتمع وهذا الهول الأشنع والخطب الأفظع الأبشع وفيمن يحضره ويشهده ويعاينه، وتَبَصَّرَه، كيف يقومون على أقدامهم ويشخصون بأبصارهم وأنت معهم فى ضيق مقام وطول قيام قد جُمِعوا جمع الدراهم فى الصرة المشدودة والنبل فى الكنانة المشحوبة، وقد انشقت السماء فوقهم ودانت عليهم وسالت على رؤوسهم فطاشت الألباب وذهلت الأوهام وتحيرت العقول وتجلجلت الألسن فلم يدر قائل ما يقول، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً وضعفت الحركات فلا تسمع للأقدام إلا حبيا، فيا لك من هول تنهد منه الجبال فكيف الرجال؟!

فتفكر فيما يشق سمعك من ذلك وما يخلع قلبك من الروع الذى هنالك ، وكيف بك إذا رأيت الشمس قد كورت فذهب ضوؤها والنجوم قد طمست فأمحى نورها، وزالت عن مواضعها وفقدت فى مطالعها وانتثرت على من تحتها وعلى من سمتها واشتبك الناس بعضهم فى بعض وتداخل الخلق بعضهم فصاروا كالفراش المبثوث وقامت الملائكة على أرجاء السماء وأحاطت بالخلائق من كل الأرجاء والناس عراة غرل كما خُلقوا فيا لك من يوم تختلط فيه الرجال مع النساء وقد أمنوا من أن ينظر بعضهم ألى بعض أو يحسن بعضهم ببعض !!

٤٠٤- ذكر مسلم بن الحجاج من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت: يا رسول الله

([٣٨٩]) أخرجه مسلم فى صفات المنافقين جـ٤ ص ٢١٥٠ رقم ٢٩ / ٢٧٩١

الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض(٣٩٠)".

٤٠٥-وذكر النسائى(٣٩١)من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " تحشرون حفاة عراة غرلاً قالت له زوجته: أينظر-أو يرى- بعضنا عورة بعض؟ فقال: يافلانة لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه". فيا لك من هول ما أعظمه ومن كرب ما أشده ومن خطب ما أبشعه، وأياك أن تستبطئ هذا اليوم وأن تستبعده فما سيرك إليه ببطئ ولا هو منك ببعيد وإن طال المدى وامتدت الغاية فكل آت قريب ، وكل ما يكون سيكون قال تعالى: (يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم(٣٩٢))

---

(٣٩٠) أخرجه البخارى فى الرقاق جـ١١رقم ٦٥٢٧ ومسلم فى الجنة جـ ٤ ص ٢١٩٤ رقم ٥٦ / ٢٨٥٩ .

(٣٩١) جـ٤ ص ١١٤ .

(٣٩٢) فى تفسير التعارف بينهم وجوه:١- يعرف بعضهم بعضا كما كانوا يعرفون فى الدنيا.

٢- يعرف بعضهم بعضا بما كانوا عليه من الخطأ والكفر، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب وتبرأ بعضهم من بعض.

وليس هناك تعارض من قوله تعالى: "يتعارفون بينهم" وبين قوله تعالى: "ولا يسئل حميم حميماً " المعارج ١٠ . لأن المراد من هذه الآية أنهم يتعارفون بينهم يوبخ بعضهم بعضا، فيقول كل فريق للآخر أنت أضللتنى يوم كذا وزينت لى الفعل الفلانى من القبائح، فهذا تعارف تقبيح وتعنيف وتباعد وتقاطع، لا تعارف عطف وشفقة. وأما قوله تعالى: "ولا يسئل حميم حميماً " فالمراد سؤال الرحمة والعطف، ومن ناحية أخرى يكن حمل هاتين الآيتين على حالتين، وهو أنهم يتعارفون إذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة ، فلذلك لا يسأل حميم حميماً. " انظر مفاتيح الغيب جـ١٦ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ مجلد ٨ .

(يونس:٤٥) وقال سبحانه: (كم لبثتهم فى الأرض عدد السنين، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين[٣٩٣]) (المؤمنون: ١١٢– ١١).وقال تعالى: (ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً) (طه:١٠٢– ١٠٣) أى يقوم ذلك بعضهم لبعض سراً. فيقول أعدلهم عندهم قولاً وأرجحهم عقلً : إن لبثتم إلا يوماً، أى ما لبثتم فى القبور إلا يوماً واحداً، قال تبارك وتعالى: (نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً) (طه:١٠٤).

٤٠٦– يروى عن مجاهد أنه قال: " للكفار هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها النوم فإذا بعثوا قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ فيقول لهم المؤمنون: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. فيخرج الخلائق مذعورين خائفين وجلين وإذا المنادى ينادى (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)(الزخرف:٦٨) فيطمع فى هذا النداء المؤمنون والكافرون فينادي المنادى:(الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)(الزخرف:٦٩) ذلك يوم يجعل الولدان شيباً ولا يرى فيه إلا حزيناً كئيباً يوم تشقق السماء كأنها السحاب وتسير الجبال كأنها السراب ".

([٣٩٣]) جاء فى العادين أقوال: ١– هم الحفظة وأنهم كانوا يحصون الأعمال وأوقات الحياة ويحسبون أوقات موتهم وتقدم من تقدم وتأخر من تأخر–أى الذين يحسبون .؟

٢– العادين هم الملائكة الذين يعدون أيام الدنيا وساعاتها .

٣– أن يكون المعنى سل من يعرف عدد ذلك فإنا قد نسيناه .

٤– قرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فإنهم يقولون مثل ما قلنا.

٥– قرئ العاديين أى القدماء المعمرين، فإنهم يستعرونها فكيف بمن دونهم ؟

انظر مفاتيح الغيب جـ٢٢ ص ٤١٦ مجلد ١١.

واعلم: أن الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف ركباناً ومشاة وعلى وجهوهم كما تقدم، قال تعالى: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً)(مريم:٨٥-٨٦) والوفد في اللغة: القوم المكرومون يفدون من بلدهم في جماعتهم إلى ملكهم فينزلهم، ويكرمهم، والورد: العطاش يساقون كما تساق الإبل وغيرها من الأنعام تسوقهم الملائكة بسياط النار إلى النار وقوم يمشون على وجوههم.

٤٠٧- ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم وقيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك"[٣٩٤].

٤١٠-ذكر أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر العقيلي قال : " خرجت أنا وصاحب لي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيباً فقال أيها الناس ألا إني أخبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم اليوم ألا فهل من أمرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسؤول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا أجلسوا. فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده رأسه وزعم أني ابتغي ليسقطه فقال ضن ربك بخمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده قلت وما هن يا رسول الله ؟ قال: علم: المنية وقد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى متى

[٣٩٤] الترمذي رقم ٣١٤٢ والإمام أحمد جـ٢ ص ٣٥٤ - ٣٦٣ .

يكون فى الرحم قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما فى غد قد علم ما أنت طاعم غـداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علـم أن غـوثكم قريب" قال لقيط: لم نُعدم من رب يضحك خيراً – " قال: وعلم الساعة قلت: يا رسـول الله علمنا ما تعلم الناس وما تعلم قال: تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثـتم ثم تبعث الصيحة فلعُمر إلاهك ما تدع على ظهرها من شئ إلا مات والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك يطوف فى الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء بهضـب من عند العرش، فلعمر إلاهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه حتى يستوى جالساً يقول ربك مهيم لما كـان فيه يقول: يا رب أمتى أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله. فقلت: يا رسول الله وكيف تجمعنا بعد ما تمزقتنا الرياح والبلى والسباع؟ قال: أنبئكم بمثـل ذلـك الأرض أشرفت عليها وهى مدرة بالية فقلت: لا تحيا أبداً. ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عنها إلا أياماً حتى أشرف عليها فإذا هى شربة واحدة، فلعمر إلاهك لهو أقدر علـى أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتنظرون إليه ساعة وينظر إليكم قال: قلت: فكيف يا رسول الله ونحـن مـلء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبؤكم بمثل ذلك فـى آى الله الشـمس والقمر آية صغيرة ترونها ساعة واحدة وترونه منهما أو تروهما ويريانكم ولا تضامون فى رؤيتهما. قلت: يا رسول الله فماذا يفعل بنا ربنا إذا ألقيناه؟ قال: تعرضـون عليـه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم فلعمر إلهك ما تخطئ وجه واحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهـه مثـل الريطة البيضاء وأما الكافر فتحطمه مثل الحميم الأسود الإثم، ثم ينصرف نبيكم ويفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول: حس معنا يقول ربك أوانه ألا فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله فلعمر إلهك ما يبسـط واحد منكم يده إلا رفع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشـمس والقمر فلا ترون منهما واحداً قال: قلت: يا رسول الله فيما نبصر؟ قال: بمثل سـاعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أسفرته الأرض وواجهته الجبال قـال: قلـت: يـا

رسول الله فيما نجزى من سيئاتنا وحسناتنا ؟ قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يغفر الله قلت: يا رسول الله إما الجنة وإما النار قال: لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن الجنة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قال: قلت: يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال: على أنهار من عسل مصفى وأنهار كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وتفاكيه لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة. قلت: يا رسول الله إن لنا فيها أزواجاً كم منهن مصلحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد وذكر باقى الحديث(٣٩٥).

باب دنو الشمس من الناس يوم القيامة

٤١١- ذكر مسلم من حديث المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل " قال سليم بن عامر: فو الله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكحل به العين قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه "(٣٩٦).

٤١٢- وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ وفى هذا الحديث قال: " تدنى الشمس يوم القيامة على قدر الميل ويزاد فيها كذا وكذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور على الأثافى(٣٩٧)".ذكره قاسم بن أصبغ.

---

(٣٩٥) انظر المجمع جـ ١٠ ص ٣٤١ – ٣٤٣ .

(٣٩٦) فى كتاب الجنة ٤/ ٢١٩٦ – ٦٢ / ٢٨٦٤ .

(٣٩٧) عزاه فى المجمع للإمام أحمد والطبرانى انظر المجمع١٠ / ٣٣٨ .

٤١٣- وذكر مسلم من حديث أبن عمر عن النبىﷺ : (يوم يقوم الناس لـــرب العالمين) قال: يقوم أحدهم فى رشحة إلى أنصاف أذنيه[٣٩٨].

٤١٤- وذكر مسلم عن أبى هريرة فى هذا الحديث أن رسول اللهﷺ قال : " إن العرق ليذهب يوم القيامة فى الأرض سبعين باعاً - ويروى عاماً - وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم[٣٩٩])

٤١٦- وذكر أبو بكر البزار فى مسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رســـول اللهﷺ: " إن العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول يارب إرسالك بى إلى النار أهون على مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب "[٤٠٠].

([٣٩٨]) البخارى فى الرقاق جـــ١١ / ٤٠٠ رقم ٦٥٣٢ وهو حديث متفق عليه وذكـــره مسلم فى كتاب الجنة ٤ / ٢١٩٥.

([٣٩٩]) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها جــ٤ ص ٢١٩٦ والبخارى فى الرقاق رقم ٦٥٣٢

([٤٠٠]) وقال عقبه بن عامر قال رسول اللهﷺ تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقة ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيـــده فألجمهـــا فاه، ومنهم من يغطيه العرق ، وضرب بيده على رأسه هكذا " رواه أحمد .

قال الغزالى: " واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عـــن منكـــر فيستخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة . ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم مـــن الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصـــر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مدته" الاحيـــاء جـــ٤ ص ٤٩٨ .

ثم تفكر فى ذلك الإزدحام والانضمام والاتساق والالتصاق وإجتمـاع الإنـس والجان ومن يجمع من سائر أصناف الحيوان وانصفافهم وتدافعهم واختلاطهم ولا فرار ولا انتصار ولا ملاذ ولا انتقاذ، وقربت الشمس منهم قبل تكويرها وكانت كمقدار ميـل وزيد فى حرها وضوعف وهجها، ولا ظل إلى ظل عرش ربك بما قدمته من كسـبك، وقد انضاف إلى حر الشمس حر الأنفاس لتزاحم الناس ، واحتراق القلوب لما غشـيتها من الكروب، واشتد الغرق وعظم القلق وسال من الأجسام العرق وانبعـث مـن كـل موضع من الجسد وانبثق، وكان الناس فيه على قدر اعمالهم(٤٠١)كما تقدم.

فتفكر فى نفسك أيها المسكين وقد ضاق نفسك وزاد قلقك وسال عرقك وجـرى من جميع بدنك من قدنك إلى قدمك ، ووصل منك إلى حيث أوصلته بعمك. إمـا إلـى كعبك أو صاعداً حتى أذنك. فانظر إلى هذا الحال وتفكر فى هذا الوبال وهو هذا المآل، واعلم أنه لو سال عرقك في الدنيا طول عمرك وأضعاف عمرك فى طاعة ربك وفـى التعب فى رضى سيدك على أن لا تغرق فى ذلك اليوم لكان ذلك يسيراً ولكانت سلامتك منه غماً كثيراً وفوزاً كبيراً.

طول يوم القيامة

اعلم: رحمك الله أن يوم القيامة(٤٠٢) ليس طوله كما عهدت من طول الأيام ، بل هو آلاف من الأعوام(٤٠٣) يتصرف فيه الأنام على الوجوه والأقدام حتى ينفذ فيهم ما

---

(٤٠١) انظر الغزالى جـ ٤ ص ٤٩٨ .

(٤٠٢) ويطلق عليه الساعة قال تعالى: "ويوم تقوم الساعة أدخلـوا آل فرعـون أشد العذاب " غافر ٤٦ . وهو يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم الإحياء ص ٤٩٨ .

كتب لهم وعليهم من الأحكام ، وليس يكون خلاصهم دفعة واحدة ولا فراغهم فى مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيئاً بعد شئ كما تقدم لكن طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة[٤٠٤]فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم، وليس أيضاً هذا اليوم مثل أيام الدنيا التى تكون على حكم دوران الفلك إذا ذهب الليل جاء النهار وإذا ذهب النهار جاء الليل، حكمة الله التى حيرت العقول وأكلت الأبصار وأخرست الألسن هنالك ليل ولا نهار، إنما هو وقت واحد وهو الذى يسمى يوماً إنما هو مقدار من ذلك الوقت يطوله الله–عز وجل–مايشاء ويقصر إن شاء ويسمى ما شاء بما شاء.

٤١٩– قال الحسن البصرى رحمه الله: "ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصُرِف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية فذاق حرها واشتد نضجها ".

([٤٠٣]) قال تعالى: "و يستعجلون بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنه مما تعدون " الحج ٤٧.

([٤٠٤]) وقال تعالى: " تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقــداره خمســين الف سنة " المعارج . قال السيوطى مقداره خمسين ألف سنة بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد وأما لمؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا. تفسير الجلالين .

قال تعالى: "الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيراً" الفرقان . ٢٦
قال تعالى: " لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون " الروم ٤.

واعلم أن هذا اليوم يتلون ألواناً وتستحيل حال الناس فيه أحوالا فيبعثـون فيـه من قبورهم ويساقون فيه إلى محشرهم ومكان القضاء فيهم ويقفون ما شاء الله أن يقفوا شاخصة أبصارهم إلى السماء مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم وهول مـا نزل بهم ثم يموج بعضهم فى بعض ويدخل بعضهم فى بعض ويمشون من نبـى إلـى نبى يطلبون الشفاعة فى الاستعجال والانفصال والتخلص من تلك الأهوال والانكـال ، وليس كل الناس يكلم الأنبياء وليس كل الناس يمشى إليهم ، ومن النـاس مـن يكـون بمنزلة الرغام تطؤه الأقدام فى ذلك الزحام وضيق ذلك المقام ، ويأتى فى هـذا اليـوم وقت منه يتكلم فيه المشركون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين ، ويأتى منه وقت آخر لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفيه تكون المحاسبة والمناقشة وفيه يتعلـق النـاس بعضهم من بعض ويطلب بعضهم بعضاً ويخاصم بعضهم بعضاً فمن الناس من يطـول مقامه إلى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله فى ذلك اليوم مقدار يوم من أيام الدنيا أو فى ساعة من ساعاته أو فى أقل من ذلك أو فيما شاء الله من ذلك ويكون رائحاً فى زل كسبه وعرش ربه ، ومنهم من يؤمر به إلى الجنة ولا عذاب، كما أن منهم من يـؤمر به إلى النار فى أول الأمر من غير وقوف ولا انتظار، أو بعد يسير من ذلك النهار.
وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم إلا وقد نزل كل إنسان بداره واستقر فى قراره من جنته أو ناره.

فتفكر أيها الإنسان فى طول ذلك اليوم وفى طول ذلك القيام، فتسمع ذلك الحال الأخطر والفزع الأكبر والهول الذى لا يكيف ولا يقدر، واختر لنفسك كم تريد أن تقف أن فيه وكيف تريد تكون فيه ما دام النظر والاختيار بيدك مع توفيق ربك – عز وجل – ومعونته إياك.

باب ذكر الحوض(٤٠٥)

قد سمعت رحمك الله بعطش هذا اليوم والتهابه وما به يصل إلى القلـــوب مـــن أواره واحتراقه ، وأن الماء فى ذلك اليوم أعز موجود وأعظـــم مفقـــود وأن لا منهـــل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمودﷺ، ولا مورد لأمته سواه ولابرد أكبادهم وأن الشربة منه تروى من الظمأ وتشفى من الصدى وتذهب بكل داء فلا يظمأ شـــاربها ولا يسقم بعدها ، أبداً ، وأنها ترد العقل العازب والشباب الذاهب وتؤوب معها من الـــزمن الصالح مالم يكن قبل تائب ، وإنه لا يرد ذلك الحوض إلى من ورد فى الدنيا حـــوض شرعته وتمسك بسنته وتوفى على ملته وإلا فيجلى عنه فلا يدنو منه ولا يكاد يضـــرب عنده ضرباً تنقطع له الجوانح والاكباد وأنا أذكر لك من أحاديث الحوض ما يسر الله – عز وجل.

---

(٤٠٥) **الحوض**

قال الطحاوى والحوض الذى أكرمه الله تعالى به غياث لأمته حق .

وجاء فى كتاب السنوى الحامدى " وأما ثبوت الحوض لـــهﷺ فمشـــهور مســـتفيض " حواشى على شرح الكبرى ص ٥٠٦.

قال القاضى عياض رحمه الله أحاديث الحوض صحيحه والإيمان بـــه فـــرض وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة" اللؤلؤ والمرجان جـــ٣ ص ٩٥" والحـــوض مورود كريم يمد من نهر الكوثر " إنا أعطيناك الكوثر " الذى هو أشد بياضا من اللـــبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك أباريقه عدد نجـــوم الســـماء وعرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر كما هو وارد فى الأحاديـــث فى هذه المسأله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله إياه وقال أبو بشر قلت لسعيد إن أناسا يزعمون إنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه. صحيح البخارى جـــ١١ ص ٤٤٣رقم ٦٥٧٨ كتاب الرقاق .

٤٢١- ذكر مسلم من حديث ثوبان أن نبى الله ﷺ: " إنى لَبعُقر[٤٠٦] حوضى أذود الناس عنه لأهل اليمن[٤٠٧] أضرب بعاص حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ينغت[٤٠٨] فيه ميزبان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق "[٤٠٩].

٤٢٢- وعن أبى ذر قال: " قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا فى الليلة المظلمة المُصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابات من الجنة من شرب

---

(٤٠٦) هو موقف الإبل من الحوض إذا وردته ، وقيل مؤخره .

(٤٠٧) - معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض " يسيل " على أهل اليمن، وقال النووى هذه كرامة لأهل اليمن فى تقديمهم فى الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الإسلام والأنصار من اليمن. فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا فى الدنيا عن النبى ﷺ أعداءه والمكروهات.

(٤٠٨) بغُت وليس " ينغت " أى يتدفقان " فيه الماء دفقا متتابعا شديداً وقيل يصبان فيه دائماً صباً شديداً .

(٤٠٩) وأخرجه الترمذى رقم ٢٤٤ والامام أحمد فى مسنده ٥٥/ ٨٢ / مسلم فى الفضائل جـ٤ ص ٩٩ رقم ٢٣٠١٣٧ .

نه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى ايلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل " (٤١٠).

٤٢٩- وعن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبىﷺ يقول: " أيها النـــاس إنى فرطكم على الحوض فاياى إلا يأتين أحدكم فيُذَبّ عنى كما يُـذَبّ البعيـر الضّـالُ فأقول فيمَ هذا ؟ فيقال: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً"(٤١١).

٤٣١- وذكر مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول اللهﷺ أتى المقبرة فقال: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنّا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: نعم أنتم أصحابى، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا: وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يـا رسول الله ؟ قال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غير محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يـأتون غـراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليـزادن رجـال عـن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم. فيقال: إنهم قد بـدلوا بعدك فأقول: سحقاً سحقا(٤١٢)".

٤٣٨- وذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال: "بينا رسول اللهﷺ ذات يـوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت على آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصـل لربـك وانحر إن شانئك هو الأبتر) ثم قال: تدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم. قـال:

---

(٤١٠) مسلم فى الفضائل ٤ /١٧٩٨ - ١٧٩٩ رقم ٣٦ / ٢٣٠٠ .

(٤١١) مسلم فى الفضائل ٤/ ١٧٩٥ - الحديث ٢٩ / ٢٢٥٩ .

(٤١٢) - مسلم فى الطهارة جـ١ ص ٢١٨ الحديث ٣٩ / ٢٤٩ .

فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتى. فيقول: إنك لا تــدرى مـــا أحدث بعدك"(٤١٣).

٤٤٠- وفى حديث لقيط وذكر البعث قال: " فستسلكون جســـراً مـــن النار يطأ أحدكم الجمرة يقول: " حِسّ " ألا فتطلعون على حوض الرســول لا يظمأ والله ناهله فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يظهـــره مـــن الطوف والبول والأذى"(٤١٤)رواه عن النبى ﷺ وذكر فى هذا الحديث أن الحـــوض بعـــد الجسر وما تقدم من الأحاديث فى الحوض الذى لم يجد له فيها موضع هـــو الصـــحيح المشهور.

٤٤١-وذكر الترمذى من حديث الحسن عن سمرة قال: قال رســـول الله ﷺ: " إن لكل نبى حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة (٤١٥)وإنى أرجو أن أكون أكثـــرهم واردة ". وهذا يروى عن الحسن عن النبى ﷺ.

٤٤٢- وذكر أبو بكر البزار من حديث ابن عمر قال: قال رسول اللهp: "إن لى حوضاً ما بين بيت المقدس إلى الكعبة أبيض من اللبن فيه عدد الكواكـــب آنيـــة وأنـــا فرطكم على الحوض ولكل نبى حوض وكل نبى يدعو أمته فمنهم من يرد عليه فئام من الناس ومنهم من يرد عليه ما هو دون ذلك ومنهم من يرد عليه العصابة ومنهم من يرد

---

(٤١٣) فى كتاب الصلاة ١ / ٣٠٠ الحديث ٥٣ / ٤٠٠ وأخرجـــه ابـــو داود ٤ / ٢٣٧ والنسائى ٢ / ١٣٣ -١٣٤ .

(٤١٤) مجمع الزوائد ١٠ / ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٤١٥) الترمذى رقم ٢٤٤٣ .

عليه الرجلان والرجل ومنهم من لا يرد عليه أحد فيقول اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت ثلاثاً وذكر الحديث"[٤١٦].

([٤١٦]) انظر هامش حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ص ١٥٢ تعليق الشيخ عبد السلام على قول الرسول ﷺ " حوض مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً. يقال شرب منه أقوام وفوا بعهودهم وقل يزداد من طغوا " وهو يعطى معنى الأحاديث الواردة فى الحوض. قال " وما ورد من تحديده بجهات مختلفة إما بحسب من حضره ﷺ ممن يعرف تلك الجهه فخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفها أو أنه أخبر أولا بالمسافة اليسيرة ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بها كأن الله سبحانه تفضل عليه باتساعه شيئا فشيئا فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة كما أشار اليه النووى رحمه الله تعالى وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام من صفة نبينا ﷺ له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس فيه آنيه مثل عدد نجوم السماء وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمار الجنة" وقال " وظواهر الأحاديث انه بجانب الجنة كما قاله ابن حجر، والواجب اعتقاد ثبوته وجَهْل تقدمه على الصراط أو تأخره عن عنه لا يضر بالاعتقاد . (ينال شربا منه) أى يتعاطى الشرب من هذا الحوض لدفع العطش أو التلذذ أو لتعجيل المسرة. أقوام وفوا لله تعالى بعهدهم وهو الميثاق الذى كان أخذه عليهم فى الإيمان به وباليوم الآخر واتباع دينه وشرائعه وتصديق كتبه ورسله حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم فماتوا على ذلك لم يغيروا ولم يبدلوا وهذا الوصف وإن شمل جميع مؤمنى الأمم السابقة لكنه خلاف ظواهر الأحاديث أنه لا يرده إلا مؤمنوا هذه الأمة لأن كل أمة ترد حوض نبيها وتخصيص حوض نبينا ﷺ بالذكر لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر بخلاف غيره لوروده بالآحاد ، ويزداد أى يطرد عنه فلا يشرب منه من طغوا أى أقوام غيروا وبدلوا عهدهم الذى أخذ الله عليهم وهو الإسلام الذى ألزمهم اتباعه ولم يقبل ممن بلغه دينا غيره كما وردت بذلك الآثار الصحيحة والحسنة البالغ مجموعها مبلغ التواتر

باب ذكر الشفاعة الأولى

التى تكون لفصل القضاء بين الناس

وهى المختصة بنبينا محمدﷺ فلا تكون إلا له ويشركه فيها غيره[٤١٧].

المعنوى وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب فالمرتدون المطرودون ومن أحدث فى الدين مالا يرضاه الله تعالى ومن خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم لأنهم يبدلون بل هم أشد طرداً من غيرهم والظلمة الجائرون والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصى وأهل الزيغ والبدع لكن المبدل بالارتداد مخلد فى النار والمبدل بالمعاصى فى المشيئة والله أعلم" اتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام المالكى على جوهرة التوحيد ص ١٥٢ الطبقة الأخيرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م .

(٤١٧) الشفاعة العظمى والشفاعة العامة هى شفاعتهﷺ لأهل الموقف حتى يقضى الله تعالى بينهم بعد أن يعتذر الرسل أصحاب الشرائع من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين، فقد ورد فى الصحاح أنه حين يشتد الهول على الناس فى الموقف يتوافدون على الأنبياء ويلتمسون شفاعتهم فى تخليصهم من هول الموقف وأن الأنبياء يتراجعون حتى يأتى الناس محمداًﷺ فيشفع لهم بإذن الله. وهذه الشفاعة التى لأهل الموقف خاصة بالرسولﷺ بمقتضى الحديث فلا يشاركه فيها أحد غيره من الأنبياء أو الملائكة. إلا أن البعض قال إن هذا الحديث يدل على شفاعة جميع الأنبياء لأممهم ولكن بعد أن بدأ عليه الصلاة والسلام بالشفاعة وقالوا فى ذلك ، حيث أنه لا يجوز أن يتقاعد الأنبياء على الشفاعة لأتباعهم ، وأن موقفهم هذا يرجع إلى عدم تجاسرهم إلى الاستئذان من الله بالشفاعة لأن الشفاعة تحتاج إذناً، فعلى سبيل المثال قال الكلينوى " فلعل النبى عليه السلام استأذن بشفاعته لأمته وشفاعتهم لأمتهم ، وحينما أذن لهم فى شفاعتهم لأمتهم برجاء النبىﷺفقد كان عليه السلام سببا لدخول الكل الجنة ، ولذا أسند الإخراج والإدخال إلى نفسه بطريق الإسناد " حاشية الكلينوى على شرح جلال الدين الديوانى للعقائد العضويه للايجى جـ٢ ص ٢٧٢. وقد أشار الخلخالى إلى ذلك فقال لذلك

صح القول: " بأن الأنبياء عليهم السلام لم يتقاعدوا عن نفس الشفاعة إنما يتقاعدون من البداية بها فرسولنا عليه الصلاة والسلام بدأ بها " وقال " وهذه هى السيادة المذكورة فى حديث أبى هريرة حيث قال عليه السلام أنا سيد الناس يوم القيامة " فإن الانبياء عليهم السلام لما رجعوا فى البداية تقاعدوا إلى أن يشفع هو عليه السلام لأمته ثم يشفع سائر الأنبياء عليهم السلام لأممهم ففتح باب الشفاعة للأنبياء بشفاعته عليه السلام " حاشية الخلخالى على العقائد العضدية ص ٢٧٢ جـ٣ .

والشفاعة العظمى عامة للأمم كلها كافرها ومؤمنها فالرسولﷺ شمل بشفاعته الكفار لتعجيل فصل القضاء فيخفف عنهم أهوال يوم القيامة، وذلك لأن طول الانتظار عذاب فى حد ذاته . وبذلك يتحقق قولهﷺ " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " .

فقد تحقق قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فى الدنيا والآخرة فالرسولﷺ رحمة فى الدنيا لكونه سببا فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ومن أسباب دخول النار إلى الجنة بدعوتهم للإيمان بالله تعالى والعمل بأوامره والانتهاء عما نهى عنه، كما هو رحمة للعالمين فى الآخرة مؤمنهم وكافرهم بشفاعتهﷺ لأهل الموقف جميعا لتعجيل القضاء.

وهذه الشفاعة التى لأهل الموقف أجمع عليها المسلمون بمختلف فرقهم فلم يجادل فيها المعتزلة أو غيرهم كغيرها من أنواع الشفاعة. قال ابن حزم: "إن الشفاعة لأهل الموقف حق وذلك لأن الخلق فى كونهم فى الموقف هم أيضا فى مقام شفيع فهم أيضا يحتاجون إلى الشفاعة " الفصل فى الملل والنحل جـ٤ ص ٦٥ .

وقال القاضى عياض: " أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة فى الإراحة من كرب الموقف وهى الخاصة بنبينا والشفاعة فى رفع الدرجات وأنكرت ما عداها " فتح البارى جـ١١ ص ٤٢٨ .

٤٤٣- ذكر البخارى من حديث آدم بن على قال سمعت ابن عمر يقول: " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبىﷺ يوم يبعثه الله المقام المحمود[٤١٨]. وقد رواه عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبىﷺ.

---

(٤١٨) - قد اختلف علماء المسلمين فى الشفاعة العظمى أو العامة هل هى المقام المحمود أم غيرها من الشفاعات فذكر ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى قولين فى المقام المحمود أولهما: هو الشفاعة العامة فى فصل القضاء، ثانيهما هو الشفاعة فى اخراج المذنبين من النار، وذكر قولا ثالثا ونسبه إلى الماوردى فى تفسيره وهو إجلاسهﷺ مع الله على عرشه وقد قال بن مجاهد، وجاء من حديث أبى مسعود قولهﷺ " ثم يكسونى ربى حلة فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقاما لا يقوم أحد يغبطنى عليه الأولون والآخرون" " فتح البارى جـ١١ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ كتاب الرقاق رقم ٦٥٦٥ " .

وقد ذكر جلال الدين الديوانى قولا رابعا في المقام المحمود حيث جعله خروج أمته من النار وعدم تخليدهم فيها. ولو كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان . قال: " روى فى الحديث أن الله تعالى يقول له اشفع تشفع وسل تعط وهوﷺ لا يرضى إلا بإخراج من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار". ثم قال " هذه هى الشفاعة الكبرى التى خص بعض العلماء المقام المحمود به " حاشية الكلنبوى على شرح العقائد العضويه للايجى جـ٢ ص ٢٧١ . وقد قال البعض أن الشفاعة بأنواعها المختلفة وعلى إطلاقها هى المقام المحمود ولم يقصر المقام المحمود على واحدة بعينها دون الأخريات. ومن ذلك ما قاله الشيخ عبد السلام المالكى فى اتحاف المريد عن الشفاعة لأهل الموقف قال: " ... فيتعين اعتقاد أنهﷺ وإن كان له شفاعات إلا أن أعظمها شفاعتهﷺ المختصة به للإراحة من طول الموقف وهى أول المقام المحمود . " " أى أن الشفاعة العظمى لأهل الموقف هى أول المقام المحمود وتمامه بحصول جميع أنواع الشفاعة ومنها تلكم الشفاعات التى قصر بعض العلماء المقام المحمود عليها.؟

٤٤٤- وذكر من حديث أبى هريرة قال: " أتى النبىﷺ فرفــع إليــه الــذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: أنا سيد الناس وينفذهم البصر وتــدنو الشــمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: علــيكم بــآدم فيأتون آدم فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقــول آدم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبــوا إلــى نــوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه ؟! فيقول: إن ربى قــد غضــب اليــوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانت لى دعوى دعوتها على قوى نفسى نفسى نفسى. أذهبوا إلى غيرى أذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولــون : يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض أشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟! فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضــب بعــده مثله وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرهن أبو حيان فى الحديث نفسى نفسى نفسى أذهبوا إلى غيرى أذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون : أنت رسول الله فضــلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟! فيقول إن ربــى

وهذا الرأى الأخير فى رأى أولى بالقبول ويؤيد ذلك ما ورد عــن الرســولﷺ عندما سئل عن المقام المحمود قال: "هو الشفاعة " دون تحديد أى أنواع الشفاعة هــى المقام المحمود. جاء فى صحيح البخارى من حديث سعد بــن أبــى وقــاص:" ســئل النبىﷺعلى المقام المحمود فقال هو الشفاعة " فتح البارى جــ١١ ص ٤٢٧ كتاب الرقاق .

قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى أذهبوا إلى غيرى أذهبوا إلى عيسى عليـه السـلام. فيـأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـه وكلمتـه اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟! فيقول عيسى إن ربى قد غضب اليـوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسـى نفسـى نفسـى أذهبوا اليوم إلى غيرى أذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسـول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلـى ربـك ألا ترى إلى مانحن فيه ؟! فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى، فيفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد من قبلى فيقول يا محمد أرفع رأسـك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول متى يا رب أمتى يارب أمتى يارب فيقـول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبـواب الجنـة وهـم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والـذى نفسـى بيـده إنمـا بـين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى"[٤١٩]

باب المساءلة والتقرير والمحاسبة والقصاص

قال الله تبارك وتعالى: (فوربك لنسألنهم أجمعـين عمـا كـانوا يعملـون) (الحجر:٩٢-٩٣) وقال سبحانه: (ووضع الكتاب[٤٢٠] فترى المجرمين مشفقين[٤٢١] ممـا

([٤١٩]) أخرجه البخارى فى الأنبياء جـ٦ ص ٤٢٨ رقـم ٣٣٤٠ ومسـلم فـى الايمان ١ / ١٨٤ ، ١٨٦ الحديث ٣٢٧ / ١٩٤.

([٤٢٠]) أى جنسه وهو صحف الأعمال والوضع إما حسى وهو أن يوضع كتـاب كل انسان فى يده إما فى اليمين أو فى الشمال، وإما عقلى ومعنـاه النشـر والاعتبـار النسفى ص ١٦٥.

فيه ويقولون يا ويلتنا ما هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا[٤٢٢]ولا يظلم ربّكَ أحدا)(الكهف:٤٩).

وقال جل جلاله:(وأشرقت الأرض بنور ربها[٤٢٣]ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون).

([٤٢١]) خائفين مما في الكتاب لأن الخائن خائف خوف العقاب وخوف الافتضـــاح . تفسير النسفي ص ١٦٦ .

([٤٢٢]) أي مثبتا في الصحف أو وجدوا جزاء ما عملوا ظاهراً على صفحات أحوالهم . م ٨ جـ١٥ ص ١٦٧ تفسير النيسابوري .

([٤٢٣]) اشرقت الأرض بنور ربها وذلك حين يبرز الرحمن لفضل القضاء بين خلقــه وأشرقت الأرض أي أضاءت بنور الله حيث يتجلى فما يتضارون في نـــوره إلا كمـــا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه . أنظر تفسير الطبـــري جـــامع البيان جـ١١. ص ٢٢. والنيسابوري جـ١١ص ١٩.

والنور في اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمـــر والنـــار علـــى مـــا يحازيها من الأجرام . ولا شك أنه لا يمكن أن يكون إلها وذلك لأنـــه إمـــا أن يكـــون عرضا أو جسما وكلاهما لا يكون إلها للدليل على أن إله العالم ليس بجسم ولا جسماني ولا زائل ولا منتقل إلى غير ذلك مما يتصف به الحوادث، ولـــذلك أورد النيســـابوري أقوال العلماء في تفسير نور الله تعالى فالأول منها ما عزاه لابن عباس والأكثـــرين أن المضاف محذوف في مثل قوله تعالى :" والله نور السماوات" أي هو ذو نور السماوات والأرض لأنه قال " مثل نوره " ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف إليه كالقول زيد كرم أي ذو كرم، وزيد جود أي ذو جود وذلك للمبالغة. والثاني منها أنـــه تعـــالى منوّر السماوات بالتشديد وعلى القولين يكون المراد بالنور الهداية والحق كما قال بـــه الأكثرون " قال تعالى " يهدي الله لنوره من يشاء شبهه بالنور فـــي ظهـــوره وبيانـــه . انظر تفسير النيسابوري جـ٩ ص ٩٠ – ٩١.

٤٤٥- وذكر قاسم بن أصبغ من حديث سعيد بن عبد الله عن أبى بردة الأسلمى قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه ما عمل فيه[٤٢٤] وعن ماله من أين اكتسبه وفما أنفقه ".ذكره الترمذى أيضاً[٤٢٥].

وقول آخر ذكره الإمام فخر الدين الرازى فى كتاب عجائب القرآن: أن النور أى نور الله هو معرفته بالتوحيد وذلك فى قوله " نوره " وقال إن السبب فى أنه تعالى أضاف المعرفة الى نفسه وجوه: الأول أنه تعالى إنما أضاف المعرفة إلى نفسه قطعا للأطماع عنها، وذلك لأنها جوهرة نفيسة وقيمتها رفيعة وصاحبها غافل والشيطان محتال مكار ، وأجل مقصوده أن يسلب المعرفة من المعارف ويحول بينه وبينها والله تعالى برحمته جعل المعرفة فى حمايته حتى ينقطع طمع إبليس عنها. وتحقيقه أنه لما قال: "ان عبادى ليس لك عليهم سلطان " فلما أضاف العباد إلى نفسه انقطع طمع إبليس عنهم فقال: " فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين " سورة ص ٨٢-٨٣. فهنا لما أضاف الإيمان إلى نفسه بقوله " مثل نوره " لا جرم كان إبليس منقطعا عنه "

الثانى : أن كل ما للعبد فهو للحق، لأنه حصل بتخليقه وإيجاده، فإذا بلغ العبد درجه يشهد فيها هذه الحالة فقد كمل حاله، فعند ذلك قيل له: كل ما له فهو لنا، وكل ما لنا فهو له. والمعرفة التى له فهى لنا، فلا جرم أضافها إلى نفسه فقال: " مثل نوره ".

الثالث: أن تخصيص الشئ بإضافته إلى الله تعالى سبب لتشريفه، كما فى قوله " وطهر بيتى" وقوله: "هذه ناقة الله " وقوله " وأنه لما قام عبد الله " فكذا هنا إضافة المعرفة إلى نفسه تدل على أنها أشرف الخلع والتشريعات. ص ٩١ - ٩٢ عجائب القرآن .

(٤٢٤) قال الماوردى إن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب لأن شرف العلم يثمر على صاحبه وفضله ينمى عند طالبه قال تعالى: " قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون " وروى

عن النبيﷺ أنه قال: " أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أنى عليم أحب كـل علـيم "، وكل العلوم شريفة ولكل علم فضيله والإحاطة بجميعها محال، وإذا لم يكن إلى معرفـة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها والعناية بأولاها وأفضـلها. وأولى العلوم وأفضلها علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون وبجهلـه يضـلون إذ لا يصح عباده جهل فاعلها صفات آدائها، ولا يعلم شروط أجزائها، ولذلك قال الرسولﷺ فضل العلم خير من فضل العبادة " وإنما كان كذلك لأن العلم يبعث على فعـل العبـادة والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة فلزم علم الدين كل مكلف. ولذلك قال النبيﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم ". وفيه تأويلان: أحدهما علم ما لايسـع جهله من العبادات، والثانى جملة العلم إذا لم يقم بطلبه من فيه كفاية وإذا كان علم الدين فقد أوجب الله تعالى فرض بعضه على الأعيان، وفرض جميعه على الكفاية كان أولـى مما يجب فرضه على الأعيان، ولا على الكفاية. قال تعالى: " فلولا نفر من كل فرقـة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قولهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"

وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله دخل المسجد ، فإذا هم بمجلسين: أحدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهـون. فقـال رسـول اللهﷺ:" كـلا المجلسين على خير وأحدهما أحب إلىّ من صاحبه، أما هـؤلاء فيـذكرون الله تعـالى ويسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما المجلـس الآخـر فيتعلمـون الفقـه، ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما، وجلس إلـى أهـل الفقـه" وعـن الرسـولﷺ " الخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين". وعنهﷺ أنه قال "خيار أمتى علماؤها فقهاؤها" وقالﷺ "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" وقال ρ "على بخلفائى قالوا ومن خلفـاؤك؟ قال الذين يحيون سنتى يعلمونها عباد الله . ص ٤٠ – ٤٤ ادب الدنيا والدين.

([٤٢٥]) فى كتاب القيامة ٤ / ٦١٢ الحديث ٢٤١٧ .

٤٤٦- وذكر مسلم من حديث صفوان بن محرز قال: " قال رجل لابن عمـــر: "كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى[٤٢٦]؟ قال: سمعته يقول: يدني المؤمن يوم القيامة من ربه تعالى حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول : هل تعرف؟ فيقــول: رب أعرف. قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صـــحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق[٤٢٧]. هــؤلاء الـــذين كذبوا على الله" [٤٢٨].

([٤٢٦]) النجوى روى أنه يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفته، وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن أنها قد أوبقته . قال الله تعالى له فقد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة . النيسابوري غرائب القرآن ص ١٦ جـ ١٥ مجلد ٨.

([٤٢٧]) قال الله تعالى في سورة هود " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنـــة الله علـــى الظالمين " آية ١٨ .هؤلاء الذين يكذبون على ربهم هـــم الكفـــار والمنـــافقون أولئـــك يعرضون على ربهم فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون. والأشهاد هـــم الملائكـــة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يقول ابن جريـــر شـــهد هـــؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا فيقولون هؤلاء الذين كـــذبوا في الدنيا على ربهم فيقول ألا لعنة الله على الظالمين يقول ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم . تفسير الطبري جـــ١٢ ص ١٣،١٤.

([٤٢٨]) أخرجه البخاري في التفسير جـــ ٨ ص ٣٥٣ رقم ٤٦٨٥. مسلم في كتـــاب التوبه جـــ٤ ص٣١١٠. الحديث رقم ٥٢ / ٢٧٦٨ .

٤٤٧- وذكر مسلم أيضاً من حديث ابن أبى مليكة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "من حوسب يوم القيامة عذب فقلت: أليس قد قال تعالى: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً[٤٢٩]) فقال: ليس ذلك الحساب وإنما ذلك العرض. من نوقش الحساب يوم القيامة عذب"[٤٣٠].

٤٥٠-وفى الخبر المشهور:[٤٣١] أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما أكلا تمراً بسراً ورطباً ثم أكلا خبزاً ولحماً أطعمهما رجل من الأنصار

([٤٢٩]) قال النيسابورى سوف من الكريم إطماع فيمكن أن تكون الفائدة فى إيراده أن يكون المؤمن على ثقه واطمئنان بالوعد ويمكن أن يكون إشارة إلى طول الامتداد بين مواقف ذلك اليوم. غرائب القرآن ١٢جـ٢٩ ص ٥٤.

([٤٣٠]) مسلم فى كتاب الجنة ٤ / ٢٢٠٤ الحديث ٧٩ / ٢٨٧٦ والبخارى فى الرقاق جـ١١ ص ٤٠٧ حديث رقم ٦٥٣٧ .

([٤٣١]) مسلم فى كتاب الأشربه ١٦٠٩/٣ ، ١٦١٠ الحديث ١٤٠ / ٢٠٣٨ . جـ٦ ص ٢٤٤ رقم ٦٤٣ طبعة المكتب الثقافى .

والحديث كما جاء فى مسلم عن أبى هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما، قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى، قال فانطلق فجاءهم بغدق فيه بسر وتمر ورطب. فقال : كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن

وأكلاه على جوع فقال لهما النبىρ: "لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة[٤٣٢] " والحـــديث ذكره مسلم.

٤٥١-وذكر الترمذى من حديث عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: " لما نزلـــت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (الزُمرَ:٣١) قال الزبير: يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا؟ قال نعم: فقال إن الأمر إذا لشديد "[٤٣٣].

ذلك الغدق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول اللهﷺ لأبى بكر وعمـــر: والـــذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لما ترجعـــوا حتى أصابكم هذا النعيم".

الحديث فيه ما كان عليه الصلاة والسلام وأصحابه من التقلل من الدنيا وما ابتلـــوا به من الجوع وضيق العيش فى أوقات، وأن الرسولﷺ لم يزل ينقلب فى اليسار والقلة حتى توفىﷺ فتارة يوسر وتارة ينفد ما عنده لإخراجه فى طاعة الله وجوه البر وايثـــار المحتاجين، وضيافه الطارقين، وتجهيز السرايا وغير ذلك. وهكذا كان خلق صـــاحبيه رضى الله عنهما بل أكثر أصحابه.

(٤٣٢) قال القاضى عياض المراد السؤال عن القيام بحق شكره، وقال النووى أن السؤال هنا سؤال تعدد النعم وإعلام بالامتنان بها وإظهار الكرامة بإســـباغها لا ســـؤال توبيج وتقريع ومحاسبة. صحيح مسلم بشرح النووى ص ٢٤٤ ، ٢٤٨ طبعـــة المكتـــب الثقـــافى جـــ٦.

(٤٣٣) قال تعالى: "إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكـــم يـــوم القيامـــة عنـــد ربكـــم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس فى جهنم مثـــوى للكافر"، قال الطبرى فى الاختصام يقول تعالى لنبيهﷺ إنك يا محمد ميت عن قليل وإن هؤلاء المكذبين من قومك والمؤمنين منهم ميتون ثم إنكم يـــوم القيامـــة عنـــد ربكـــم

٤٥٢- وذكر النسائى من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسـول الله ﷺ: "إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله عز وجل له كل حسنة كان أزلفها ومحيت عنـه كل سيئة كان أزلفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أنْ يتجاوز الله عنها "[٤٣٤].

تختصمون. يقول ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصـمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم ويفصل بين جميعكم بالحق. وقال الطبرى اختلف أهـل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم عنى به اختصام المـؤمنين والكـافرين واختصـام المظلوم والظالم هذا الرأى لابن عباس قال يخاصم الصادق الكاذب والمظلـوم الظـالم والمهتدى الضال والضعيف المستكبر، وقال ابن زيد أهل الاسلام وأهل الكفـر. وقـال البعض الآخر هو اختصام أهل الإسلام، عن ابن عمر قال نزلت علينا هذه الآيـة ومـا ندرى ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذى وعدنا ربنا أن نختصم فيه" ثم إنكـم عند ربكم تختصمون". وعن إبراهيم قال لما نزلت الآية " إنك ميـت .. " قـالوا مـا خصومتنا بيننا ونحن إخوان قال فلما قتل عثمان بن عفان قالوا هذه خصومتنا بيننا، وعن أبى العاليه قال هم أهل القبلة . قال الطبرى وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقـال عنى بذلك يا محمد ستموت وأنكم أيها الناس ستموتون ثم جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم مؤمنكم وكافركم ومحقوكم ومبطلوكم وظالموكم ومظلوموكم حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه، وقال: وإنما قلنا هذا القول أولـى بالصـواب لأن الله عنى بقوله ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون خطاب جميع عباده فلـم يخصـص بذلك منهم بعضا دون بعض فذلك على عمومه على ما عمه الله به، وقد تنزل الآية فى معنى ثم يكون داخلا فى حكمها كل ما كان فى معنى ما نزلت به.

اخرجه الترمذى ٥ / ٣٧٠ . تفسير الطبرى ١١ جـ٢٤ ص ٣٠٢.

([٤٣٤]) أخرجه النسائى ٨/١٠٥-١٠٦والإمام أحمد فى مسنده ١ / ٣١٠ .

٤٥٣- وذكر مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول اللهﷺ قال: " أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار "[٤٣٥].

٤٥٤- وذكر البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللهﷺ: " يخلص المؤمنون من النار فَيُحبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار فيقصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ... الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزلة فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا "[٤٣٦].

٤٥٧-وذكر أبو بكر البزار عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: الظلم ثلاث فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يترك، فأما الظلم الذى لا يغفره الله فالشرك قال الله العظيم"(إن الشرك لظلم عظيم) وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما وبين ربهم وأما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يُدبَر بعضهم من بعض"[٤٣٧].

([٤٣٥]) مسلم فى البر ٤ / ١٩٩٧ الحديث ١٥٩ / ٢٥٨ .

([٤٣٦]) فى الرقاق ٤٠٣/١١ رقم٦٥٣٥ وأخرجه الامام أحمد فى مسنده جـ٣ / ١٣ ، ٧٤

([٤٣٧]) المجمع ١٠ / ٣٥١ ضعيف .

قال ابن تيمية إن ظلم النفس إذا أطلق تناول جميع الذنوب فإنها ظلم العبد نفسه قال تعالى: " ... وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ... " وقال سبحانه " وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم " وقال فى قتل النفس" رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى" وقالت بلقيس: "رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع

٤٥٨- وذكر مسلم من حديث أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: " إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه"[٤٣٨].

سليمان لله رب العالمين". وقال آدم عليه السلام " ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين". ثم قد يقرن ببعض الذنوب كقوله تعالى: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم". وقوله سبحانه: " أو من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً " . وأما لفظ الظلم المطلق فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب قال تعالى: "احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون " . كتاب الايمان ص ٥٣ -٥٤.

وقال محمد نصر قالوا صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالما ويسمى العاصى من المسلمين ظالما فظلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل. قال الله تعالى "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"، وقال "إن الشرك لظلم عظيم" وذكر حديث ابن مسعود المتفق عليه قال لما نزلت "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " شق ذلك على أصحاب النبى وقالوا: أينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ ليس بذلك ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح "ان الشرك لظلم عظيم" إنما هو الشرك. كتاب الايمان ص ٢١٨ ابن تيميه .

([٤٣٨]) فى كتاب الإيمان ١/ ١٧٣ الحديث ٣٠٨ / ١٨٦، والبخارى فى الرقاق جـ١ ص ٤٢٦ رقم ٦٥٧١ .

واعلم أن هـذا اليـوم يصـدق الله تعـالى قولـه: (فلنسـألن الـذين أرسـل إليهم[٤٣٩]ولنسألن المرسلين[٤٤٠]فلنقصّن عليهم بعلم وما كنا غائبين)(فوربـك لنسـألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) [٤٤١] فيبدأو بالأنبياء عليهم السلام فيقول ماذا أجبتم؟ قيل فى تفسيره ما كانوا قد عملوا لكن دهشت عقولهم وعزمت أفهامهم ونسوا من شدة الهـول

---

(٤٣٩) أى تسأل المرسل إليهم عما أجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقـول ماذا أجبتم المرسلين .

(٤٤٠) عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم.
والفائدة فى سؤال المرسل إليهم بعدما أخبر عنهم أنهم اعترفوا بذنوبهم أنهم لما أقـروا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلـم أو التقصـير تقريعـا أو توبيخا، والفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصـير البتـه، وذلـك ليلتحق كل التقصير بالأمة فيتضاعف إكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور بـراءتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف أسباب الخزى والإهانة فى حق الكفـار. انظـر تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابورى جـ٨ ص ٦١.

(٤٤١) وربما كان هناك إشكال بين قوله تعالى " فلتسألن الـذين أرسـل إلـيهم ولتسألن المرسلين" وقوله تعالى "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون" وبين قوله تعالى "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان " قال النيسابورى فى ذلك إنه " بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان أن القوم لعلهم لا يسئلون عن الأعمال لأن الكتب مشتمله عليهـا ولكنهم يسئلون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنهـا أو المراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد وإثبات سؤال التوبيخ والإهانـة فـلا تنـاقض" ص٦١ تفسير غرائب القرآن جـ٨ .

وعظم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا: (لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) ثم يقـوبهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام.

٤٦٢- وروى ابن أبى أنعم عن حيان بن أبى جبلة قال: "أول من يدعى يـوم القيامة إسرافيل فيقول الله جل ثناؤه: هل بلّغْتَ عهدى؟ فيقول: نعم يـا رب قـد بلغتـه جبريل. فيدعى جبريل فيقال: هل بلغك إسرافيل عهدى؟ فيقـول: نعـم فيخلـى عـن إسرافيل. ويقول لجبريل: ما صنعت بعهدى؟ فيقول بلغته الرسل. فتدعى الرسل فيقول: هل بلغكم جبريل عهدى؟ فيقولون: نعم. فيخلى عن جبريل. ويقال للرسل: هـل بلغـتم عهدى؟ فيقولون: نعم. قد بلغناه الأمم، فتدعى الأمم فيقال لهم: هل بلغـتكم الرسـل عهدى ؟ فمكذب ومصدق فيقول الرسل: لنا عليهم شهداء. فيقول تبارك وتعالى: من؟ فيقولون: أمة محمد.فيقول لهم أتشهدون أن الرسل بلغت الأمم؟ فيقولـون: نعـم فتقول الأمم: يارب كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟ فيقول الله عز وجل: كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم ؟ فيقولون: ياربنا أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت علينا كتاباً وقصصت علينا فيه أن قد بلغوا، قال: فـذلك قولـه تبـارك وتعـالى:(وكـذلك جعلنـاكم أمـةً وَسَطا[٤٤٢]لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)[٤٤٣](البقـرة: ١٤٣) والوسط العدل.

([٤٤٢]) الوسط من كل شئ أعدله وشئ وسط أى بين الجيد والردئ وأنه وسط أى عدول، وذلك أن العدل متوسط فى الأخلاق بين طرفى الافراط والتفريط ولهـذا ذكـره الله تعالى فى معرض المدح والامتنان . وقيل الوسط الخيار لأنه يستعمل فى الجمادات ويؤيده قوله تعالى فى موضع آخر " كنتم خير أمة أخرجت للناس"، وإنما أطلق الوسـط على الخيار لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والعيب والأوساط محمية محفوظة . وقيل المراد بالوسط ههنا أنهم متوسطون فى الدين بين المفرط والمفرط والغالى والمقصر فى شأن الأنبياء لا كالنصارى حيث جعلوا النبىﷺ ابنا وإلها ولا كاليهود حيث قتلوا الأنبياء

وبدلوا الكتب، ولأن الوسط فى الأصل إسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

([٤٤٣]) قال النيسابورى قال الأكثرون أن هذه الشهادة فى الآخرة إما بأن يكون شهداء للأنبياء على أممهم الذين يكذبونهم. وقد ذكر النيسابورى ما رواه ابن أبى نعيم عن حيان من حجد الناس تبليغ الأنبياء، قال روى أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء يوم القيامة فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد فيشهدون فتقول الأمم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم. النيسابورى جـ٢ ص ١٢.

قال النيسابورى والحكمة فى ذلك تمييز أمة محمدﷺ فى الفضل عن سائر الأمم حيث يبادرون إلى تصديق الله تعالى وتصديق الأنبياء والإيمان بهم جميعا، فهم بالنسبة إلى غيرهم كالعدل بالنسبة إلى الفاسق ولذلك تقبل شهادتهم على الأمم ولا تقبل شهادة الأمم عليهم .

قال ابن زيد الأشهاد أربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون" ويكون الرسول عليكم شهيدا " وأمة محمدﷺ خاصة "لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الأشهاد والجوارح " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم" وقيل إن هذه الشهادة فى الدنيا، وذلك أن الشاهد فى عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة، فكل من عرف حال شخص فله أن يشهد عليه فإن الشهادة خير قاطع وشهادة الأمة يجوز أن تكون موقوفة على الآخرة لأن عدالتهم فى الدنيا ثابته بدليل جعلناكم بلفظ الماضى فلا أقل من حصولها فى الحال، ثم رتب كونهم شهداء على عدالتهم فيجب أن يكونوا فى الدنيا، ثم لا يبعد أن يحصل مع ذلك لهم الشهادة فى الآخرة فيجرى الواقع منهم فى الدنيا مجرى التحمل، لأنهم اذا بيتوا

ثم يدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ثم ينادى كل إنسان باسمه واحداً واحداً ويسألون واحداً واحداً وتعرض أعمالهم على رب العزة جل جلاله قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها.

٤٦٣- فى بعض الخبر" أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا تكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق " فما ظنك بهذا المقام وبهذا السؤال وبهذا النكال والوبال؟! ما ظنك بنفسك وقد جئ بجهنم على الوصف الذى تقدم وقد دنت من الخلائق وشهقت وزفرت وثارت وفارت وانتهضت خزانها والموكلون بها والمعدون لتعذيب أهلها مسارعون إلى أخذ من أمروا بأخذه ساحبون له على بطنه وجر وجهه سامعون مطيعون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

باب ذكر أول ما يحكم فيه يوم القيامة
وأول من يدعى للخصومة

٤٦٥- ذكر مسلم بن الحجاج من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول اللهﷺ: " أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء ".

الحق عرفوا عنده من القابل ومن الرار ثم يشهدون بذلك يوم القيامة كما أن الشاهد على العقود يعرف ما الذى تم وما الذى لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم، أو يكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيداً يزكيكم ويعلم بعدالتكم وإنما قدمت صنة الشهادة. ص١٤جـ٢ تفسير النيسابورى تفسير غرائب القرآن .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: " أنا أول من يجثو[٤٤٤] يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة يريد قصته فى مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش" وقال أبو ذر وفيهم نزلت: "هذان خصمان[٤٤٥] اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت

(٤٤٤) يجثو: يقعد على ركبتيه مخاصماً.
وفى حديث الصور الطويل عن أبى هريرة رفعه أول ما يقضى بين الناس فى الدماء ويأتى كل قتيل قد حمل رأسه فيقول "يا رب سل هذا فيما قتلنى " وعن ابن عباس رفعه " يأتى المقتول معلقا رأسه بإحدى يديه ملبيا قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه حتى يقفان بين يدى الله. قال الإمام الحافظ فى الحديث عظم أمر الدم فإن البداءة انما تكون بالأهم والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة وإعدام النية الإنسانية غاية فى ذلك. وقال ولا يعارض هذا الحديث حديث أبى هريرة رفعه " أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثانى فيما يتعلق بعبادة الخالق. وقد جمع النسائى بينهما فقال: " أول ما يحاسب العبد عليه صلاته وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء " جـ١١ ص ٣٩

(٤٤٥) اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله تعالى فقال بعضهم أهل الإيمان والفريق الآخر عبدة الأوثان من مشركى قريش الذين تبارزوا يوم بدر وهذا القول منسوب لأبى ذر قال إن هذه الآية نزلت فى الذين بارزوا يوم بدر وهم حمزة وعلى وعبيده بن الحرث وعتبه وشيبه ابنى ربيعه والوليد بن عتبه، قال أبو ذر وقال على إنى لأول أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدى الله تبارك وتعالى. وقال البعض الآخر أن الخصمين هما أهل الإيمان وأهل الكتاب وعزى هذا القول لابن عباس قال هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم ، وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمدﷺ وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً وكان ذلك

خصومتهم فى ربهم. وقال آخرون بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أى ملة كانوا وهذا الرأى قال به الحسين قال هم الكافرون والمؤمنون اختصموا فى ربهم .

وقال ابن جريج خصومتهم التى اختصموا فى ربهم خصومتهم فى الـــدنيا مـــن أهل كل دين يرون أنهم أولى بالله من غيرهم. وعن مجاهـــد قـــال المـــؤمن والكـــافر اختصامهما فى البعث، وقال آخرون الخصمان اللذان ذكرهما الله فى هذه الآية الجنـــة والنار قالت النار خلقنى الله لعقوبته وقالت الجنة خلقنى الله لرحمته فقد قص الله عليـــك من خيرهما ما تسمع. وأختار الطبرى من هذه الأقوال قول من قال عنـــى بالخصـــمين جميع الكفار من أى أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وقال الدليل على ذلك أن الله تعالى ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه أحدهما أهل طاعة له بالسجود له والآخـــر أهـــل معصية له قد حق عليه العذاب الم تر أن الله يسجد له من فىالسموات ومن فى الأرض والشمس والقمر ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ثم أتبـــع ذلـــك صـــفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار وقال الله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار فكـــان بينـــا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما. وقال الطبرى فإن قال قائل فأنت قائل فيما روى عـــن أبى ذر فى قوله، إن ذلك نزل فى الذين بارزوا يوم بدر قبل ذلك إن شاء الله كما روى عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة فى كل ما كان نظيـــر ذلـــك السبب وهذه من تلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شـــرك وكفـــر بـــالله والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له فكل كافر فى حكم فريق الشرك منهما فى أنه لأهـــل الإيمان خصم وكذلك كل مؤمن فى حكم فريق الإيمان منهما فى أنه لأهل الشرك خصم فتأويل الكلام هذان خصمان اختصموا فى دين ربهم واختصامهم فى ذلك معـــاداه كـــل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينـــه . انظـــر تفســـير الطبرىجـــ١٧ ص ١٠٠مجلد ٩. انظر النيسابورى جـــ١٧ ص ٧٦ مجلد ٩.

لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطـونهم والجلـود. ولهم مَقامعُ من حديد. كُلَّما أرادوا أن يخرجوا منها من غَمّ أُعيدوا فيها وذوقوا عـذابَ الحريق)(الحج:١٩-٢٢).

وذلك أن على بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بـن الحـارث بـن عبـد المطلب رضى الله عنهم بارزوا يوم بدر من كفار قريش ثلاثة شيبة بن ربيعة عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فبارز على الوليد فقتله وبارز حمزة شيبة فقتله، واختلفت بـين عبيدة وبين عتبة ضربتان أثبت كل واحد منها صاحبه، فكر حمزة وعلى علـى عتبـة فأتما عليه، واحتملا عبيدة فمات من ضربته فى طريق المدينة فى رجوع النبىﷺ مـن غزوته تلك، ونزلت فيهم هذه الآية والخبر بها مشهور صحيح[٤٤٦].

باب فى الموازين والكتب[٤٤٧].

٤٦٧-ذكر الترمزى من حديث أنس بن مالك قال: "سألت النبىﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال: أطلبنى أول مـا

---

(٤٤٦) أخرجه البخارى فى المغازى حـ ٧ رقم ٣٩٦٥ وفى التفسير حـ٨ رقم ٤٧٤٤.

(٤٤٧) الكتب: هى الصحف التى تسجل فيها الملائكة أعمال العباد فى الـدنيا وتعـرض عليهم فى الآخرة، فتنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته أو تنشـر بـين أصحابها، عن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العـرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال . انظر تفسير النيسـابورى ص ٣٤ جـ٣٠ مجلد ١٢.

تطلبني على الصراط[448] قال: قلت فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال: فـاطلبني عنـد الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان[449]؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطى هذه الثلاث المواطن"[450]. قال حديث حسن غريب.

([448]) الصراط هو جسر ممدود على متن جهنم يـرده الأولـون والآخـرون ، وورد أنه أدق من الشعرة وتكون سرعة الناس عليه على قدر أعمالهم. وهو حق وجائز فلا معنى للتشكك في وجوده أو التعرض لتأويله على خلاف الظـاهر، فمـن أمسـك السماوات والأرض أن تزولا قادر أن يسير العباد معتمدين على شئ وعلى غير شـئ. انظر حواش على شرح للسنوسي الحامدى ص ٤٩٧ .

وفى السنة يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوز" وقال محمد الأمير في حاشيته واتفقت الكلمة عليه في الجملة وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب وطوله ثلاثه آلاف سنه ألف صعود وألف هبوط وألف استواء وجبريـل فـي أوله وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلـوه وعن علمهم ماذا عملوا به وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت بـه. ص ١٤٩ حاشيه محمد الأمير .

واختلفوا في الصراط فقال قائلون هو الطريق إلى الجنة أو إلى النار ووصـفوه فقالوا هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، ينجي الله عليه من يشاء. وقال قائلون هـو الطريق وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة ، ولـو كـان كـذلك لاستحال المشى عليه.شرح المواقف الفصل ٤/ ٦٥ . ٨ /١ ٣٣.اصول الدين ٢٤٥.

([449]) الميزان حق ورد به القرآن والسنة وهو بعمود وكفتـين عنـد أهـل السـنة والموزون فيه صحف الأعمال أو مثالات يخلقها الله تعالى ويزنها الله جل وعلا علـى قدر أجور الأعمال وما يتعلق بها من ثوابها وعقابها، وأنكر المعتزلة ذلك وأولوا الوزن على اعتبار الحسنات، وقالوا وزن كل شئ بما يليق به. وقال ابن المعتمر منهم يجـوز

ولا نقطع به سمعا، ولا يخفى بطلان القولين، وقال الحبائى يخلق الله تعالى جواهر على أعداد الأعمال الصالحة وضدها. قيل وما ذكره غير بعيد إلا أنه ورد أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال توزن الصحف، وهل الوزن خاص بالمؤمنين أو عام لهم وللكافرين، ويكون معى قوله تعالى – فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا – أى نافعا فيه تردد. ص ٤٩٨ حاشىعلى شرح الكبرى للسنوسى الحامدى .

قال النيسابورى فى كيفية الميزان قولان: **الأول** ما جاء فى الخبر أنه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن بها أعمال العباد خيرها وشرها وكيف توزن فيه وجهان أحدهما أن المؤمن تتصور أعماله بصورة حسنة وأعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس، **وثانيهما** أن الوزن يعود إلى الصحف التى تكون فيها أعمال العباد. وعن عبد الله بن سلام ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش إحدى كفتى الميزان على الجنة والأخرى على جهنم ولو وضعت السماوات والأرض فى احداهما لوسعتهن وجبريل أخذ بعموده ناظر إلى لسانه، وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ "يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وعلى آله عبده ورسوله فيوضع فى الآخرة فترجح. وذكر النيسابورى قول القاضى فى ذلك فقال: قال القاضى يجب أن يحمل هذا " قول الرسول السابق " على أنه يأتى بالشهادتين بحقهما من العبادات. وإلا كان إغراء على المعصية ولكن قول القاضى هذا رد بأنه خلاف الظاهر وبأنه لا يبعد أن يكون ثواب كلمة الشهادة أوفى وأوفر من سائر الأعمال لأن معرفة الله تعالى أشرف العقائد، وذكر رواية الواحدى فى البسيط فقال: وروى الواحدى فى البسيط أنه إذا خف حسنات المؤمن أخرج رسول الله من حجزته بطاقه كالأنمله فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات

فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وخلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك وهذه صلواتك التى كنت تصليها على قد وافتك أحوج ما تكون إليها.

والقول الثانى فى كيفية الميزان هو قول مجاهد والضحاك والأعمش وكثير من المتأخرين أن المراد من الميزان العدل لأن العدل فى الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازاً عن العدل. واستدلوا على ذلك بأن أعمال العباد أعراض وأنها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها . وقد اعترض أصحاب هذا الرأى على القول بأن الموزون هو صحائف الأعمال أو صور مخلوقه على حسب مقادير الأعمال فقالوا: المكلف يوم القيامة إما أن يكون مقراً بأنه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علمه بأنه عدل وصواب وإما أن لا يكون مقراً فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حجية الرجحان. وقد أجاب أصحاب الرأى الأول على هذا الاعتراض بأن جميع المكلفين يعترفون يوم القيامة أنه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لأهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر. ذكر النيسابورى أيضا اختلاف العلماء فى كيفية الرجحان قال فقال بعضهم يظهر هناك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيآت وقال آخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة. وذكر اختلافهم فى الموازين فقال: واختلف أيضا فى الموازين فقيل أنها جمع موزون، وأراد الأعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم أنها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان إلى مكة على الأفراس والبغال، وقال الأكثرون لا يمتنع إثبات ميزان له لسان وكفتان ، فكذلك لا يمتنع إثبات موازين بهذه الصفة فالموجب لترك الظاهر والمصير إلى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة، وأيضا لا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر. انظر تفسير النيسابورى غرائب القرآن ص ٦٢ جـ٨ مجلد ٥ بهامش تفسير الطبرى .

(٤٥٠) الترمذى رقم ٢٤٣٣ .

٤٦٨- وذكر الترمذى أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شئ؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله عز وجل شئ"[٤٥١].

٤٦٩- وذكر أبو بكر البزار من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : " ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن يخف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ".

٤٧٠- وروى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال: يعرض[٤٥٢] الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاريض،وأما الثالث فتطاير الكتب

([٤٥١]) الترمذى رقم ٢٦٣٩ والإمام أحمد فى سنده ٢٢٢/٢٥ والحاكم فى المستدرك ١/ ٦. وأبو داود والبيهقى. وعن أبى سعيد الخدرى عن الرسول ﷺ: "ما من عبد يقول أربع مرات: اللهم إنى أشهدك وكفى بك شهيداً وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنى أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، إلا كتب الله له صكاً لعتق من النار" الدارمى والترمذى . انظر عجائب القرآن ص ٥٩ للامام فخر الدين الرازى .

([٤٥٢]) ينادى منادى من قبل العرش أين فلان؟ أين فلان؟ فلا يسمع أحد ذل الصوت إلا وتضطرب فرائضه، قال: فيقول الله عز وجل لذلك الشخص: أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض، فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش

يميناً وشمالاً " ذكره أبو بكر البزار وقال الترمذى " جدال ومعاذير " رواه من حديث الحسن عن أبى هريرة[٤٥٣].

٤٧٢-وذكر الترمزى من حديث أبى هريرة عن النبىﷺ فى قوله عز وجل: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)[٤٥٤]. [الإسراء: ٧١] قال: " يدعى أحدهم فيعطى كتابه

ويوقف ذلك الشخص بين يدى الله عز وجل، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره فيستره عن المخلوقين، ثم يقول له: عبدى أما علمت أنى كنت أشهد عملك فى دار الدنيا ؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى، عبدى أماسمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى، أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى؟ فيقول بلى يا رب، فيقول الله تعالى: يا عبدى عصيتنى؟ فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله تعالى: عبدى فما ظنك بى؟ فيقول: يا رب أن تعفو عنى، فيقول الله تعالى، عبدى تحققت أنى أعفوعنك، فيقول: يا رب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها على: قال: فيقول اللهعز وجل: قد عفوت عنك، وغفرت لك، وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك، فما كانفيه من حسنه فقد قبلتها وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم . الكبائر الامام الحافظ شمس الدين الذهبى . ص١٨٠ .

([٤٥٣]) الترمذى رقم ٢٤٢٥ فى القيامة وقال: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة ولا أبى موسى.أيضا

([٤٥٤]) الإمام فى اللغة كل ما يؤتم به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين والباء فى قوله بإمامهم للإلصاق كما تقول أدعوك باسمك .

عن أبى هريرة مرفوعاً أنه ينادى يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى يا أتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر. وروى الضحاك وابن زيد أنه ينادى فى القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الإنجيل . وقال الحسن يدعون

بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل رَجُلٍ منكم مثل هذا. قال: وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم

فيلبس تاجاً فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا. قال: فيأتيهم فيقولون: اللهم اخزه. فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا" (٤٥٥) وقد تقدم تقرير المؤمن على ذنوبه وتعريفه بها.

باب ذكر ما يتكلم من الإنس أول ما جاء فى شهادة جوارح ابن آدم عليه يوم القيامة

٤٧٣- ذكر أبو بكر بن أبى شيبة من حديث معاوية بن حيدة القشيرى أن النبىﷺ قال: "تجيئون يوم القيامة وعلى أفواهكم الكلام فأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه" (٤٥٦).

بكتابهم الذى فيه أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وأبى العاليه أيضا . تفسير النيسابورى جـ١٥ ص ٦٦ مجلد ٨.

(٤٥٥) أخرجه الترمزي رقم ٣١٣٦

(٤٥٦) أخرجه الإمام احمد ٣/٥ و النسائى ٣/٥.

و شهادة الجوارح لا إشكال فيها عند الأشاعرة لأنهم يقولون البينة ليست شرطا في الحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما و قدرة و كلاماً، و قالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف إلى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى و يجوز أن يبنى الله هذه الجوارح على خلاف ما هي عليه و يلجئها إلى أن

٤٧٤- وذكر مسلم من حديث أبى هريرة قال: قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة ؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة؟ قالوا: لا. قال: فو الذى نفسى بيده لا تضارُون فى رؤية ربكم إلا كما تضارُون فى رؤية أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأزرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول: لا.فيقول: وإنى أنساك كما نسيتنى[٤٥٧]. ثم يلقى الثانى فيقول: أىْ قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأزرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أى رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقى؟ قال فيقول: لا يارب فيقول: فإنى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك. فيقول: يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقال ها هنا[٤٥٨]إذاً قال ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد علىّ فيختم على فيه ويقال: يا فخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق[٤٥٩]وذلك الذى يَسْخط الله عليه " [٤٦٠].

تشهد على الإنسان و تخبر عن أعماله. تفسير النيسابورى ص ٦٩ : ص ١٨ مجلد ٩ و قال تعالى "يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" النور : ٢٤.

([٤٥٧]) فإنى أنساك كما نسيتني أي أمنعك الرحمة كما امتنعت عن طاعتي

([٤٥٨]) "ها هنا" معناه قف هنا حتى تشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكراً.
صحيح مسلم بشرح النووي

([٤٥٩]) المنافق: ويطلق عليه المرائي

و الرياء من الكبائر كما ذكر الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي. فال تعالى مخبرا عن المنافقين " يراعون الناس و لا يذكرون الله إلا قليلا " وقال تعالى " فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون والذين هم يراعون ويمنعون الماعون" وفال تعالى "يا أيها الذبن

٤٧٥- وذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قـــال: "كنـــا عنـــد رســـول اللهﷺ فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك قال قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال يقول: بلى قال فيقول: فإنى لا أجيرُ علـــى نفسى إلا شاهداً منى. قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شـــهيداً وبـــالكرام الكـــاتبين شهوداً. قال فيختم على فيه ويقال لأركانه[٤٦١]: انطقى. قال فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل"[٤٦٢].

٤٧٦- وذكر أبو بكر بن أبى شيبة من مسنده عن أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: "إنى لأعلم آخر رجل من أمتى يجوز الصراط رجل يَتَلَـــوَّى علـــى الصراط كالغلام حين يضربه أبوه تزل يَدُهُ مرة فتصيبها النار وتزل رجله مرة أخـــرى فتصيبها النار. قال فتقول له الملائكة: أرأيت أن بعثك الله من مقامك هذا فمشيت ســـوياً أتخبرها بكل عمل عملته؟ قال فيقول أى وعزته لا أكتمنكم من عملى شيئاً قال فيقولون

آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس" وقالﷺ من سمَّع سمَّع الله به من يرائي يرائي به" قال الخطابى معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس و يسمعوه جوزى على ذلك بأنه يشـــهره و يفضـــحه، فيبدوا عليه ما كان يبطنه و يسره من ذلك. و قالﷺ "اليسير من الرياء شرك" وقالﷺ "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فقيل: وما هو يا رسول الله قال: الرياء يقـــول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " الكبائر ص١١٠-١١١ الإمام للحافظ شمس الدين الذهبي.

(٤٦٠) مسلم في كتاب الزهد ص ٨ : ص ٣٢٨ رقم ١٥ المكتب الثقافي النزر ٢٤
(٤٦١) لأركانه أي لجوارحه.
(٤٦٢) مسلم قي الزهد ص ٣٣٠ حديث رقم ١٦

له قُم فامش سوياً قال فيقوم فيمشى حتى يجاوز الصراط فيقولن له أخبرنا بأعمالك التى عملت فيقول فى نفسه إن أخبرتهم بما عملت ردونى إلى مكانى قال فيقول لا وعزته ما أذنبت ذنباً قط قال فيقولون: إن عليك بينة قال فيلتفت يميناً وشمالاً هل يرى من الآدميين ممن كان يشهد فى الدنيا فلا يرى أحداً فيقول: هاتوا بُرْهَانَكُم فيختم الله على فيه وتنطق يداه ورجلاه وفخذاه بعمله فيقول: أى وعزتك لقد عملتها وإن عندى لعَظَائمُ المُوبِقَات(٤٦٣)قال فيقول الله. أذهب فقد غفرتها لك".

باب ذكر الصراط ودرجات الناس

فى المرور عليه

٤٧٧-ذكر أبو بكر بن أبى شيبة من حديث عائشة قالت: " قلت يا رسول الله أتذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ قال أما عند ثلاث فلا؛ عند الكتاب وعند الميزان وعند الصراط " (٤٦٤).

٤٧٨-وذكر مسلم من حديث أبى هريرة وحذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: "يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول لهم: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك أذهبو إلى ابنى إبراهيم خليل الله؟ قال فيقول إبراهيم عليه السلام: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذى كلمه الله تكليماً. فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك أذهبوا إلى

---

(٤٦٣)-الموبقات: المهلكات

(٤٦٤) أخرجه أبو داود ٤/٢٤٠ / ٢٤١ ، الإمام أحمد ٦ / ١١٠

عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه. فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك. قال: فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق. قال قلت : بأبى أنت وأمى أى شئ كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق يمر ويرجع فى طرفة عين؟! ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً " (٤٦٥) .

٤٧٩- وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ وذكر الصراط ومرور الناس عليه قال: فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم " (٤٦٦) .

٤٨٠-وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ وذكر حديث الشفاعة قال: "ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم

---

(٤٦٥) أخرجه مسلم في الإيمان جـ ١ ص ١٨٧ رقم ٣٢٩ ، ١٩٥

(٤٦٦) أنظر صفحة مسلم الإيمان جـ ص ١٦٧ رقم ٣٠٢ / ١٨٣

قدرعظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمـــنهم المـــؤمن بقـــى بعملـــه[٤٦٧] ومـــنهم المجازى[٤٦٨]حتى ينجى"[٤٦٩] وذكر الحديث.

قد سمعت رحمك الله بهذا الطريق الحرج والمسلك الشاق والقنطرة المضـــطربة التى لا تثبت فيها الأقدام ولا تجوزها الأوهام إلا قدم ثبتت فى التقوى ووهم جارى فـــى الملكوت الأعلى ، لعلك تظن أن هذا الطريق من طرق الدنيا الصعبة وسبلها الوعرة بل هو أحد من السيف أدق من الشعرة ، فما ظنك بك وقد حملت عليه وكلفت المرور بـــه ومهواه جهنم تحتك وقد ملأ زفيرها أذنك ومنظرها الهائل قلبك فرعبك وأردت المرور فلم تقدر والنهوض فلم تستطع واضطرب بك اضطراباً والتهب ذاك السعير تحتك ولـــم تجد إلى النجاة سبيلاً ولا إلى الخلاص باباً، ولا نهض بك إلا سعيك الـــذى ســـعيت ولا جرى بك إلا عملك الذى عملت ومركوبك الذى فى الـــدنيا ركبـــت ، فلتختـــر الآن أى المراكب تركبها وأى الأبواب تدخلها وأى الطرق تأخذ فيها وتسلكها ، والله المســـتعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(٤٦٧) حديث أبي هريرة في البخاري منهم الموبق بعمله ومنهم المخـــردل ثـــم ينجو و ما ورد هنا ماذكر في رواية الأصيلي. أنظر في الباري ص١١، ص ٤٥٤

(٤٦٨) هكذا في رواية شعيب، وأما حـــديث أبـــي هريـــرة فـــي فـــتح البـــارى ومنهم المخردل: وخراديل أى هو قطع، و يحتمل أن يكون من المخـــردل أى جعلـــت أعضاءه كالخردل، وقيل معناه أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجـــا، وقيـــل المخـــردل المصروع و رجحه ابن التين فقال هو أنسب لسياق الخبر. فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤

(٤٦٩) البخاري في الرقاق ص ١١ ، ص ٤٤٤ – ٤٤٥ رقم ٦٥٧٣

٤٩١-وخطب علـى رضـى الله عنـه فقـال: "ألا وإن الـدنيا قـد أدبـرت بوداع[٤٧٠]والآخرة قد أقبلت وأننت باطلاع وإن المضمار[٤٧١]اليوم والسباق غداً ألا وإن السبقة[٤٧٢]الجنة والغاية النار[٤٧٣]ألا وإنكم فى أيام مهل[٤٧٤]من ورائه أجل يحثه عجـل فمن عمل فى أيام مهله قبل حضور أجله سره أمله وساءه عمله ".

([٤٧٠]) آذنت أعلمت و ايذانها بالوداع إنما هو بما أودع في طبيعتها من التقلـب والتحول، فأول نظرة من العاقل إليها يحصل له اليقين بغنائها و انقضائها ولـيس وراء الدنيا إلا الآخرة فإن كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة. والاطلاع من اطلع فـلان علينا آتانا فجأة.

([٤٧١]) المضمار الموضع و الزمن الذي تضمر فيه الخيل و تضـمر الخيـل أن تربط و يكثر علفها و ماؤها حتى تسمن ثم يقلل علفها و ماؤها و تجرى فـي الميـدان حتى تهزل. و قد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني و اطلاقه على الأول لأنـه مقدمة للثاني، و إلا فحقيقة التضمير إحداث الضمور و هو الهزال و خفة اللحم و إنمـا يفعل ذلك بالخيل لتخفف فى الجرى يوم السباق كما اننا نعمل اليوم في الدنيا للحصـول على السعادة في الأخرى.

([٤٧٢]) السبقة بالتحريك الغاية التي يحب السابق أن يصل إليها و بالفتح المرة من السبق.قال الشيخ محمد عبده أن الشريف رواها في كلام الإمـام بالتحريـك أو الفـتح وفسرها بالغاية المحبوبة أو المره من السبق وهو مطلوب لهـذا روى الضـم بصـيغة رواية أخرى. ومن معاني السبقة بالتحريك الرهن الذي يوضع مـن المتـراهنين فـي السباق أي الجعل الذي يأخذه السابق، إلا أن الشريف فسرها بما تقدم.

([٤٧٣])هنا حذف من الخطبة وهو بعد النار " أفلا تائب من خطيئته قبل منيتـه ، إلا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ألا وإنكم.

٤٩٢- وقال على رضى الله عنه: "ألا إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا وإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ألا وإن أشد ما أخاف عليكم خصلتان طول الأمل واتباع الهوى أما طول الأمل فإنه ينسى الآخرة واتباع الهوى فإنه يصد عن سبيل الله " (٤٧٥).

٤٩٥-وقال الحسن: "كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ الخطيئة أمله خلف ظهره والموت نصب عينيه فلما أصاب الخطيئة تحول أمله فصار بين عينيه وصار أجله خلف ظهره " (٤٧٦).

---

(٤٧٤) من هنا اختلاف في الألفاظ عما جاء في نص الخطبة كما هي واردة في كتاب نهج البلاغة ونص الخطبة هو "أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع و أن الآخرة قد اشرفت باطلاع ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق والسبقة الجنة، والغاية النار أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟ ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله و لم يضره أجله. ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله و ضره أجله، ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها و لا كالنار نام هاربها. ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم به الهدى يجرى به الضلال إلى الردى ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل تزودوا من الدنيا ما تحرزون أنفسكم به غدا.

انظر نهج البلاغة للإمام على ابن أبي طالب بشرح الشيخ محمد عبده. لشرح الخطبة والفاظها.

(٤٧٥) انظر نهج البلاغة ص١٢٤شرح الشيخ محمد عبده.

(٤٧٦) الإحياء٤ /٤٣٩ **خطيئة آدم** : أسكن الله سبحانه و تعالى آدم عليه السلام الجنة وأطلق له و لزوجه الأكل من ثمار الجنة على وجه التوسعة البالغة و لم يحرم

عليهما إلا شجرة واحدة قال تعالى "وقلنا يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منهـا رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين". لم يحدد القرآن الكـريم وليس في السنة الصحيحة إشارة إلي الشجرة المحرمة و لا علم لنا أى شجرة على وجه التحديد. فوسوس الشيطان لآدم بالأكل من الشجرة انتقاما من آدم الـذي كـان سـبب خروجه من الجنة فنسى آدم عهد الله و نسى عداوة الشيطان وأكل من الشجرة المنهـي عنها، و كان نتيجة لذلك أن بدت لهما " آدم و زوجه" سوآتهما. وقد ذكرت غالبية كتب التفاسير ان زوج آدم هي السبب في عصيان آدم إلا أن آيات القرآن الكريم فـي ذلـك على عكس ما فقد بين القرآن أن آدم و زوجه قد آكلا معا و لم يبرئ القرآن أحدهما و يدين الآخر فالاثنان منهيان عن الأكل من الشجرة و قد عصيا معا. وأما قوله "وعصى آدم ربه فغوى" من نسب المعصية لآدم هو من باب الإشارة إلي الأصل و هذا لا يعفي الفرع التابع له و لأن النهي أساسا موجها إلى آدم عليه السلام و لأن التكريم كـان لـه فاللوم يكون أولى به ولأنه القوام على زوجه و كان الأولى به أن يرشدها فإذا هو وقـع في المعصية نفسه.

و قد اختلف العلماء في تفسير ما وقع من آدم من مخالفة أمر الله تعالى لـه بعـدم الأكل من الشجرة هل هي معصية أم لا و القول في ذلك يطـول شـرحه ولكنـي اختصر فيما تركن إليه النفس في حقيقة معصية آدم، فالحقيقة إن ما صدر من آدم عليه السلام هو معصية على الحقيقة كما أن النهي عن الأكل من الشجرة نهـي للتحـريم ، فمخالفة ما حرم فعله معصية، إلا أنه يمكن القول هنا أن ما وقع من آدم مـن معصـية ليس على سبيل العمد فقد خدع بطبيعته البشرية التي حركها الشيطان بوساوسه، و أنها ليست على سبيل العمد لقوله تعالى "و لقد عهدنا إلي آدم من قبل فنسى ولـم نجـد لـه عزماً" أى أن آدم عليه السلام نسى تحذير الله له من عداوة الشيطان له و ترك أمر الله تعالى و لم يكن عنده العزم و التصميم و الإصرار على المعصية بل خـدع بوسـاوس الشيطان و الله أعلم.

٤٩٦–وقال الحسن: " ما أطال عبد الأمل إلا نسى العمل ".

٤٩٧– ويروى عن أبى الدرداء: "أنه قام على درج مسجد دمشق فقال : يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح إن من قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً هذه عاد قد ملأت البلاد أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً فمن يشترى اليوم منى تركتهم بدرهمين ؟! ".

٤٩٨– وقيل لبعض الزهاد بالبصرة: "ألك حاجة ببغداد؟ فقال: ما أحب أن أبسط أملى حتى تمضى إلى بغداد وتجئ ".

٤٩٩– وقال بعض الحكماء: "الأمل كالسراب غَرَّ مَنْ رآه وخاب من رجاه ".

٥٠١– وذكر مسلم بن الحجاج عن أسامة بن زيد قال: " كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها فى الموت. فقال

أما عن خروج آدم من الجنة سواء كان ذلك عقابا له على المعصية أم لا فما يستريح له النفس أن خروجه من الجنة كان أمرا محتوما منذ بداية خلقه لقوله تعالى " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " و ليس معنى ذلك أن آدم عليه السلام لم يتلق العقاب على معصيته فقد كان العقاب على معصيته هو نزع اللباس عنهما ورؤيتهما ما يسؤهما رؤيته و ذلك كان هدف الشيطان بمقتضى قوله تعالى: "فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما. فلما ذاقا من الشجرة بدت لهما سوآتهما " وعلى ذلك وبفقدهم لباس الجنة يكونان قد أخرجا مما كانا ينعمان به من لباس الجنة " و لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع انظر كتابى آدم عليه السلام في اليهودية و الاسلام دراسة مقارنة.

للرسول: ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمًّى[٤٧٧] فمرها فلتصبر ولتحتسب.

فعاد الرسول فقال: قد أقسمت لتأتينها. قال فقام النبىﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ ابن جبل وانطلقت معهم فُرفَع إليه الصبىُ ونفسه تَقَعْقَعَ كأنه فى شَنَّة[٤٧٨] ففاضت عيناه فقال له سعد ما هذا يا رسول الله[٤٧٩]قال هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " [٤٨٠].

([٤٧٧]) قال النووى معناه الحث على الصبر و التسليم لقضاء الله تعالى و تقديره أن هذا الذي أخذ منكم كان له لا لكم فلم يأخذ إلا ما هو له، فينبغي ألا تجزعوا كما لا يجزع من استردت منه وديعه أو عارية ". " و له ما أعطى " معناه أو ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه بل هو سبحانه و تعالى يفعل فيه ما يشاء. " و أجل مسمى " معناه اصبروا و لا تجزعوا فإن كل من يأت قد انقضى المسمى فمجال تقدمه أو تأخره عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا و احتسبوا ما نزل بكم.

([٤٧٨]) الشنه القربة البالية و معناه له صوت و حشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية .

([٤٧٩]) معناه أن سعد ظن أن جميع أنواع البكاء حرام و أن دمع العين حرام و ظن أن النبيﷺ الله عليه وسلم نسى فذكره فأعلمه النبيﷺ ان مجرد البكاء دمع بعين ليس بحرام و لا مكروه بل هو رحمة و فضيلة ، و انما المحرم النواح و الندب و البكاء المقرون بهما أو بأحدهما " كتاب الجنائز " البكاء على الميت " جـ ٣ صحح مسلم بشرح النووى ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

([٤٨٠]) مسلم في الجنائز " البكاء على الميت " صحيح مسلم بشرح النووى المكتب الثاني جـ ٣ ص ٢٥٢ – ٢٥٣ و أخرجه البخاري في المرضى جـ ١٠ حديث رقم ٥٦٥٥ .

٥٠٢-وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : "ولد لى الليلة غلام فسميته إبراهيم" فذكر الحديث وفيه: " فدعا النبى ﷺ بالصبى فضمه إليه وقال مـــا شـــاء الله أن يقول" قال أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدى رسول الله ﷺ فقال : " تـــدمع العـــين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بـــك لمحزونـــون " (٤٨١) قوله يكيد بنفسه يعنى يموت.

وعن جابر بن عبد الله: " قتل أبى يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عـــن وجهـــه وأبكى وجعل الناس ينهونى ورسول الله ﷺ لا ينهانى وجعلت عمتى تبكيه فقال رســـول الله ﷺ تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه " (٤٨٢) وقد ذكر مسلم(٤٨٣) أيضاً هذا الحديث.

---

(٤٨١) البخارى في الجنائزجـــ٣ ص١٧٢حديث رقم ١٣٠٣ ونص الحديث :عن انس بن مالك رضى الله عنه قال: "دخلنا مع رسول الله ﷺ على ابي سيف القين وكـــان ظئراً لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعـــد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الـــرحمن بـــن عوف رضى الله عنه" و أنليه يا رسول الله ؟ فقال ﷺ: يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقـــك يا إبراهيم لمحزونون ". و معى ظئراً أي مرضعا و أطلق عليه ذلك لأنـــه كـــان زوج المرضعة. فقيل ظئراً للتي ترضع غير ولدها و أطلق ذلك على زوجها لأنه يشـــاركها في تربيته غالبا.

(٤٨٢) البخارى فى المغازى جـــ ٧ رقم ٤٠٨٠

(٤٨٣) كتاب فضائل الصحابة ٤ / ١٩١٨ رقم ١٣٠ / ٢٤٧١

٥٠٥- ويروى عن عائشة رضى الله عنها قالت: " لما مات عثمان بن مظعون كشف النبىﷺ الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكا بكاء طويلاً فلما رفع على السرير قال: طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها " وبكاء النبى ﷺ على عثمان بن مظعون مشهور ذكره أبو داود وغيره وذكره الحاكم فى الكنى وقال فيه: "فبكى القوم لما بكى النبىﷺ فقال النبىﷺ: "إنما هذا من الشيطان استغفر الله أذهب أبا السائب فقد خرجت منها ولم تَلَبَّسْ منها بشئ ".

وقوله عليه السلام: "إنما هذا من الشيطان" والله يعلم أن بكاء القوم كثر حتى صار إلى حد مكروه عندهﷺ وقد يكره الاستكثار من الشئ المباح حتى يقال لصاحبه فلعلك هذا ما هو بصواب وهذا من الشيطان لأن الشئ المكروه يقال فيه هذا من الشيطان.

وقد ذكر عن النبىﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح فقال: " ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه" وإنما نام هذا عن صلاة الليل ونوم الليل كله مباح لكن لما أكثر هذا منه وضيع حظه من صلاة الليل ضرب له المثل بوقوع البول المفسد الضار فى أذنه كقول الراجز: "بال سهيل فى الفضيخ ففسد لسهيل بول إنما هو نجم يطلع فيفسد الفضيخ بعده، كذا فسره الخطابى قال: وإن أراد عليه السلام عفن البول فلا ينكر أن كانت له هذه الصفة ، وهذا الحديث ذكره مسلم والبخارى والنسائى وغيرهم فى صلاة الليل.

وكذلك أيضاً المنظر الكريه يقال فيه هذا شيطان وكأنه وجه شيطان ، وكذا فسر قوله تعالى : (إنها شجرة(٤٨٤) تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس

---

(٤٨٤) هي شجرة الزقوم والزقوم كما قال الكلبي التمر والزبد، وقال الواحدى: ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم منها الزبد والتمر، و قال ابن دريد ظاهر لفظ القرآن يدل على انها شجرة كريهة الطعم نتنه الرائحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات كل من تناولها ولها عظم من تناولها، ثم انه تعالى يكره أهل النار على تناول بعض أجزائها. مفاتيح الغيب حـ ٢٥ ص ٢٣١ مجلد ١٣

الشياطين(٤٨٥)) الصَّافات:٦٤،٦٥ قيل: شبهها برؤوس الشياطين لكراهية هـذا الاسـم عندهم ولأنهم ينسبون كل شئ مكروه إلى الشيطان.وأما أن يكـون البكـاء كلـه مـن الشيطان فلا. فقد قالﷺ: " إن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله. قالت: وهَلَ، إنما قـال رسول اللهﷺ إنه يعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن ".

٥٠٦- وعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة رحمها الله وذكر لهـا أن عبد الله بن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحى فقالت عائشة: "يغفر الله لأبـى عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ، إنما مَرَّ رسول اللهﷺ على يهوديـة يبكى عليها أهلها فقال : إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب فى قبرها قـد صـح حـديث عمرو ابن عمر رضى الله عنهما فى تعذيب الميت ببكاء الحى من حديثهما ومن حديث المغيرة بن شعبة.

٥٠٨ – ذكر ابن أبى خيثمة من حديث قيلة بنت مخرمة التميمية وذكرت عنـد رسول اللهﷺ ولداً لها مات ثم بكت فقال رسول اللهﷺ: أيغلـب أحيـدكم أن يصـاحب صويحبهُ فى الدنيا معروفاً فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع ثـم قـال: اللَّهم أنسنى ما أمضيت وأعنى على ما أبقيت فوالذى نفس محمد بيده أن أحيدكم ليبكـى فيستعيذ إليه صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم" وذكره الطبرانى أيضاً وهو حديث معروف وإسناده لا بأس به ومساق ذلك أنه لم يكن من اختيار ابنها لأن ابنها صـاحب

---

(٤٨٥) قال الزمخشرى الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شـجرة الزقـوم مـن حملها إما استعارة لفظية أو معنوية و تشبيه الطلع برؤوس الشياطين هـو مـن بـاب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل، كأنه قيل إن أقبح الأشياء فـى الـوهم هـو رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبيه في قبح النظر و تشويه الصورة. و الذي يؤكـد هـذا أن العقلاء إذا رأوا شيئا شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا إنه شـيطان وإذا رأوا شيئا حسن الصورة والسيرة ، قالوا إنه ملك. " مفاتيح الغيب جـ ٢٥ ، ص ٢٣١ مجلد ١٣

من أصحاب رسول الله ﷺ ولا كان هذا البكاء المعروف في الجاهلية الذى كـان ينهـى عنه.

٥٠٩- وذكر البخارى من حديث النعمان بن بشير قال أغمى على عبد الله ابن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى: واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لى أأنت كذلك؟ قال: فلما مات لم تبك عليه[٤٨٦] " وهذا أيضاً لم يكن مـن سنة عبد الله بن رواحة ولا من اختياره ولا مما رضى به. بل منصبه فى الـدين أجـل وأرفع من أن يأمر بهذا أو يوصى به.

وتعذيب الميت ببكاء الحى إذا قالت النائحة واعضداه واناصراه واكاسياه جبـذ الميت وقيل له: أنت عضدها؟ أنت كاسبها؟ ذكره أبو عمر بن عبد البر فى الاستذكار.

وأيضاً فإن البكاء عند العرب يكون البكاء المعروف، ويكون النياحة وقد يكون معها الصياح وضرب الخدود وشق الجيوب ولا أعلم خلافا أن هذا كله حرام وقـد ورد الوعيد على هذا كله.

٥١٠-ذكره مسلم أبن الحجاج رحمه الله من حديث أبى بردة بن أبى موسـى قال: " وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة مـن أهلـه فصـاحت

(٤٨٦) فتح البارى بشرح البخاري في المغازى ص ٧ ص ٥١٦ رقم الحـديث ٤٢٦٧، ٤٢٦٨

امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال: أنا برئ ممن برئ منه رسول اللهﷺ فإن رسول اللهﷺ برئ من الصالقة[٤٨٧] والحالقة والشاقة[٤٨٨].

٥١١- وفى لفظ آخر عن عبد الرحمن بن يزيد وأبى بردة قالا: "أغمى على أبى موسى وأقبلت امرأته أم عبد الله تصيح برنه قالا: ثم أفاق فقال: ألمَ تعلمى وكان يحدثها أن رسول اللهﷺ قال: أنا برئ ممن حلق وسلق وحرق"[٤٨٩] الصالقة هى التى ترفع صوتها بالعويل عند المصيبة والحالقة هى التى تحلق شعرها والشاقة هى التى تشق ثوبها كل ذلك عند المصيبة.

٥١٤- وعن أبى مالك الأشعرى أن النبىﷺ قال: "أربع فى أمتى لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال[٤٩٠] من قطران ودرعٌ من

---

(٤٨٧) الصالقة: أي التي ترفع صوتها بالبكاء. ويقال فيه بالسين بدل الصاد ومنه قوله تعالى: " سلقوكم بألسنة حداد " وعن أبن الأعرابي: الصلق ضرب الوجه حكاه المحكم والأول أشهر.

(٤٨٨) الشاقة التي تشق ثوبها، و لفظ أبي صخرة عند مسلم" انا برئ عمن حلق وسلق وخرق"أى حلق شعره وسلق صوته-أى رفعه- و خرق ثوبه. انظر فتح البارى ص١٦٥ – ١٦٦. البخارى في الجنائز " فتح البارى " ج ٣ ص ١٦٥حديث رقم ١٢٩٦و مسلم في كتاب الإيمان ١ / ١٠٠ الحديث ١٦٧ /١٠٤

(٤٨٩) صحيح مسلم ١/ ١٠٠ رقم ١٦٧ / ١٠٤

(٤٩٠) سربال بن قطرن: لأنها كانت تلبس الثياب السود في المأتم

جَرَب[491]" وأما البكاء من غير نياحة وقد قال عمر بن الخطاب: "دعهن يبكين على أبى سليمان ما لم يَكُنْ نَقْعٌ أَوْ لَقْلَقَةٌ والنقع ارتفاع الصوت واللقلقة تتابع ذلك.

٥١٧-وقال أبو بكر الكنانى: كان رجل يحاسب نفسه فحسب يوماً سنَّه فوجدها ستين سنه فحسب أيامها فوجدها أحداً وعشرين ألف يوماً وخمس مائة يوم فصرخ صرخة خر مغشياً عليه فلما أفاق قال: يا ويلاه أنا آتى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب وخمس مائة ذنب؟ يقول: هذا لو كان ذنب واحد لكل يوم فكيف بذنوب لا تحصى؟! ثم قال: آه علىّ عمرت دنياى، وخربت أخراى، وعصيت مولاى ثم لا اشتهى النقلة من العمران إلى الخراب، بلا عمل ولا ثواب ثم شهق شهقه عظيمة فحركوه فإذا هو ميت .

ولا تستنكر هذه الإباحة بعد النهى فقد بايع عليه السلام نسوة من الأنصار وأخذ عليهن ألا يَنُحن فيها أحد عليهن فقالت امرأة: " إلا آل فلان فإنهن اسعدننى فى الجاهلية فلابُدَّ لى من أن أُسْعدهم. فقال رسول الله ﷺ إلا آل فلان ، فذهبت ثم رجعت فبايعت " ولم تكن هذه المرأة أول من بايع من النسوة بل قد كان بايع غيرها قبلها وشرط عليهن ترك النياحة.

٥٢٩- وروى أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر " أن رسول الله ص لما دخل فى غزوة أحد سمع نساء الأنصار يبكين على أزواجهن فقال لكن حمزة لا بواكى له فبلغ ذلك نساء الأنصار فجئن فبكين عليه فقام رسول الله ﷺ لما سمع أصواتهن

([491]) يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطى بدنها تغطية الدرع وهو القميص لأنها كانت تخرج بكلماتها المحرقة قلوب ذوى المصيبات. انظر شرح النووي لصحيح مسلم ص ٢٦٣ المكتب الثقافي الحديث أخرجه مسلم فى الجنائز " تحريم النياحة".
أخرجه مسلم في الجنائز ٢/ ٦٤٤ رقم ٢٩ / ٩٣٤

فقال: يا ويحهن لم يزلن يبكين بعدُ مُنْذُ اللَّيْلة مُرْهُنَّ فليرجعن إلى منازلهن فــلا يبكــين على هالك بعد اليوم " أخرجه أبو بكر البزار فى مسنده.

وأما نعى الميت والإعلام بموته إذا قصد به إجتماع الناس للصلاة لما يسأله من دعائهم له واستغفارهم ورغبتهم إلى الله تعالى وسؤالهم ولما ينالون أيضاً مــن ثــواب الصلاة عليه فمنه مفروض وجائز ومندوب إليه وقد نعى النبىﷺ النجاشى للناس فــى اليوم الذى مات فيه وقال استغفروا لأخيكم وخرج بالناس إلى المصــلى فصــف بهــم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات(٤٩٢).

وكان موت النجاشى ببلد بعيد من مدينة النبىﷺ وذكر موت النجاشى مسلم بن الحجاج وغيره من حديث جابر(٤٩٣) وعمران بن حصين(٤٩٤)وقد نعى النبى عليه السلام للناس زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة نعــاهم قبــل أن يجــئ خبرهم(٤٩٥).

٥٣٠- ويروى عن الأصمعى قال: " حجت امرأة من الأعراب ومعها ابن لهــا فأصيبت به فلما دفن قامت على قبره وهى موجعة فقالت: يا بنــى والله لقــد غــذوتك رضيعاً وفقدتك سريعاً، وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشــك وأتمتــع فيهــا

---

(٤٩٢) البخاري في الجنائز جـ ٣ ص ١١٦ رقم ١٢٤٥ باب الرجل ينعى إلــى أهــل الميت بنفسه و في مناقب الانصار جـ ٧ ص ١٩١ رقم ٣٨٧٧ باب موت النجاشي.

(٤٩٣) البخارى فى الجنائز حــ٣ ص ٢٠٢ رقم ١٣٣٤ باب التكبير على الجنازة أربعاً

(٤٩٤) أخرجه مسلم في الجنائز ٢ ص ٦٥٧ ، ٦٥٨ رقم ٦٧ / ٩٥٣

(٤٩٥) البخاري في فضائل الصحابة جـ ٧ ص ١٠٠ رقم ٣٧٥٧

بالنظر إلى وجهك، ثم قالت: اللهم منك العدل ومن خلقك الجور، اللهم وهبتنى قرة عين فلم تمتعنى به كثيراً بل سلبتنيه وشيكاً، ثم أمرتنى بالصبر ووعدتنى عليه الأجر فصدَّقتُ وعدك ورضيت قضاءك، اللهم ارحم غربته واستر عورته يوم تكشف العورات وتظهر السوآت، فيرحم الله من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى. فلما أرادت الخروج إلى أهلها وقفت على قبره وقالت: أى بُنى إنى قد تزودت لسفرى، فياليت شعرى ما زادك لسفرك ويوم معادك، اللهم إنى أسألك الرضى به برضائى عنه، ثم قالت: استودعك من استودعنيك جنيناً فى الأحشاء... عليك غصة التكلان ثم قالت : وأثكل الوالدات ما أقل أنسهن وكثرة وحشتهن ثم صلت عند قبره ركعات وانصرفت ".

فهكذا كان قولهم وحالهم عند الجنائز ومشاهدة الأموات وفقد الأبناء، وأما الآن وكما قال أبو حامد: " فلا تكاد ترى جماعة تحضر ميتا إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون لا يتكلمون إلا فى ميراثه وما ترك لورثته، ولا يتفكر إخوانه إلا فى الحيلة التى بها صار إليه ذلك المال الذى ترك ، ولا يتفكر أحد منهم إلا من شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حلَّت جنازته، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قساوة فى القلوب لكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله واليوم الآخر والأهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو أو نغفل ونشتغل بما لا ينفع نسأل الله اليقظة من هذه الرقدة برحمته لا رب سواه.

باب فى الثناء الحسن على الميت والثناء السوء

٥٣١- عن مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك قال " مر بجنازة فأثنى عليها خير فقال نبى اللهﷺ: وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول اللهﷺ: من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن

أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض أنتم شهداء الله فـــى الأرض أنتم شهداء الله فى الأرض[٤٩٦].

٥٣٢- وفى بعض طرق البخارى: "فقيل يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهـــذا وجبت قال شهادة القوم المؤمنون شهداء الله فى الأرض"

٥٣٣-وفى بعض طرق البخارى أيضاً: عن عمر رضى الله عنه قال النبى ﷺ: " من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة قلنا : واثنان؟ قـــال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد[٤٩٧] " وهذا الحديث مخصوص والله أعلم والـــذى قبلـــه يعطى العموم وأن من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير كانت له الجنة

([٤٩٦]) مسلم في كتاب الجنائز ج٢ ص٦٥٥-٦٥٦ رقم ٩٤٩/٩٤٩/٦٠
وأخرجه البخاري في الجنائز جـــ٣ ص ٢٢٨ رقم ١٣٦٧ باب ثناء النـــاس علـــى الميت قالوا في الثناء عليه خيراً" كان يجب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويســـعى فيها" ولقد كان عفيفاً مسلماً" والذي اثنوا عليه شراً ضد ذلك. فتح الباري جـــ٣

([٤٩٧]) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز فتح الباري جـــ٣ رقم ١٣٦٨ وفي كتـــاب الشهادات جـــ ٥ ص ٢٥٢ رقم ٢٦٤٣ ونص الحديث في كتاب الجنائز باب تعديل كم يجوز: عن أبي الأسود قال "أتيت المدينة وقد وقع بها مرض وهم يموتون موتا ذريعاً، فجلست إلى عمر رضي الله عنه، فمرت جنازة فأثنى خيراً. فقال عمر: وجبت، ثم مـــر بأخرى فأثنى خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مر بالثالثة فأثنى شراً، فقال: وجبت. فقلـــت وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي صلى: أيما مسلم شهد له أربعـــة بخير أدخله الله الجنة. قلنا وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قلنا واثنان؟ قال: واثنان ، ثم لم نســـأله عن الواحد" فتح الباري

والله أعلم.وغير مُستنكَر إذا أحب الله عبداً أن يلقى على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفى قلوبهم المحبة له. قال الله تبارك وتعالى:(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرَّحمن وُدًّا[٤٩٨])[مريم: ٩٦].

([٤٩٨]) للمفسرين في قوله تعالى "ود" قولان أوردهما الرازي في تفسيره الأول منها: وهو قول الجمهور أن الله تعالى سيحدث لهم في القلوب مودة يزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتسب الناس بها مـودات القلـوب مـن قرابـة وصداقة أو اصطناع معروف أو غير لك، وإنما هـو اختـراع منـه تعـالى وابتـداء تخصيصاً لأوليائه بهذه الكرامة كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانهم، وهذا الود إما أن يكون في الدنيا أو يكون يوم القيامة. عن النبـي ص حي هذه الآية (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل قد أحببت فلاناً فأحبوه فينادي جبريل عليه السلام بذلك في السماء والأرض وإذا أبغض عبداً أعلن ذلك". وعن كعب قال: مكتوب في التوراة والإنجيل لا محبة لأحد في الأرض حتى يكون ابتداؤها مـن الله تعـالى،الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض، وتصديق ذلك فـي القـرآن قولـه تعالى (سيجعل لهم الرحمن وداً).

والود والمحبة المقصودة في الآية هي محبة عند الملائكة والأنبياء لما روي عنـه عليه السلام أنه حكى عن ربه عز وجل أنه قال: (إذا ذكرني عبدي المؤمن في نفسـه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أطيب منه وأفضل" فلا يقـال إذن أن المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين.
والقول الثاني: هو اختيار أبى مسلم (سيجعل لهم الرحمن ودا) أي يهب لهم ما يحبـون من الود والمحبة سواء يقال أتيت فلانا محبتهم، وجعل لهم ما يحبون وجعلت لـه وده، ومن كلامهم يود لو كان كذا، وودت أن لو كان كذا أي أحببـت ،ومعنـاه سـيعطيهم الرحمن ودهم أي محبوبهم فى الجنة . وقال الرازى إن القول الأول أولى لأنـه حمـل المحبة على المحبوب فجاز ولأن ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآيـة

٥٣٥-ذكر قاسم بن أصبغ قال أحمد بن زهير قال محمد بن يزيد الرفاعى قال: " مات عمر بن قيس الملائى بناحية فارس فأجتمع لجنازته من الخلق ما لا يحصى فلما دفن نظروا فلم يروا أحداً قال الرفاعى "سمعت هذا ممن لا أحصى كثرة " وكان سفيان الثورى يتبرك بالنظر إلى عمر بن قيس ابن مسلم هذا.

٥٣٦-ولما مات أحمد بن حنبل رضى الله عنه صلى عليه من المسلمين مـــا لا يحصى فأمر المتوكل أن يُمسَح موضعُ الصلاة عليه من الأرض فوجد موقــف ألفـــى ألف وثلاثمائة ألف أو نحوها، ولما انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلون عليه من الخلق ما لا يحصى.

ويروى أنه أسلم فى ذلك اليوم من أهل الذمة اليهود والنصارى نحو ثلاثين ألفاً لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته، ولما رأوا من العجب فى ذلك اليوم.

أضاف إلى الفكرة فى الموت الفكرة فيما بعد الموت وفى ما يجازى بـــه مـــن أقواله وأفعاله وفى أى متجر فاته وأى علق نفيس من العمر ضيعه هنالك تطيش الألباب الألسن وتنبذ الدنيا يا ـــــ وتطرح بجميع ما فيها.

وفسرها بذلك فكان ذلك أولى .أما أن الود جاء فى صيغة المستقبل فقال تعالى: (سيجعل لهم الرحمن ودا)قال الرازى إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بـــين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوى الإسلام ،وإما أن يكون ذلك يوم القيامه يحبـــبهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم. فأقول أن قول الرسولﷺ فى هذه الآيه على أنه فى الدنيا والله أعلم أنظر مفاتيح الغيب ج٢٠ ص٥١٥-٥١٦ مجلد١٠

٥٣٧-يروى أن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل كان ذا بنين فكان الولد منهم إذا بلغ مبلغ الرجال، وعقل ما يعقله الرجال لبس الشعر ولحق بالعبّاد برؤوس الجبال، وسلك بطون الاودية يعبد الله عز وجل فلم يزل كذلك حتى ولد له مولود فشب إلى أن ولد له فجمع رجاله وخاصته وكبراء دولته وقال لهم: قد علمتم ما كان من أمر بنى وأنه ليس منهم واحد بقى معى ولا ألتفت إلى وأنه لا يصلح حالكم ولا يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدى أخاف إن لم يكن ذلك أن تهلكوا بهلاكى فخذوا ولدى هذا فربوه وقوموا بأمره فإذا شب وعقل فزينوا له الدنيا وعظموا قدرها عنده ثم أمر فبنى له قصراً فرسخاً فى فرسخ وجعلوا عنده من كل زينة حسنة، وأكثر له من الخواص ووكل به رجالاً من خواص أصحابه ووجوه دولته، وأمرهم إذا فهم وعقل أن لا يُخرَج من ذلك القصر وأن لا يُذكَر عنده الموت ولا يمر ميت فى موضع يكون فيه مخافة أن يعرف الموت أو يرى ميتاً فيسأل عنه فيفسر له فتتكدر عليه لذته وتتكرر الحكاية ويسلك مسلك إخوته قبله ويحذو على حذوهم فكانوا لا يذكرون عنده موتاً ولا يسمعونه حديث ميت ولا يطلعونه عليه ولا يذكر عنده إلا الدنيا وزخرفها والشغف بها، والإقبال عليها وتعظيم آبائه الملوك، وترغيبه فى الاقتداء بهم ، والمشى على طريقتهم ، فلما شب الغلام وعقل ما يعقله الناس فمشى ذات يوم فى القصر وأخذ ينظر فى أرجائه وقد أحدق به خاصته والموكلون به ينظرون إليه. فقال لهم: ما وراء هذا السور؟ وما خلف هذا الحائط ؟ فقالوا له: لا شئ إلا ما ترى وأنكروا وجود العالم والبلاد الكثيرة، والجم الغفير من الناس وكل ذلك. فقال: أحسب خلف هذا القصر وجوداً وعالماً آخر أخرجونى حتى أنظر وأرى، فأبوا حتى يشاوروا أباه فأتوا الملك وأخبروه بأنه يريد أن يخرج ويرى الناس وظنوا أنه يحكمهم. فقال : أخرجوه فإنا نريد ويأبى الله إلا ما يريد فأول من وقع عليه بصره من الناس شيخ كبير قد هرم ولعابه يسيل على صدره وحاجباه على عينه من الكبر فقال ما هذا قالوا: هذا شيخ كبير قال: وما شيخ كبير؟ قال كان شاباً فعمّر وعاش حتى أصابه الهرم. قال: وما الهرم؟ قالوا: الكبر، وطول العمر يعيش إلى أن تقل قوته ويعجزه الهرم حتى لا يقدر أن يمسك لعابه فى فيه مع علل أخر تعتريه. قال: ويصيبكم هذا أو هو شئ يصيب قوماً دون قوم؟ قالوا: بل يصيب كل من

طال عمره. قال ويصيبنى أنا مع ما أنا فيه من الملذات وبلوغ الشهوات؟ قالوا ويصيبك أنت إن طالت بك حياة فكل من عمّر آخره هذا ثم رجع إلى قصره وقد تكدر عليه بعض نعيمه وتنغص عليه بعض ما كان فيه فعالجوه بكل لهو وكل باطل حتى استخرجوا من قلبه ما وقع فيه من أمر الهرم والكبر فأقام عاماً ثم أمرهم أن يخرجوه فأبوا عليه وخافوا من أبيه ثم إنه عزم عليهم فأخرجوه، فنظر إلى الناس فإذا هو برجل مبتلى بالجنون أو غيره من الداء فقال: ما هذا ومم يأتى؟ قالوا: فساد فى المزاج وتحريك فى العقل قال: هذا وحده أصابه أم كلكم خائف أن يصيبه هذا الداء قالوا: بل كلنا خائف من هذا الداء ومن غيره الداء. قال : وأنا فيما أنا فيه من سلطانى أخاف ؟ قالوا وأنت قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمان قال فأصابه من الغم أكثر مما أصابه فى المرة الأولى فرجع ورجعوا ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب وأصناف الملاذ حتى أخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه أو كادوا، فأقام كذلك حولا ثم قال أخرجونى فأخرجوه فنظر فإذا برجل ميت يُحمل قال ما هذا قالوا: ميت قال وما ميت؟ قالوا: رجل مثلنا نزل به قضاء إلهى وحادث سماوى فأطفأ شرارته وأحمر حرارته ورده حجراً من الحجارة، وجماداً من الجمادات. فقال : علىَّ به حتى أراه فجاؤوه به فكشف عنه فقال: كلموه. فقالوا: إنه لا يتكلم. فقال: أجلسوه. فقالوا: إنه لا يجلس فجعل ينظر إليه ويتفكر فيه ثم قال: وهذا وحده خُص بهذا الحادث أو أنتم كلكم ينزل بكم مثل ما نزل بهذا؟ قالوا: كلنا فيه سواء وكلنا ينزل هذا الحادث. قال: وأنا؟ قالوا وأنت قال ولا يدفع عنى أبى؟ قالوا: لا يدفع عنك ولا يدفع عن نفسه. فقال: إن نعيماً يصير آخره إلى هذا لجدير أن يتكدر وإن قلباً يخطر به ذكر هذا لحقيق أن يتفطر. قال وما تصنعون به؟ قالوا: نحفر له حفرة فى الأرض ونرد عليه التراب إلى يوم النشور والعرض. قال: وما يوم النشور والعرض؟ قالوا له: هو يوم يبعث الله فيه الأموات وتظهر فيه المخبآت ويكون ويكون. قال: ولا بد منه؟ قالوا: لا بد منه. فقال: وهذه أشد، فعمل الكلام فى نفسه عمله، وأخذ الكلام من قلبه مأخذه فتغير وجهه وضعف جسمه، وشحب لونه، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحات وتلك البطالات. فأخبر أبوه بخبره ووصف له حديثه فقال أو قد فعلها؟ قالوا: نعم فأداره أبوه بكل شئ فلم ينفع فيه شئ وهون عليه الأمر فلم يهن

وسلاه فلم يسلُ. فقال له أبوه: لا جرم والله لأدعنك تلحق بإخوتك فبعث إليه ثيابه من المسوح فلبسها وأخرج من جوف الليل، فتعلق بالجبال ولحق بإخوته يتعبد معهم وكان يقول في مناجاته اللهم إنني إن أسلك أمراً ليس التي قد سبقت به المقادير لوددت أني كنت الطير في الهواء أو السمك في الماء أول لم أك شيئاً مذكوراً مخافة الحساب.

٥٣٨- ويروى أن أعرابياً يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً فنزل الأعرابي يدفع به ويتفكر ويقول مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ هذه أعضاؤك كاملة سالمة. ما شأنك ؟ ما الذي كان يحملك ؟ ما الذي كان يحييك ثم صرعك ؟ ما الذي عن الحركة منعك. ثم تركه وانصرف متفكراً متعجباً من أمره.

واعلم رحمك الله أن الميت وإن كان لا يتكلم فقد يُسمعه الله تعالى كلاماً منه ويريه عليه صورة حياته وبشارة له بصلاته عليه ودفنه وإياه واشتغاله به.

٥٤٠-وحدثني الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى القرشي قال لما مات أبي غسّله المقرئ أبو عمرو الحسن بن عطية فقال لي أبو عمرو : ولما كشفت الثوب عن وجهه لأغسله ضحك في وجهي ولا أشك في ذلك ولا أرتاب. وإذا جاز الخبر الأول جاز هذا أيضاً، فأبو القاسم وأبو الحسن صادقان عدلان ، من أهل المعرفة والذكاء.

٥٤١- وذكر وليد بن عثمان وكان من الصالحين قدم علينا أشبيلية رجل أسود فأقام في المسجد الذي كنت فيه ثم انتقل عنه لعلة أصابته فأقام في فرن يرقد على الحطب ويُتصدّق عليه، ثم إنه مات فنقلته إلى داري لأغسله فكشفت عنه الثوب لأغسله، فبينما أنا أغلسه إذ رأيت وجهه قد أبيض بياضاً شديداً وصار مثل القمر ليلة البدر حسناً وعم البياض وجهه وعنقه خاصة دون سائر جسده فراعني ما رأيت، وأرعدتُ وأصابني دَهَشٌ عظيم فرددت الرداء على وجهه وخرجت فأنذرت جماعة من أصحابي وجئت بهم معي وأعلمتهم قصته ، فلما كشفوا الرداء عن وجهه راعهم حسنة وجماله وابيضاضه وسائر جسده أسود كما كان، وتسامع الناس به فما كدنا

نبلغ قبره حتى الليل من كثره الزحام على نعشه وكثرة من حضر جنارته رحمه الله ذكر هذه القصة ابن عتمان فى كتاب التهجد، وذكرها غيره أيضاً.

باب ما يقال عند حضور الميت
وما جاء في البكاء علية

٥٤٤- وعنها قالت:[٤٩٩] "دخل رسول اللهﷺ علـــى أبـــى ســـلمة وقـــد شـــق بصره[٥٠٠] فأغمضه[٥٠١]ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر[٥٠٢] . ففج ابن من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال: "اللهم أغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى الغابرين[٥٠٣] واغفـــر لنا وله يا أرحم الراحمين وأفسح له فى قبره ونور له فيه ". أبو سلمة هذا كان زوج أم سلمة.

٥٤٥- وعن أم سلمة قالت: " لما مات أبو سلمة قلـــت: غريـــب وفـــى أرض غربة[٥٠٤] لأبكينه بكاء يتحدث عنه فكنت قد تهيأت للبكاء عليـــه فأقبلـــت امـــرأة مـــن

([٤٩٩]) مسلم في الجنائز ٢/٦٣٤ الحديث ٧/٩٢٠ عن أم سلمه.

([٥٠٠])هو الذي حضره الموت وصار ينظر إلى الشئ لا يرتد إليه طرفه

([٥٠١]) دليل على استحباب إغماض الميت، وأجمع المسلمون على ذلك قالوا: والحكمـــة فيه ألا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه.

([٥٠٢]) معناه إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظراً أين يذهب.

([٥٠٣]) أي الباقين كقوله تعالى: "إلا إمرأته كانت من الغابرين" الأعراف ٣

([٥٠٤]) معناه أنه من أهل مكة ومات بالمدينة

الصعيد(٥٠٥)تريد أن تسعدنى فاستقبلها رسول اللهﷺ فقال : أتريدين أن تُدخلى الشـيطان بيتاً أخرجه الله منه؟ قالت: فكففت عن البكاء فلم أبك " (٥٠٦) .

٥٥٠- وقال وهب بن منبة: كان ملك من الملوك أراد الخروج إلـى أرض لـه فلبس أحسن ثيابه وركب أفره دوابه وخرج فى خاصته وجنوده ورجاله ، فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كبراً(٥٠٧) وعجباً فكان يمشى ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبراً وإعجاباً بنفسه فتصدى له رجل رَثُ الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه، فأخـذ بلجام دابته، فقال له: ويلك لقد تعاطيت أمراً عظيماً ، كفَّ يدك عن اللجام. فقال له: أنا ملك الموت. فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه، وقال له: سألتك بالله إلا تركتنى

---

(٥٠٥) المراد بالصعيد هنا عوالي المدينة وأصل الصعيد ماكان عل وجـه الأرض. قولها تسعدني: أي تساعدني في البكاء والنوح.شرح النووي جـ٣ صـ٢٥٢ المكتب الثقافي.

(٥٠٦) مسلم في الجنائز ٢/٦٥٣ الحديث ٩٢٢/١٠ والإمام أحمد في مسنده ٢٨٩/٦

(٥٠٧) كان الكبر ذنب إبليس اللعين. فآل أمره إلى ما آل إليه، قال ابن تيمة "التكبـر أشر من الشرك فإنه ا لمتكبر بتكبر عن عبادة الله تعالى والمشرك يعبد الله وغيره" وقال ابن القيم لذلك جعل الله النار دار المتكبرين. كما قال تعالى: "ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين" وأهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم، فقـال تعالى: "كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار "غافر ٥

وقالﷺ "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبـر" رواه مسـلم وقـال ρ "الكبر بطر الحق. وغمض الناس، وكما أن من تواضع لله رفعه" فكذلك من تكبر عـن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقره". مدارج السالكين ابن القـيم الجوزيـه جـ٢ صـ٢٤٧.

حتى أرجع إلى أهلى وأودعهم وأقضى حاجتى منهم فقال لا والله ما رأيت أهلك أبداً وقبض روحه فخر كأنه خشبة ملقاة.

ثم لقى آخر فى مثل حالة إلا أنه كان متواضعاً فتعرض له فسلم فرد عليه السلام، فقال له: إن لى إليك حاجة وأريد أن أذكرها فى لك أذنك، قال: هات وأعطاه أذنه فقال له: أنا ملك الموت، فقال له: مرحباً بمن طالت غيبته عليّ فوالله ما كان غائب أحب إليّ أن ألقاه منك ، فقال له ملك الموت: اقض حاجتك التى خرجت إليها قال: لا هذه الحاجة أهم حوائجى ومالى حاجة أهم على ولا أحب إلى من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حالة تريد أن أقبض روحك. قال: وتقدر على ذلك؟ قال بذلك أمرت. قال: فدعنى حتى أتوضأ وأصلى وتقبض روحى وأنا ساجد، قال: نعم فتوضأ وصلى فقبض روحه فى سجوده(٥٠٨).

---

(٥٠٨) الإحياء ٤/٤٥١ مع تغير في بعض الألفاظ جاء في الإحياء: وقال وهب ابن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات، وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فساره وقال أنا ملك الموت وتمامه عند المصنف حتى القول كأنه خشبه ملقاه". ثم مضى فلقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام، وتمامه عند المصنف.

٥٥٦- ذكر البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدمونى قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها. وسمع صوتها كل شئ إلا الإنسان ولو سمعه الإنسان لصعق" (٥٠٩).

وهما ميتان: فميت يستريح من تعب هذه الدار ويفضى إلى راحة، وميت تستريح منه البلاد ويفضى على سوء المصير وبئس المهاد.

٥٥٧- ذكر أبو قتادة قال: "مر رسول الله ﷺ بجنازة فقال: "مستريح ومستراح منه". فقالوا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" ذكر هذا الحديث مسلم بن حجاج(٥١٠)وغيره(٥١١).

وربما يكون منا من يهتز عند رؤية الجنازة ويرتاع عند مشاهدتها ثم لا يلبث أن يعود إلى حالته إلا بمقدار ما تكون بين يديه أو ساعة تمر عليه.

ويروى عن أبى عمرو بن العلاء قال : جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه شعراً فأطلعت جنازة فأمسك وقال : شيبتنى والله هذه الجنازة. وكأن هذا البائس الغافل لم يسمع برجل قد شيع جنازة ثم مات المشيع بجمعه أو أقل من جمعة وربما كان بعد يوم واحد أو أقل من يوم واحد، أو كأنه علم أن هذا الميت كان طويل الأمل ممتد

---

(٥٠٩) البخاري كتاب الجنائز جـ٣ رقم ١٣٢٤

(٥١٠) مسلم في الجنائز ٦٥٦/٢ الحديث ٩٥٠/٦١

(٥١١) البخاري في الرقاق ١١/صـ٣٦٢ رقم ٦٥١٢ باب سكرات الموت

الرجاء يطمع فى العيش ويحرص على البقاء، حتى هجم عليه ملك الموت فى الوقت الذى لم يكن يظن به وقام معه مكان الذى لم يكن يحسبه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم بخلاف هذا، كانوا إذا رأوا الجنازة نظروا إليها نظر المعتبرين وتكلموا عندها بكلام الموفقين وكانوا يقولون القول ويعملون بمقتضاه، وسأذكر لك من كلامهم وأحكى لك من أقوالهم ما أمكننى لعله يحرك منك ساكناً أو يوقظ منك نائماً، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه.

٥٥٩-ومرت بالحسن البصرى جنازة فقال: يا لها موعظة ما أبلغها وأسرع نسيانها، يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة، ثم قال : ميت غديد من ميت.

٥٦١- لما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته فوقف على قبره وبكى ثم قال: يا أخى لا تقر عينى بعدك حتى أعلم ما صرت إليه ولا والله لا أعلم ذلك ماد مت حياً.

٥٦٤- وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه: أنه كان يلقى الرجل فى الجنازة فى خاصة إخوانه قد بُعد عهده فما يزيده عن التسليم حتى يظن الرجل أن فى صدره عليه موجدة كل ذلك اشتغالاً بالجنازة وتفكراً فيها وفى مصيرها حتى إذا فرغ من الجنازة لقيه وساءله وكان منه أحسن ما عهد.

٥٦٥- ورأى عبد الله بن مسعود صاحب النبى عليه السلام رجلاً يضحك فى جنازة فقال: " تضحك وأنت فى جنازة والله لا أكلمك أبداً ".

٥٦٦- وفى الخبر: " إن الله يكره لكم ثلاثاً: العبث فى الصلاة، والوقت فى الصوم، والضحك عند المقابر".

٥٦٧-ولما مات ذر بن عمر بن ذر ووضع فى قبره قال أبوه عمر: يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك؟ ! ثم قال: اللهم إن هذا ولدى ذراً متعتنى به ما متعتنى ووفيته أجله ولم تنقصه حقه، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى وإنى قد وهبت له ما فرط فيه من طاعتى فهب له ما فرط فيه من طاعتك، اللهم وما وعدتنى عليه من الأجر فى مصيبتى فقد وهبت ذلك له فهب له عذابه، ولا تعذبه به، وأنت أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين". قال: فأبكى الناس. ثم قال عند انصرافه: " يا ذر ما علينا بعدك من خصاصة، وما بنا مع الله تعالى إلى إنسان من حاجة، يا ذر مضينا وتركناك ، ولو أقمنا عندك ما نفعناك".

ألا ترى إلى هذا لم يشغله الحزن بولده وثمرة كبده عن الحزن بما قال وبما قيل له؟ ! لأنهم إنما كانوا يقدمون الأهم فالأهم ويبدئون الأعظم فالأعظم.
ميت يموت من المسلمين ليصلى عليه لما فى صلاتهﷺ من البركة والرحمة، ولا فاتته سننه أيضاً فى الصلاة على موتى المسلمين، وفى صلاة المسلمين بعضهم على بعض ، ودعاء بعضهم لبعض.

٥٧٠- وذكر الترمذى من حديث حذيفة بن اليمان قال: " إذا مت فلا تؤذنوا بى أحداً فإننى أخاف أن يكون نعياً، وإنى سمعت رسول اللهﷺ نهى عن النعى" (٥١٢) .
وأما المفروض من هذا الباب فهو أن يُدعى للصلاة على الميت من يقوم به سنة الصلاة عليه.

(٥١٢) الترمذي رقم ٩٨٦ وابن ماجه ١٤٧٦

باب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له وقراءة القرآن عنده وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه

٥٧٣- ويروى عن بعض الصالحين انه قال: مات أخ لى فرأيته فى النوم فقلت له يا أخى ما كان حالك حين وضعت فى قبرك؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار فلـولا أن داعياً دعا لى لهلكت" [٥١٣] .

٥٧٥- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث عبد الرحمن بن شماسة قال: "حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت فبكا طويلاً ثم حول وجهه إلى الجـدار فجعـل ابنه يقول له: ما يبكيك يا أبتاه؟ أما بشرك رسول اللهﷺ بكذا؟ أما بشـرك رسـول الله بكذا؟ قال فأقبل على أطباق ثلاثة لقد رأيتنى وما أحداً أشد بعضاً لرسول اللهﷺ منى ولا أحب إلى من أن أكون فى قلبى[٥١٤] أتيت النبى فقلت: أبسط يمينك فلأبايعنـك ، فبسـط

([٥١٣]) الإحياء جـ٤ صـ٤٧٦

([٥١٤]) ذكر ابن كثير في قصة إسلام عمرو بن العاص قول عمرو بن العاص قـال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجـالاً مـن قـريش كـانوا رأي رأي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً وإني لقد رأيت أمراً مما ترون فيه، قالوا: وما رأيت رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنـده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فإنا إن نكن تحت يديه أحب إلينا مـن أن نكون تحت يدي محمد.. قالوا إن هذا الرأي.. ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله إنا لعنده إذا جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول اللهﷺ قد بعثه إليه في شـأن جعفـر وأصحابه. قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده قال: فقلت لأصحابي: هذا عمـرو بـن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقـه.. فـدخلت عليـه فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقي ثم قلت له أيها الملك إني قـد رأيـت

يمينه قال: فقبضت يدى، قال: مالك يا عمرو؟ قلت: أردت أن اشرط. قـال: تشـترط ماذا. قلت: أن يُغفر لى، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وما كان أحد أحب إلى من رسـول الله ﷺ ولا اجل فى عينى منه وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه لما أطقت لأنى لم أكن أملأ عينى منه، فلو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهـل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها. فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فإذا دفنتمونى فشنوا[٥١٥] على التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تُنحر جزور ويقسـم

رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصـاب مـن أشرافنا وخيارنا، فقال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه.، قال: أتسـألني أن أعطيـك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟ قلت: أيها الملك أكـذاك هو؟ قال ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهر على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده، قلت أفنبايعني له على الإسلام قال نعـم فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليـه وكتمت أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين أبا سليمان؟ فقال والله لقد اسـتقام الميسـم وإن الرجل لنبي اذهب والله أسلم فحتى متى! قال: قلت والله ما جئـت إلا لأسـلم، فقـدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت، فقلت يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، فقـال رسـول الله ﷺ يـا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وأن الهجرة تجب ما كان قبلها، فبايعتـه ثـم انصرفت. "البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ صـ١٤١-١٤٢

(٥١٥) في صحيح مسلم بالسين "فشنوا" ومعناها الصب

لحمها حتى أستانس بكم[٥١٦] " يريد أن يستأنس بدعائهم له وبــذكرهم الله عــز وجــل عنده[٥١٧] .

٥٧٦- وذكر أبو عبد الرحمن النسائى رحمه الله من حديث معقل بــن يســار المزنى عن النبىﷺ أنه قال: "اقرؤوا عند موتاكم[٥١٨] "وهذا يحتمــل أن تكــون هــذه القراءة عند الميت فى حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره.

٥٧٧- ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب: أنه أمر أن يقرأ عنــد قبــره سورة البقرة وقد روى إباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن.

٥٨٠- وعنها قالت: ذُكر عند رسول اللهﷺ هالك بسوء فقال: "لا تذكروا هلكــاكم إلا بخير" [٥١٩] .

٥٨١- وذكر البخارى عنها قالت: قال رسول اللهﷺ: "لا تسبوا الأموات فــإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا[٥٢٠].

---

(٥١٦) تكملة الحديث كما جاء في مسلم "حتى استأنس بكم وأنظر ماذا أراجع بــه رســل ربي".

(٥١٧) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج صــ ٣٢٥

(٥١٨) أخرجه النسائي جــ٤ صــ٥٢

(٥١٩) أ خرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨٠/٦ والحاكم في المستدرك ٣٨٥/١

(٥٢٠) البخاري في الجنائز جــ٣ صــ٢٥٨ باب ما ينهي عن سب الأموات ٩٧ الحديث رقم ١٣٩٣، قال ابن بطال سب الأموات يجري مجرى الغيبة، فإن كان أغلب أحــوال المرء الخير – وقد تكون منه الفلته – فالإغتياب له ممنوع، وإن كان فاسقاً معلنــا فــلا غيبة له، فكذلك الميت. ويحتمل أن يكون النهي عن عموم الســب فيمــا بعــد الــدفن، والمباح ذكر الرجل بما فيه قبل الدفن ليتعظ بذلك فساق الإحياء، فإذا صار إلــى قبــره

باب ذكر القبور

اعلم رحمك الله أن فى القبر وظلمته وضيقه ووحشته وطرح الميت فيه غير ممهد ولا موسد قد باشر الثرى وواجه البلى وترك دنياه بالورى، ونبذ منها ما كان بيديه بالعراء مع حبيب تركه وقريب أسلمه ونصير أفرده، وترك ما كان منه عهده ما يفطم النفوس عن الشهوات وإن كانت صعبة الفطام ويقطعها عن اللذات وإن كان قطعها بعيد المرام إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب بينما المرء فى بلهنيته مرتكضاً فى أمنيته غافلاً عن يوم صدعته وميته، قد فتح للهو بابه وأرسل عليه حجابه ولم يبال بمن لامه على ذلك أو عابه إذ هجمت عليه المنية فهتكت أستاره وكسفت أنواره وطمست أعلامه وآثاره ، فأخرجته من ذلك القصر المشيد والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنقد؛ إلى حفرة من الأرض سوداء ضيقة الجوانب والأرجاء مملوءة من الفزع والرعب ما تشاء، فحذار رحمك الله حذار أن تنزع هذا المنزع وبدار عصمك الله بدار أن تصرع هذا المصرع فيفت فى عضدك ويسقط فى يديك ويرمى بك من اهلك وولدك بهواة تزدحم فيها الأهوال، وتنقطع فيها الآمال قد جمعت فيها جمعاً ورصفت فيها رصفاً وتركت للدود والهوام طعما.

أمسك عنه لا فضائه إلى ما قدم. قال الحافظ وأصح ما قيل في ذلك أن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساوئهم للتحذير منهم والتنفير منهم. وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتاً "أفضوا" أي وصلوا إلى ما عملوا من خير أو شر واستدل به على منع سب الأموات مطلقاً. "فتح الباري جـ ٣ صـ٢٥٩.

باب ما جاء أن بعث النار من كل
ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

٥٨٣–ذكر مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول عز وجل:يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال : فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قال: فاشتد ذلك عليهم . قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل. قال . ثم قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة. فحمدنا الله عز وجل وكبرنا. ثم قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله عز وجل وكبرنا. ثم قال: والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود او كالرقمة فى ذراع الحمار" (٥٢١) وفى بعض ألفاظ هذا الحديث من الزيادة " اللهم هل بلغت" وفى بعض طرقه من غير كتاب مسلم: وذكر بعث النار" فقال رجل: فمر الناجى منا بعد ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: فى الناس غلا كالشامة فى صدر البعير".

باب ما جاء فى أهل الفترة

٥٨٤– ذكر أبو بكر البزار فى مسنده عن الأسود بن سريع عن النبى ﷺ قال: "يعرض على الله تبارك وتعالى الأصم الذى لا يسمع شيئاً والأحمق والهرم ورجل مات فى الفترة، فيقول الأصم: رب جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، ويقول الأحمق: رب جاء

---

(٥٢١) أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء جـ٦ ص ٣٨٢ رقم ٣٣٤٨ ومسلم فى الفتن

الإسلام وما أعقل شيئاً، ويقول الذى مات فى الفترة: رب ما أتانى لك من رسول. قال أبو بكر: وذهب عنى ما قال الرابع. قال: فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم تبارك وتعالى: ادخلوا النار. فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً[522]

([522]) الإمام أحمد فى مسنده ٤/٢٤.

الفترة: ما بين النبيين من الفتور والغفله والترك لأنهم تركوا بلا رسول " حاشيه محمد الأمير ص ١١٣٠ . قال الشيخ عبد السلام المالكى فكل من كلف من الثقلين والمكلف هو البالغ العاقل الذى بلغته الدعوة فمن لم تبلغه الدعوة لا يجب عليه ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" ونقل الشيخ عبد السلام قول الحافظ فى الاصابه قال: ورد من عدة طرق فى حق الشيخ الهرم ومن مات فى الفترة ومن ولد أكمه أعمى أصم ومن ولد مجنونا أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ ونحو ذلك أن كلا منها يدلى بحجه ويقول لو عقلت أو ذكرت لآمنت فترفع لهم نار ويقال أدخلوها فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن امتنع أدخلها كرها. والمراد بالأكمه الذى لا يدرى أين يتوجه وهو الأحمق والمعتوه المصرية فى الحديث." اتحاف المريد" .

وقوله أو ذكرت راجع لأهل الفترة وانما سمى مجئ الرسل تذكير " لأن الاقرار قد وقع يوم " ألست بربكم" فالرسول كأنه يذكر العهد القديم أى بالنسبه للإيمان وهو المنجى من الخلود فى النار لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين.

وقال محمد الأمير: العرب القدماء الذين أدركوا عيسى من اهل الفترة على المعتمد لأنه لم يرسل لهم وانما ارسل لبنى اسرائيل لأنه لابد على التحقيق من أن يكون الرسول لهم. وكذا يعطى حكم أهل الفترة من بنى اسرائيل من لم يدرك نبيا ونشأ بعد تغيير الانجيل بحيث لم يبلغه الشرع الصحيح لا ان بلغه ولو بعد موت عيسى، بناء على أن شرع الأنبياء السابقين لا ينسخ الا بمجئ نبى آخر لا بمجرد الموت." حاشيه محمد الأمير ص ٣٠.

والقول أن أهل الفترة لا يعذب يخالف قول المعتزلة التى ترى أن معرفة الله واجبة بالعقل فلا تتوقف على بلوغ دعوة: وعلى ذلك فالعقل كاف عندهم فى الأحكام بناء على تحسينه وتقبيحه. انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار.

" قد جاء هذا الحديث وهو صحيح فيما أعلم والآخرة ليست دار تكليف ولا عمل ولكن الله يخص من شاء بما شاء ويكلف من شاء بما شاء حيث يشاء لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

باب فى سعة رحمة الله
وأنها تغلب غضبه

ومن الذى افاض هذه البركات وأتى بهذه الخيرات وامتن بهذه النعم التى ملأت بين الأرض والسموات؟! ومن الذى يستخرج من ظلمات الكفر ويستنقذ من غمرات الجهل؟! فيغفر الذنوب[٥٢٣] ويستر العيوب وينفس المكروب ويجيب المضطر إذا دعاه ولا يبالى أطاعه أم عصاه؟ ! من هو إلا أرحم الراحمين[٥٢٤] وأكرم الأكرمين رب العالمين إله الأولين والآخرين لا إله إلا هو الملك الحق المبين.

٥٨٥- ذكر مسلم عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه[٥٢٥] .

٥٨٧- وذكر مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش عن رحمتى تغلب غضبى" [٥٢٦] .

---

(٥٢٣) قال تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) سورة الزمر : ٥٣.

(٥٢٤) قال تعالى :(فالله خير حافظ وهو أرحم الراحمين) يوسف : ٦٤.

(٥٢٥) مسلم فى التوبه ٤ / ٢١٠٨ الحديث ١٧/ ٢٧٥٢

(٥٢٦) مسلم فى التوبه ٢١٠٧/٤ الحديث ٢٧٥١/١٤

٥٨٩- ومن مسند البزار أيضاً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : بلغنى أن رسول اللهﷺ كان فى بعض مغازيه، فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير، فأقبل أحد أبويه حتى سقط فى أيدى الذين أخذوا الفرخ، فقال رسول اللهﷺ: " ألا توجبون لهذا الطير أُخذ فرخة فأقبل حتى سقط فى أيديهم والله لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه[٥٢٧] " قال: لا نعلم له طريقاً غير هذا الطريق

٥٩٢- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبى أيوب الأنصارى عن النبىﷺ قال: والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[٥٢٨].

٥٩٣- وذكر ابن جهضم بإسناده إلى إبراهيم قال: " طفت ليلة بالبيت وكانت ليلة مطيرة شديدة الظلمة وقد خلا الطواف وطابت نفسى فوقفت عند الملتزم أدعو فقلت: اللهم اعصمنى، حتى لا أعصيك فهتف بى هاتف: يا إبراهيم أنت تسألنى أن أعصمك وكل عبادى يسألنى العصمة فإذا عصمتهم فعل من أتفضل ولمن أغفر".

باب كثرة أمة محمدﷺ

٥٩٤- ذكر مسلم بن الحجاج بن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: " أنا أول الناس يشفع فى الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً" [٥٢٩]

(٥٢٧) أخرجه أبو داود ١٨٢/٣، والطبرانى فى الأوسط انظر المجمع ٩١٩ .

(٥٢٨) فى كتاب التوبة ٢١٠٦/٤ الحديث ٢٧٤٩/١١ وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٢ / ٣٠٥ ، ٣٠٦.

(٥٢٩) مسلم فى الإيمان ١٨٨/١ الحديث ٣٣٠ / ١٩٦.

٥٩٧- وذكر الترمذى قال: قال رسول الله ﷺ: يا أهل الجنة عشرون ومائـــة صف ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم(٥٣٠) .

باب ذكر كم يدخل الجنة بغير حساب

٥٩٨ – ذكر مسلم من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: " عُرضت علىَّ الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى ليس معـــه احـــد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى عليه السلام وقومـــه، ولكـــن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر فـــإذا ســـواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثـــم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فـــى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذى تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون(٥٣١)ولا يتطيـــرون(٥٣٢)

---

(٥٣٠) الترمذى رقم ٢٥٤٦ .

(٥٣١) قد أنكر ابن تيميه هذا الحديث لأنه ينكر الرقى وتطلب تركه والراقى يحســـن إلى الذى يرقيه وأن الرسول رقى أصحابه. وفى رأيى أن هذا القول من ابن تيميه يكون صحيحا إذا حمل الحديث على مطلق الرقى، ولكن إذا حمـــل الحـــديث علـــى الرقـــى الممنوعة وهى ما كان شركا أو احتمله كان الحديث صحيحا .

فالرقى منها ما هو شرك ومنها ما هو غير ذلك، والرقى الموصوفه بأنه شرك هى التى يستعان فيها بغير الله والتى يستعملها من يدعى تسخير الجن لـــه، فيـــأتى بـــأمور مشتبهه مركبه من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه مـــن ذكـــر الشياطين والاستعانه بهم. ويقال إن الحية لعدواتها للإنسان بالطبع تصـــادق الشـــياطين

لكونهم أعداء بنى آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رقى بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان وهذه خرافة لا وجه لها من الصحة، فالذى يعرف من القرآن عداوة الشيطان لبنى آدم وليس عداوة الثعبان الحيوان الأعجم الذى لا تفكير له ولا تدبير، ولا يتصرف إلا بغريزته، وأما القول بعدواة الثعبان للإنسان فهو قول التوراة الحالية لأن الثعبان أو الحية فى التوراة حل محل الشيطان فى قصة آدم ولذلك كان بينهما العداوة وهذا غير صحيح.

وكانوا يعتقدون أن الرقى بهذه الدلريقة تمنع العين وتشفى المرض، ولما جاء الإسلام نهى عن الرقى بهذه الطريقة وقد نبه الرسولﷺ على ذلك وبينه فى أكثر من حديث بطرق مختلفة فقالﷺ: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك" ابن ماجه ١/ ١١٦٧ كتاب الطب باب تعليق التمائم.

ومن ناحية أخرى قد أجاز الرسولﷺ الرقى مالم يكن شركا. جاء فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك أنه قال: " كنا نرقى فى الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك؟ " فقال: " اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً". والرقى الجائزة هى ما لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبىﷺ، وقد كان الرسولﷺ يقول فى الرقية "اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً فتح البارى البخارى جـ١١ ص ٤٢٣ . وعلى ذلك فالحديث محمول على الرقى التى بها شرك.

(٥٣٢) التطير: التشاؤم

قد روى عن الرسولﷺأنه قال: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر" قال الماوردى فى أدب الدنيا والدين " أعلم أنه ليس شئ أضر بالرأى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاءاً أو يدفع مقدوراً فقد جهل" ونقل قول الشاعر:

طيرة الناس لا ترد قضاء فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
أى يوم تخصه بسعود والمنايا ينزلن فى كل يوم

وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة ابن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى مـــنهم، فقـــال:

ليس يوم إلا وفيه سعـــود ونحوس تجرى لقوم وقوم

وقد كانت الفرس أكثر الناس طيرة وكانت العرب إذا أرادت سفراً، نفـــرَّت أول طـــائر تلقاه ، فإن طار يمنة سارت وتيمنت، واذا طار يسرة رجعت وتشاءمت فنهى النبـــىﷺ عن ذلك وقال: " اقروا الطير على وكناتها". والذى يتطير هو الذى عارضته المقـــادير فى إرادته وصده القضاء على طلبته، فأما من ساعدته المقادير ووافقه القضاء فهو قليل الطيرة لإقدامه، ثقه بإقباله وتعديلا على سعادته، فلا يصده خوف.

والخروج من الطيرة عدم العوده إليه. فقد روى أبوهريرة قـــال: قـــال رســـول اللهﷺ "إن كفارة الطيرة هى فى قولهﷺ: " كفارة الطيرة التوكل على الله تعالى" وقيـــل فى منثور الحكم: الخيرة فى ترك الطيرة، وليقل إن عارضه فـــى الطيـــرة ريـــب، أو خامره فيها وهم، ما روى عن النبىﷺ أنه قال: من تطير فليقل: اللهم لا يأتى بالخيرات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا وقوة إلا بالله" ويذكر ما قال عمر بـــن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين لمزاحم حين تطير: "يا مزاحم إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار " ص ٣٩ الخليفه العـــادل وأمـــا مـــا روى عـــن الرسولﷺ من أن رجلا جاء إلى النبىﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نزلنا دارا وكثر فيهـــا عددنا وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا منها إلى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل فيها عددنا. فقال النبىﷺ "ذروها وهى ذميمة " فهذا القول من الرسولﷺ ليس على وجـــه الطيـــرة ولكن على وجه التبرك بما فارق ، وترك ما استوحش منه إلى ما أنس به.

وأما الفأل على عكس ذلك قد قال به الرسولﷺ. رواه أبو هريرة أن رسول اللهﷺ سمع كلمة فأعجبته، فقال: أخذنا فألك من فيك "فينبغى لمن تفاءل أن يتأول الفأل بأحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا، فقد قال النبىﷺ: "أن الـــبلاء موكـــل بالمنطق". انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٠٤ – ٣٠٧. الماوردى ".

أنت منهم، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة"(٥٣٣)

٥٩٩ – وذكر أبو بكر البزار عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين وعبد الله بن مسعود قال: " تحدثنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم حتى أكربنا الحديث، ثم تراجعنا إلى البيوت، فلما أصبحنا غدونا إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ : عُرضت عليّ الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة من قومه والنبي ومعه العصابة من قومه والنبي ومعه النفر من قومه والنبي ليس معه من قومه أحد حتى أتى عليّ موسى بن عمران في كوكبة من بني إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت: يا رب من هؤلاء؟ فقال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل قلت: فأين أمتي؟ قيل: أنظر عن يمينك، فإذا الظراب ظراب مكة قد سد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء؟ قيل لي: أمتك، فقيل لي: هل رضيت ؟ فقلت: رب رضيت رب رضيت، فقيل لي: أنظر عن يسارك فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال. فقلت: من هؤلاء؟ قيل: أمتك. قال فقيل لي: هل رضيت ؟ قلت: رب رضيت رب رضيت، ثم قيل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب(٥٣٤)، فأنشأ عكاشة ابن محصن رجل من

---

(٥٣٣) أخرجه مسلم في الإيمان ١ / ٩٩ ١ ٢٠٠٠ الحديث ٣٧٤ / ٢٢٠.

(٥٣٤) قال تعالى: " قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" الزمر"١ . قال النيسابوري "إنما يوفون الصابرون على مفارقة الأوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وتكاليفه " أجرهم بغير حساب " أي لا يحاسبون أو بغير حصر. قال جار الله عن النبي ﷺ ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صباً ثم تلا الآية، وقال: حتى يتمنى أهل العافيه في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل " تفسير غرائب القرآن جـ ٢٣ ص ١٣٠ مجلد ١٠.

بنى أسد بن خزيمة فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، قال اللهم اجعله منهم ثم أنشأ رجل آخر فقال يا نبى الله أدعو الله أن يجعلنى منهم، فقال: سبقك بها عكاشة، ثم قال رسول الله ﷺ: فداكم أبى وأمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا فإن عجزتم أو قصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم او قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإنى رأيت ثم ناساً يتهوشون كثيراً، ثم قال نبى الله ﷺ: إنى لأرجو أن يكون من تبعنى من أمتى ربع أهل الجنة قال: فكبرنا، ثم قال: إنى لأرجو أن يكونوا الثلث قال: فكبرنا ثم قال: إنى لأرجو أن يكونوا الشطر فكبرنا، فتلى نبى الله ﷺ: (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) فتراجع المسلمون من هؤلاء لا تراهم إلا الذين ولدوا فى الإسلام ولم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه قال: فنما حديثهم إلى النبى ﷺ قال: ليس كذا ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" (٥٣٥).

---

(٥٣٥)قال ابن القيم التوكل نصف الدين والنصف الثانى الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هى العبادة. والتوكل عام ويقع من المؤمن والكافر والبار الفاجر والطير الوحش والبهائم مع الاختلاف بينهم فى متعلق توكلهم فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه فى الإيمان، ونصرة دينه، واعلاء كلمته،وجهاد أعدائه، وفى محابته وتنفيذ أوامره. ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى استقامته نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغا عن الناس. ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى معلوم يناله منه من رزق أو عافية، أو نصر على عدو، أو زوجة أو ولد، ونحو ذلك.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبا إلا باستعانتهم بالله، وتوكلهم عليه بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يلقون أنفسهم فى المتالف والمهالك، معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم.

وأفضل التوكل توكل الأنبياء والمرسلين وورثتهم وهو استعانتهم صلى الله علـيهم أجمعين وسلم بالله فى إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين فى الأرض ثم توكل الناس أو استعانتهم بالله وهو يختلف باختلاف همم الناس ومقاصدهم فمنهم من يتوكل على الله فى حصول الملك ومنهم من يتوكل فى حصول العيش – رغيف.

ومن صدق توكله على الله فى حصول شئ ناله فإن كان هذا الشئ الذى توكـل فيه على الله واستعان بالله لتحقيقه مما يحبه الله سبحانه ويرضاه كانت له فيـه العاقبـة المحمودة، أما إذا كان هذا الشئ مبغوضا إلى الله كان حصوله له بتوكله مضرة عليـه، وإن كان هذا الشئ مباحاً عند الله– أو مما أباحه الله – حصلت له مصلحة التوكـل دون مصلحة ما توكل فيه، إن لم يستعن به على طاعته تعالى.

وقال ابن القيم إن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها **أولها:** معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمـه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه فى مقـام التوكل .

ثانيها: الإيمان بأن التوكل سبب لنيل الشئ كالدعاء، فنفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكـل البته لأن التوكل من أقوى الأسباب فى حصول المتوكل فيه وليس معنى ذلك الركـون إلى الأسباب، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب. وقطع علاقة القلب بهـا فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها.

ثالثها: توحيد القلب فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول. وعلـى قـدر تجريد التوحيد: تكون صحة التوكل مع العمل بالجوارح.

رابعها: اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، لا يأوى إلا اليه.

خامسها: حسن الظن بالله فإن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليـه، أى لا يتصـور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه.

سادسها: استسلام القلب له ، وانجذاب دواعيه كلها إليه ، وقطع منازعاته .

٦٠١- وقال فى حديث سهل بن سعد عن النبىﷺ: "متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر" (٥٣٦) ليس فى هذا الحديث ذكر الجنة ، وذكره فى حديث آخر.

٦٠٤ - وذكر أبو بكر الشافعى من حديث حذيفة بن اليمان قال: غاب عنا رسول اللهﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فلما رفع رأسه قال: إن ربى جل وعز استشارنى فى أمتى: ماذا أفعل بهم؟ قلت ما شئت يا رب، هم خلقك وعبادك. فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك، ثم استشارنى الثالثة فقلت له كذلك، فقال: إنى لم أخزك فى أمتك وبشرنى أن أول من يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلىّ ربى: أدع تجب وسل تعطه، فقلت لرسوله: أو معطى ربى جل وعز سؤالى؟ قال ما أرسل إليك إلا ليعطيك ولقد أعطانى أن لا تجوع أمتى ولا تغلب وأنه أعطانى الكوثر نهراً فى الجنة يسيل فى حوضى وأنه أعطانى العزة والنصر والرعب وأنه أعطانى بأنى أول الأنبياء دخولاً الجنة وطيب لى ولأمتى الغنيمة وأحل لنا كثيراً مما

السابع : التفويض وهو روح التوكل وله وحقيقته ، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله ، وإنزالها به طلبا واختياراً لا كرها واضطراراً. " انظر مدارج السالكين لابن القيم الجوزية جـ٢ ص ٨٣ - ٩٠.

(٥٣٦) أخرجه البخارى فى الرقاق جـ ١١ ص ٤٠٦ رقم الحديث ٦٥٤٣ ومسلم فى الإيمان ١/١٩٨ الحديث ٣٧٣ / ٢١٩ الحديث الذى أورده المصنف به نقص عن الذى ورد فى البخارى ونص الحديث: "عن سهل بن سعد قال: قال النبىﷺ ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا - أو سبعمائة ألف ، شك فى أحدهما - متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر " فلم يذكر المصنف " الجنة " .

شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج فلم أجد شكراً إلا هـذه السـجدة" (٥٣٧).

قوله عليه السلام: "إنه أعطانى ألا تجوع أمتى ولا تغلب" أى لا تجوع كلها ولا تغلب كلها إنما هو إن جاعت فى أرض شبعت فى أخرى وإن غلبت فى موضع غلبت هى فى موضع آخر.

٦٠٦- وعن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال: "إن ربى عز وجل أعطانى سبعين ألفاً من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عمـر: فهـلا استزدته؟ فقال: استزدته، فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفاً قال: فهلا استزدته، فقـال: أعطانى هكذا وبسط باعه فقال هذا من الله تبارك وتعالى لا يدرى ما عدده" (٥٣٨).

باب فى الشفاعة الثانية فى الخروج من النار وذكر خروج من يدخلها من الموحدين

اعلم أنه قد وجب فى الحكم الأول والقصة السابقة دخول النار علـى طوائـف من المؤمنين من أوبقتهم سيئاتهم وأحاطت بهم خطيئاتهم ولم تمحصها عنهم عقوبـات الدنيا ولا عذاب القبر ولا أهوال يوم الحشر وكل إنسان منهم تنال منه النار بدار عملـه وتأخذ منه إلى الحد الذى أمرت به، ثم إن الله جل جلاله بفضله ورحمتـه يقبـل فـيهم شفاعة الشافعين ورغبة الراغبين وسؤال السائلين من الأنبيـاء والصـديقين والشـهداء والصالحين والعلماء وكل من له عند الله تعالى جاه ومنزلة قد بلغها بعمله ونالها بصالح

---

(٥٣٧) انظر المجمع ٢ / ٢٩٠.
(٥٣٨) مجمع الزوائد ١٠ / ٤١٤

سعيه فإن له شفاعة فى أهله وبنيه وأوليائه وأقربيه بل ربما فى الرجل كان يعرفه فـــى الدنيا ولم يكن بينهما صحبة ولا كبير معرفة.

واعلم أن الجاه الذى تكون به الشفاعة ويقبل به السؤال وتقضى بـــه الحـــوائج وتحصل به المنزلة عند الله تعالى إنما يكون اكتسابه فى الدنيا وتحصيله هنـــا بالعمـــل الصالح على الحد الذى حد فيه والطريق الذى أمر أن يسلكه إليه ومـــن ذلـــك العمـــل: التواضع للمسلمين ولين الجناح لهم واحتمال الأذى منهم والصبر عليهم وإسقاط المنزلة عندهم وطلبها عند خالقهم جل جلاله.

٦٠٨- وذكر أبو عيسى الترمذى من حديث أنس بن مالك قال: قـــال رســـول اللهﷺ: " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى" [٥٣٩].

---

[٥٣٩] الترمذى رقم ٢٤٣٥ وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه وأخرجه أبو داود ٤/ ٢٣٦ والإمام أحمد فى مسنده ٣/ ٢١٣ وابن حبان ٨ / ١٣٢.

الشفاعة لأهل الكبائر

الشفاعة لأهل الكبائر للخروج من النار قال بها أهل السنة والأشاعرة وأنكرتها المعتزلة قال ابن حزم أنكر المعتزلة الشفاعة لأهل الكبائر على أنه " لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها" الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ٦٤. وقد أنكر الخـــوارج هـــذه الشـــفاعة أيضا: إذ أوجبوا التكفير بارتكاب ذنب واحد مستندين فى ذلك إلى ما عرف من قضـــيه إبليس وما ورد فى القرآن من الآيات الدالة على تخليد العاصـــى" غايـــة المـــرام الآمـــدى جـــ٥ ٣٠ وكلا له أدلته التى اعتمد عليها فى رد هذه الشفاعة إلا أنها لا تقوى أمام الأدلة الواضحة من السنة الشريفة والقرآن الكريم فمثلا تأويل المعتزلة لقولـــهﷺ " شـــفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " ليس فى محله؛ قالت المعتزلة إن المراد من الحديث الاســـتفهام بمعنى الإنكار، يعنى " أشفاعتى لأهل الكبائر من أمتى" ؟! كما أن المراد من قوله: "هذا ربى "أهذا ربى ، أى أنه استنكار أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر، وعلـــى معنـــى هـــذا

٦٠٩ – ويروى عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: "نعم الرجل أنـا لشـرار أمتى. قالوا: فكيف أنت لخيارهم؟ قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شـرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى" (٥٤٠) ذكره أبو الحسن الدارقطنى.

التأويل للحديث كما ذكره المعتزلة، ما ذكره الشيخ عبد السلام المالكى عن المعتزلة " لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى "وقال عنه أنه موضوع باتفاق وبتقدير صحته فهـو محمول على من ارتد منهم. اتحاف المريد ص ١٥٣.

ومن اعتراضات المعتزلة على الاستدلال بهذا الحـديث قـولهم أن الكبيـرة لا تخص المعاصى وحدها بل تتناول المعصية والطاعة كما فى قوله تعالى على الصلاة " إنها لكبيرة إلا على الخاشعين. وعلى ذلك فقوله ﷺ: شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " قد يراد منها أهل الطاعات الكبيرة، وقالوا لأن قوله " أهل الكبائر " إن كانت كلمة الكبـائر عامة تعود على الطاعات الكبيرة والمعاصى الكبيرة، إلا أن كلمة أهل " مفرد لا يفيـد العموم فيكفى فى صدق الخبر شخص واحد من أهل الكبائر" ولذا فقد حملته المعتزلـة على الشخص الآتى بكل الطاعات فيحمل الحديث على ذلك وهـو أن الشـفاعة لأهـل الطاعات الكبيرة فى الحقيقة. إن المعروف من إطلاق كلمة الكبائر أنها مصروفة إلـى المعاصى الكبيرة التى يستحق بها فاعلها دخول النار وعلى ذلك صح شفاعته ﷺ لأهـل الكبائر كما جاء فى الحديث، ومما يدل على أن صاحب الكبيرة لا يخلد فى النار كمـا قالت المعتزلة قوله ﷺ: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة " ورده علـى أبـى ذر بقوله "وإن سرق وإن زنى رغم أنف أبى ذر" . وعن البنى ﷺ "يخرج قوم مـن النـار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين " فتح البارى جـ ٤١٨ جـ ١١ رقـم ٦٥٦٦ .

(٥٤٠) انظر المجمع ١٠ / ٣٨٠.

٦١٠ – وذكر أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده عن أبى موسى الأشــعرى : " أن رسول اللهﷺ كان يحرسه أصحابه قال: فقمت ذات ليلة فلم أره فى منامه فأخــذنى مــا حدث وما قدم، فقمت أنظر معاذ بن جبل لقى مثل الذى لقيت فسمعنا صوتاً مثل هزيــز الرحا، فوقفا على مكانتهما فجاء رسول اللهﷺ من قبل البيوت فقال: تدريان أين كنت أو فيم كنت؟ قالا: أين كنت ؟ قال: أتانى آت من ربى يخبرنى بين أن يدخل شطر أمتــى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فقالا: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنا فى شفاعتك فدعا لهما وأقبل وأقبلا معه فكلما لقيه رجل سأله حتى استقبله عظم النــاس فــأخبرهم فقالوا: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنا فى شفاعتك قال: أنتم فى شفاعتى ومن لقــى الله لا يشرك به شيئاً فهو فى شفاعتى"[٥٤١].

٦١٢– مسلم بن الحجاج من حديث يزيد الفقير قال: "كنت قد شغفنى رأى مــن رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد أن " نحج" ثم نخرج على الناس قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالساً إلى سارية عــن رســول اللهﷺ قال فإذا هو ذكر الجهنميين قال: فقلت له: يا صاحب رسول اللهﷺ ما هذا الــذى تحدثون والله يقول إنك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذى تحدثون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال: فهل سمعت بمقــام محمدﷺ؟ يعنى الذى يبعثه الله فيه قال: قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمــدﷺ المحمــود الذى يُخرج الله به من يخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط ومر النــاس عليــه قــال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعــد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم القراطيس[٥٤٢]. فرجعنا فقلنــا: ويحكــم أتــرون

(٥٤١) أخرجه الترمذى رقم ٢٤٤١ والامام أحمد فى مسنده ٤ /٤٠٤ .

(٥٤٢) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبىﷺ قال: إذا دخل أهل الجنــة الجنة وأهل النار النار يقول الله: من كان فى قلبه مثقال حبة من خــردل مــن إيمــان

الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا قال: والله ما خرج منا غير رجل واحد"[٥٤٣] أو كما قال أبو نعيم أراد بالرأى الذى شغفه من رأى الخوارج تكذيبهم بالشفاعة وقولهم إنه من دخل النار من المذنبين فلن يخرج منها.

٦١٦- وذكر البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:" أما أهـل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين يرد الله تعـالي إخـراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون علي نهر الحياة فيرش عليهم من مائها فينبتـون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين فيـدعون الله تعالي فيذهب ذلك الاسم عنهم"[٥٤٤].

٦١٧- وذكر مسلم بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منهـا حممـا قـد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة إلي جانب السـيل ألـم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية " .

٦١٩- ومن مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن عمرو بن ميمون أن ابن مسـعود حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: "يكون في النار قوم ما شاء الله ثم يرحمهم الله فيخـرجهم

فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل، أو قال حمية السيل. وقال النبى ﷺ ألم تروا أنها تنبـت صـفراء ملتوية " البخارى كتاب الرقاق رقم ٦٥٦٠ فتح البارى جـ ١١ ص ٤١٦.

(٥٤٣) أخرجه مسلم فى الإيمان ١ /١٧٩ الحديث ٣٢٠ / ١٩١ .
(٥٤٤) مسلم فى الإيمان ١/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، الحديث ٣٠٦ / ١٨٥.

فيكونون أدني الجنة فيغتسلون في نهر الحياة ويسميهم أهل الجنة الجهنميين لو أضـــاف أحدهم أهل الأرض لأطعمهم وسقاهم وأحسبه قال وزوجهم لا ينقصه ذلك شيئاً"[٥٤٥].

٦٢٠- وذكر أبو بكر الشافعي بإسناده من حديث أبي أمامة عن النبيﷺ قال: " إن من المؤمنين من يدخل بشفاعته الجنة أكثر من ربيعة ومضر " [٥٤٦].

٦٢١- وذكر الترمذي من حديث ابن أبي الجدعاء قال: سمعت رســـول اللهﷺ يقول: " يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم. قيل: يا رسول الله سواك ؟ قال: سواي[٥٤٧].

٦٢٢- وذكر البزار في مسندة عن ثابت أنة سمع أنس بن مالك يقــول: قـــال رسول اللهﷺ "إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة"[٥٤٨].

٦٢٤- وذكر الطحاوي عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ : " إذا كـــان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفا فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلي الرجـــل من صفوف أهل الجنة فيقول له: يا فلان أما تذكر يوما اصطنعت معروفا إليك؟ فيقول: اللهم إن هذا اصطنع إلي في الدنيا معروفا، قال: فيقال له: خذ بيده أدخله الجنة برحمـــة الله عز وجل " قال أنس: أشهد أني سمعت رسول اللهﷺ يقوله .

٦٢٥- وذكر الطحاوي أيضاً من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: " أصـــبح رسول اللهﷺ ذات يوم فذكر حديثاً طويلاً من حديث يوم القيامة، ثم ذكر فيـــه: شـــفاعة الشهداء قال: ثم يقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين انظروا في النار هل فيها من أحد

---

(٥٤٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١ / ٤٥٤ وابن حبان فى صحيحه ٩ / ٢٥٨.
(٥٤٦) الطبرانى فى الكبير رقم ٨٠٥٩ انظر المجمع ١٠ / ٣٨٤ ، ٣٨٥.
(٥٤٧) الترمذى رقم ٢٥٥٥ .
(٥٤٨) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٣/ ٢٠.

عمل خيراً قط؟ فيجدون في النار رجلاً فيقال له: هل عملت خيراً قط ؟ فيقول: لا غير أني قد أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني بالنار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثـل الكحـل فاذهبوا بي إلي البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر علي رب العالمين أبداً فيعـاقبني إذا عاقبت نفسي في الدنيا عليه قال يقول الله: لم فعلت ذلك؟ قال: مـن مخافتـك[٥٤٩]. فيقول: انظر إلي ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثالـه" [٥٥٠]

---

(٥٥٠) الخوف من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب وهى فرض على كل أحد وقد جاء بها الأمر من الله تعالى. قال تعالى: " فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين " آل عمـران ١٧٥ وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ... قول الله : "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة" المؤمنون ٦٠ أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق قال: لا يا ابنة الصديق. ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخافه أن لا يقبل منه " قـال الحسن" عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها. وخافوا أن ترد عليهم. إن المؤمن جمـع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا . مدارج السالكين جـ١ ص ٣٨٤.

قال أبو القاسم الجنيد: الخوف توقع العقوبة على مجارى الأنفاس. وقال أبـو حفـص: الخوف سوط الله يقوِّم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج فى القلب. به يبصـر ما فيه من الخير والشر. وكل أحد خفته هربت منه إلا الله عز وجـل. فإنـه إذا خفتـه هربت إليه. فالخائف هارب من ربه إلى ربه. وقال أبو سـليمان: إذا سـكن الخـوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها. وقال ذو النون الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف. فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق.

والخوف ليس مقصوداً لذاته. بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والخوف المحمود الصادق كما عرفه ابن القيم هو: ما حال بين صـاحبه وبـين محارم الله عز وجل. وقال إنه فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنـوط وقـال

عثمان: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً، وقال ابـــن تيميـــة الخـــوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله. وقال صاحب المنازل: " الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر". يعنى الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبره الله به من الوعد والوعيد.

والخوف على ثلاث درجات. كما ذكرها ابن القيم الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة. وهو الخوف الذى يصح به الإيمان . وهو خوف العامة وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة". والخوف مسبوق بالشعور والعلم. فمحال خوف الإنسان مما لا شعور له به، وللخوف متعلقان: أحدهما: نفس المكروه المحذور وقوعه. والثاني: السبب والطريق المفضى إليه. فعلى قدر شعوره بإفضاء السبب إلى المخوف وبقدر المخوف: يكون خوفه. وما نقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه. فمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضى إلى محذور كذا: لم يخف من ذلك السبب. ومن اعتقد أنه يفضى إلى مكروه ما، ولم يعرف قدره لم يخف منه ذلك الخوف. فإذا عرف قـــدر المخوف، وتيقن إفضاء السبب إليه: حصل له الخوف. وهذا معى تولـــد الخـــوف مـــن تصديق الوعيد، وذكر الجنابة، ومراقبة العاقبة. وفى مراقبة العاقبة: زيادة استحضـــار المخوف، وجعله نصب عينه، بحيث لا ينساه. فإنه وإن كان عالما به – لكـــن نســـيانه وعدم مراقبته يحول بين القلب وبين الخوف. فلذلك كان الخوف علامة صحة الإيمـــان وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه.

والدرجة الثانيه: خوف المكر فى جريان الأنفاس المستغرقه فـــى اليقظـــة، المشـــوبة بالحلاوة " أى أن من حصلت له اليقظة بلا غفلة، واستغرقت أنفاسه فيها استجلى ذلـــك. فإنه لا أحلى من الحضور فى اليقظة، فإنه ينبغى أن يخاف المكـــر وأن يســـلب هـــذا الحضور واليقظة والحلاوة .

والدرجة الثالثة من درجات الخوف: درجة الخاصة وليس فى مقام أهـــل الخصـــوص وحشة الخوف، إلاهيبة الجلال. وهى أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف" . يعنى أن وحشة الخوف إنما تكون مع الانقطاع والإساءة. وأهل الخصوص أهل وصول إلـــى

٦٢٦- وذكر أبو بكر البزار من حديث أبي بكر الثقفي عن النبيﷺ قال : " يحمل الناس يوم القيامة علي الصراط فتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش في النار فينجي الله تعالي برحمته من يشاء ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون[٥٥١] "

الله وقرب منه، فليس خوفهم خوف وحشة كخوف المسيئين المنقطعين، لأن الله عز وجل معهم بصفة الإقبال عليهم والمحبة لهم وهذا بخلاف هيبة الجلال. فإنها متعلقة بذاته وصفاته وكلما كان عبده به أعرف وإليه أقرب كانت هيبته وإجلاله فى قلبه أعظم وهى أعلى من درجة خوف العامة.

وقد فرق ابن القيم بين الخوف وما يتقارب معها من ألفاظ فقال والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة، وقد سبق تعريف الخوف أما الخشية أقصى من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله، قال تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء" فهى خوف مقرون بمعرفة. وقال النبىﷺ "إنى أتقاكم لله، وأشدكم له خشية" وأما الرهبة فهى الإمعان فى الهرب من المكروه وهى ضد الرغبة التى هى سفر القلب فى طلب المرغوب فيه. وأما الوجل فرجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته، وأما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة والإجلال تعظيم مقرون بالحب.

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين والهيبه للمحبين والإجلال للمقربين. انظر مدارج السالكين ابن القيم الجوزية جـ١ ص ٣٨٤.

([٥٥٠]) أخرجه البخارى فى الرقاق١١ / ٣١٩، الحديث ٦٤٨١ ، ومسلم فى التوبة ٤/ ٢١١٠ الحديث ٢٥ / ٢٧٥٦.

([٥٥١]) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٥ /٤٣ والطبرانى فى الصغير ٢ / ٥٦ ، ٥٧

٦٢٧- وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري " أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نري ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس معها سحاب ؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالي يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقي أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتي إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر غير أهل الكتاب فيدعي اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله[٥٥٢]، فيقال: كذبتم ما أتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا

([٥٥٢]) قال تعالى: (وقال اليهود عزير ابن الله).قال هذا القول كما جاء فى تفسير الرازى رجل واحد من اليهود اسمه منخاص ابن عازوراء. وقال ابن عباس فى روايه سعيد بن جبير وعكرمة فى سبب نزول هذه الآية أنه: أتى جماعة من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فنزلت هذه الآية. فالقائلون بهذا المذهب بعض اليهود إلا أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناء على عادة العرب فى إيقاع اسم الجماعة على الواحد.

فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك فإن حكايه الله عنهم أصدق.

قال ابن عباس فى قولهم إن عزير ابن الله، أن اليهود أضاعوا التوارة وعملوا بغير التوراه وعملوا بغير الحق، فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير إلى الله وابتهل إليه فعاد حفظ التوارة إلى قلبه، فأنذر قومه به، فلما جربوه وجدوه صادقا فيه، فقالوا ما تيسر هذا إلا أنه ابن الله .

وقال الكلبى إن السبب فى ذلك هو أن بختنصر قتل علماءهم فلم يبق فيهم أحد يعرف التوراة. وقال السدى العمالقة قتلوهم فلم يبق فيهم أحد يعرف التوراة . " انظر مفاتيح الغيب جـ ١٤ ص ٦٣٠ - ٦٣١ مجلد ٧ .

يا رب فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون ؟ فيحشرون إلي النار كأنها سراب يحطم بعضـــها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعي النصاري فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قـــالوا: كنـــا نعبد المسيح ابن الله(٥٥٣)، فيقال لهم: كذبتم ما أتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقول لهم : ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم: ألا تردون ؟ فيحشـــرون إلـــي جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتي إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه في أدني صورة من التي رأوه فيهـــا قال: فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مـــرتين أو ثلاثا حتي أن بعضهم ليكاد أن ينقلب . فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونـــه بهـــا؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقي من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقي من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلمـــا أراد أن يسجد خر علي قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيهـــا أول

إن المعروف من تاريخ اليهود أنه عندما أحرق هيكل سليمان كان فيه التوراة ولـــم يكن أحد من اليهود يحتفظ بنسخه لديه لأنه ما كان يقرأ إلا فـــى الهيكـــل علـــى أيـــدى أحبارهم، وقد شتت اليهود فى الاسكندرية. مصر وبلاد الشام ، ولما عادوا لم يكن أحد يحفظ التوراة إلا عزير فأملاها عليهم لذلك قالوا إنه ابن الله وما أعطاه الله التـــوراة إلا لذلك والله أعلم .

(٥٥٣) قال تعالى: (وقالت النصارى المسيح ابن الله) وهذا القول دخل النصرانيه بعد رفع عيسى عليه السلام على يد بولس الرسول والكلام فى ذلك لا يسعه المقام هنا. وما نؤمن إلا بقوله تعالى:"وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علـــم ولا لآبـــائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً" الكهف: ٤،٥

مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر علي جهنم وتحل الشـفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم . قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قـال: دحـض مزلـة فيهـا خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمـر المؤمنـون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويـد الخيـل والركـاب فنـاج مسـلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمون من النـار فوالـذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المـؤمنين لله يـوم القيامة لإخوانهم الذين في النار: يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجـون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم علي النار فيخرجون خلقاً كثيرا قد أخذت النار إلي نصف ساقية وإلي ركبتية ثم يقولون يا ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا بـه فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فـأخرجوه فيخرجـون خلقـا كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا. ثم يقول: ارجعون فمن وجدتم قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا فيقولون: ربنا لم نذر فيها أحـدا ممن أمرتنا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقـال ذرة مـن خيـر فـأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا. وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وأن تك حسنة يضعافها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) فيقول الله عز وجل: شـفعت الملائكـة وشـفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحيـاة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلي الحجر أو إلي الشـجر ما يكون إلي الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلي الظل يكون أبيض؟ فقـالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعي بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ فـي رقـابهم الخـواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خيـر قدموه ثم يقول: أدخلوا الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول: أدخلـوا الجنـة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. فيقـول: لكـم

عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً" (٥٥٤).

٦٢٩- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبى هريرة: "أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: "هل تضارون من القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها وذكر الحديث قال: ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن يقى بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجى، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً فمن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول: أى رب اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك بك ان تسأل غيره؟ فيقول : لا أسألك غيره ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء

(٥٥٤) مسلم فى الإيمان ١/ ١٦٧ - ١٧١ الحديث ٣٠٢ / ١٨٣ .

الله فيصرف الله وجهه عن النار؛ فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أى رب قدمنى إلى باب الجنة فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك؟ ويلك ياابن آدم ما أغدرك. فيقول: أي رب ويدعو الله، حتي يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلي باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فيري ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالي له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول: أي رب لا أكون أشقي خلقك فلا يزال يدعو الله حتي يضحك الله تبارك وتعالي منه فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له : تمنه فيسأل ربه ويتمني حتي إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل: ذلك لـه ومثله معه " (°°°)

٦٣٠- قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة: " إن الله قال لذلك الرجل ومثله معه " قال أبو سعيد: " وعشرة أمثاله معه" يا أبا هريرة، قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: " ذلك لك ومثله معه " قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: " ذلك لك وعشرة أمثاله " قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة يدخلون الجنة.

٦٣١- وذكر عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها وقال : تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ثم يرفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها

(°°°) مسلم فى الإيمان ١/١٦٣ – ١٦٦ الحديث ٢٩٩ / ١٨٢ .

فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها. فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يري ما لا صبر له عليه. فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول: أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول : أي رب أدنني من هذه فأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يري ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزي مني وأنت رب العالمين فيقول: إني لا أستهزي منك ولكني علي ما أشاء قادر"(٥٥٦).

٦٣٢- وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في هذا الحديث قال فيه: " ويذكره الله سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل: هو لك وعشرة أمثاله. قال: ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين(٥٥٧) فيقولان له: الحمد لله رب العالمين الذي أحياك لنا وأحيانا لك فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت " (٥٥٨)

---

(٥٥٦) مسلم فى الإيمان ١/١٧٤ ، ١٧٥ الحديث ٣١٠ / ١٨٧ .

(٥٥٧) الحور العين: قال الإمام الغزالى قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه. وذكر رواية وآيه عن أنس فقال: روى أنس رضى الله عنه أن رسول

باب ذكر من يخرج من النار
برحمة الله تعالي من غير شفاعة أحد

٦٣٤- قد تقدم حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وذكر خروج من يخرج من النار بشفاعة الملائكة والنبيين وغيرهم: " قال فيقول الله عز وجل قد شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار[٥٥٩] فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط وذكر الحديث " . وقوله عز وجل

الله ﷺ قال: "غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها " الخمار" على رأسها خير من الدنيا بما فيها" صحيح البخارى. وذكر قول أبو سعيد الخدرى فقال: وقال أبو سعيد الخدرى " قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى – كأنهن الياقوت والمرجان – قال ينظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآه وإن أدنى لؤلؤه عليها لتضئ ما بين المشرق والمغرب وأنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك" الإحياء جـ ٤ ص ٥٢٤.

([٥٥٨]) مسلم فى الإيمان ١/ ١٧٥ ، ١٧٦ الحديث ٣١١/ ١٨٨.

([٥٥٩]) اختلف العلماء فى الجنة والنار أخلقتا أم لا فقال أهل السنة والاستقامة هما مخلوقتان، وقال كثير من أهل البدع لم تخلقان اصول الدين ٢٣٧".
قالت طائفة من المعتزلة والخوارج إن الجنة والنار لم تخلقا بعد وقد استدلوا على ذلك بدعاء امرأة فرعون الله أن يبنى لها بيتا فى الجنة قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن فى الدعاء فى استئناف البناء والغرس معنى، وذهب أهل السنة وهو الصحيح إلى أنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقه ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان. والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ رأى الجنة ليلة الإسراء وأخبر عليه السلام أنه

في الحديث قبل هذا: "وعزتي وكبريائي وعظمتي وكبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله ".

٦٣٥- ورروي سنان بن حرب العبسي سمع ابن عمر عن النبي عليه السلام قال: "اشتكت النار إلي ربها عز وجل ضيقها بما فيها من أهلها وحرها وزمهريرها فغمزها فقال: حسبي علي عبادي فأخرج منها عدد الجراد والذباب" ذكره أبو الحسن الارقطني.

٦٣٦- وذكر أبو بكر البزار عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو العاص قال: "يأتي علي جهنم زمان تخفق أبوبها ليس فيها أحد يعني من الموحدين" هكذا رواه موقوفاً من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر النبيﷺ.

باب ما أول طعام أهل الجنة

٦٣٨- ذكر البخاري[٥٦٠] من حديث أنس ابن مالك: "أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم نبي اللهﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا

رأى سدرة المنتهى فى السماء السادسة وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى: "لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون"، وأخبر عليه الصلاة والسلام فى السموات سماء سماء، قال ابن حزم ولا شك فى أن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة فى الجنة فصح أن الجنات هى السماوات، وكذلك اخبر عليه السلام أن الفردوس الأعلى من الجنة التى أمرنا الله تعالى أن نسأله إياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة إذن مخلوقة. انظر الفصل فى الملل والنحل جـ٤ ص ٨١.

(٥٦٠) البخارى فى الأنبياء جـ ٦ رقم ٣٣٢٩ وعن أبى سعيد مثله فى " زيادة كبد الحوت" فتح البارى كتاب الرقاق جـ١١ ص ٤١٥ وحديث رقم ٦٥٢٠ باب

نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلـــي أبيه أو إلي أمه ؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً قال ابن سلام: ذلك عدو اليهــود مــن الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلي المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل مــاء المــرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فسلهم عني قبل أن يعلموا بإســلامي فجاءت اليهود فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضــلنا وابــن أفضلنا، فقال النبيﷺأرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام، قالوا: أعاذه الله من ذلــك فأعــاد

يقبض الله الأرض يوم القيامه ونص الحديث: "عن أبى سعيد الخــدرى قــال النبــىﷺ تكون الأرض يوم القيامة خبزه واحده فيتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فــي السفر نزلا لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزه واحدة كما قال النبىﷺ فنظر النبىﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجزه ثم قال: ألا أخبــركم بــإدامهم؟ قال: إدامهم باللام والنون. قال: وما هذا. قال: نور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفا " حديث رقم ٦٥٢٠.

والإدام ما يؤكل من الخبز. النون وهو الحوت على ما فسر فى الحديث، وأما بالام فدل التفسير من اليهودى على أنه اسم النور فهى لفظة عبرانية على أصح الأقوال.
قال عياض: زيادة الكبد وزائدتها هى القطعة المنفردة المتعلقة بها وهى أطيبــه ولهــذا خص بأكلها السبعون ألفا ولعلهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب فضلوا بأطيب النزل، ويحتمل أن يكون عبر بالسبعين عن العدد الكثير ولم يرد الحصر فيها ." كتاب الرقــاق " فتح البارى " جـــ ١١ ص ٣٧٤.

عليهم فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رســول الله، قالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه، قال: هذا أخاف يا رسول الله.

باب من صفة الجنة وما أعد الله لأهلها

قال الله عز وجل: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنت لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة(٥٦١) وهــم فيهــا خالــدون(٥٦٢)) [البقــرة : ٢٥]

---

(٥٦١) المراد بتطهير الأزواج تطهيرهن من الأقذار والأدناس لاسيما التى تخــتص بالنساء وكذا من الأخلاق الذميمة وعادات السوء، والمعنى ولهم جماعة أزواج مطهرة، وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهــي الإشــعار بــأن مطهــراً طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد لعباده أن يخولهم كل مزية فيما أعدّ لهــم. وهاهنا نكته وهى أن المرأة إذا حاضت فالله تعالى يمنع من مباشرتها قــال تعــالى: " فاعتزلوا النساء فى المحيض" مع أنها معذورة فى تنجسها، فإذا كانت اللواتى فى الجنة مطهرات فلأن يمنعك عنهن إذا كنت نجسا بالمعاصى مع أنك غير معذور فيهــا كــان أولى. "غرائب القرآن النيسابورى جــ١ ص ١٩٥". وقال مجاهد فى قوله تعــالى : " أزواج مطهرة – قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد " إحياء علوم الدين جــ ٤ جــ ٥٢٥ .

(٥٦٢) القول فى دوام نعيم أهل الجنة: أجمع أهل السنة وكل من سلف مــن أخيــار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفــرة فــى النار. وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان. وزعم أبو الهذيل أن أهــل الجنــة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خموداً ساكنين سكونا دائما لا يقدر الله تعالى حينئــذ على شئ من الأفعال ولا يملك لهم حينئذ ضراً ولا نفعاً، وقد رد صاحب كتاب أصول

الدين هذا القول الذى نسب لأبى الهذيل بقوله كفاه بدعواه فناء مقـدورات الله تعـالى " وأن هذا القول يكذبه القرآن الكريم الذى جاء فيه " أكلها دائم" انظر أصـول الـدين جـ ـ ٢٣٨".

فالجنة والنار لا تفنيان عند أبى الهذيل ولا يفنى أهلها إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم فى ذلك أحياء متلذذون أو معذبون، ومذهب أبى الهذيل كما رواه ابن حزم مبنيا على أن الحركات التى تصدر من الإنسان ذات عدد وإذا كانت كذلك فكل ما أحصاه العدد فهو ذو نهايه فحركات الإنسان فى الجنة أو النار لها نهايـه فينتهون إلى حال يبقون فيها خمودا ساكنين سكونا دائما، وقد وضح الخياط رأى أبـى الهذيل فى هذه المسألة فقال: " إن أبا الهذيل كان يزعم أن الدنيا دار عمل وأمر ونهـى ومحنة واختبار والآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا دار أمر ولا نهى ولا محنـة ولا اختبار. قال : فأهل الجنة فى الجنة يتنعمون فيها ويلذون والله تعالى المتولى لفعـل ذلك النعيم الذى يصل إليهم وهم غير فاعلين له. قال : ولو كانوا فى الجنة مع صـحة عقولهم وأبدانهم ويجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها منهم لكانوا مأمورين منهيـين . ولو كانوا كذلك لوقعت منهم الطاعة والمعصية، ولكانت الجنة دار محنة وأمـر ونهـى ولم تكن دار ثواب وكان سبيلها سبيل الدنيا. وقد جاء الإجماع بأن الدنيا دار عمل وأمر ونهى والآخرة دار جزاء وليست بدار أمر ولا نهى، وهذا الإجماع يوجب مـا قلـت." وقال الخياط هذه حجة أبى الهذيل فى نفيه أن يكون أهل الجنة يفعلون على الحقيقة ". وقد نفى الخياط أن يكون أبو الهذيل قصد سكون أهل الجنة أن يكونوا كالحجارة وذلـك لأن "الحجارة موات ليست بحية ولا عالمة، وأهل الجنة عند أبى الهذيل أحيـاء عقـلاء فهماء فيما يشبه أهل الجنة عنده من الحجارة" انظر الانتصار ص ٩١.

وعلى ذلك فأبو الهذيل لا ينفى دوام نعيم أهل الجنة ولكن ينفى عملهم فى الجنة لأنها ليست دار عمل أو أمر ونهى. وبذلك أعمال العباد عند المعتزلـة موافقـة لـدار حياتهم فالعمل فى الدار الدنيا من العبد لأنه مثاب ومعاقب عليه وفى الدار الآخرة مـن الله لأنها لا ثواب ولا عقاب على عمل هناك.

وأما قول الجهمية بأن النار والجنة تفنيان وأن أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذلك أهل النار من النار إلى حيث شاء الله . فقد رده ابن حزم فقال: "أما هذه المقالة ففى غاية الغثاثة والتعرى من شئ يشغب به فكيف من إقناع أو برهان وما كان هكذا فهو ساقط ، وقد أورد أدلتهم على هذا القول وفنده، قال ابن حزم "أما جهم ابن صفوان فإنه احتج بقول الله تعالى" وأحصى كل شئ عدداً"، وبقوله تعالى :"كل شئ هالك إلا وجهه " وقال كما لا يجوز أن يوجد شئ لا يزال غير الله تعالى. رد ابن حزم ذلك بقوله: "ما نعلم له حجة غير هذا أصلاً وكل هذا لا حجة له فيه، وقال ابن حزم فى استشهاده بقوله تعالى: كل شئ هالك إلا وجهه" فإنما عنى تعالى الاستحالة من شئ إلى شئ ومن حال إلى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى، وكذلك مدد النعيم فى الجنة والعذاب فى النار فكلما فنيت مدة أحدث الله عز وجل أخرى وهكذا أبداً بلا نهاية ولا آخر". وقال ابن حزم فى قوله تعالى "وأحصى كل شئ عدداً" الذى استشهد به الجهمية " فإن اسم الشئ لا يقع إلا على موجود والإحصاء لا يقع على ما ذكرنا إلا على ما خرج إلى الفعل ووجد بعد وإذا لم يخرج من الفعل فهو لا شئ بعد ولا يجوز أن يعد لا شئ وكل ما خرج إلى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلها فمحصى بلا شك ثم يحدث الله تعالى مدداً آخر وهكذا أبداً بلا نهاية ولا آخر" الفصل جـ ٤ ص ٨٣ – ٨٥.

وقد أورد ابن حزم الأدلة على خلود الجنة والنار وأهلها ومن ذلك ما جاء فى القرآن الكريم يؤيد ذلك من قوله تعالى: " خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ " وقوله تعالى: "خالدين فيها أبداً " وقوله تعالى: " لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى "وهذا مذهب أهل الحق وبه القرآن الكريم." الفصل فى الملل جـ٤ ص ٨٥".

،(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنا تجري من تحتها الأنهار خالـــدين فيهـــا أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً [٥٦٣])[النساء : ٤٧].
(إن المتقين[٥٦٤]) في جنات وعيون[٥٦٥] ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنـــا مـــا فـــي صدورهم من غل[٥٦٦] ، إخواناً علي سرر متقابلين[٥٦٧] ، لا يمسهم فيها نصـــب[٥٦٨]،

([٥٦٣]) هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل إلا ظله. النيســـابورى جـــ ٥ ص ٧٥.

([٥٦٤]) المتقين يتناول جميع القائلين بكلمة الإسلام وهى لا إلـــه إلا الله محمـــد رسول الله قولا واعتقاداً سواء كان مـــن أهـــل الطاعـــة أو مـــن أهـــل المعصـــية . النيسابورى جـ ١٤ ص ٢٠.

([٥٦٥]) الجنات أقلها أربع لقوله تعالى: "ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومـــن دونهما جنتان، وأما العيون فإما أن يراد بها الأنهار المذكورة فى قوله تعـــالى: "فيهـــا أنهار من ماء غير آسن" وإما أن يراد بها منابع غير ذلك، ثم إن كل واحد من المتقين يحتمل أن يختص بعين وينتفع بها كل من فى خدمته من الحور والولدان ويكون ذلـــك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل أن يجرى من بعضهم إلى بعض لأنهم مطهرون من كل حقد وحسد. النيسابورى جـ ١٤ ص ٢٠

([٥٦٦]) نزع الشئ قلعه من مكانه والغل والحقـــد ، قـــال النيســـابورى ، للآيـــة تفسيران الأول أزلنا الأحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فـــى دار الـــدنيا بتصـــفية الطباع وإسقاط الوسواس ومنعه من أن يرد على القلوب، فإن الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لإلقاء الوسواس فلم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف . والتفسير الثانى للآيـــة " أن درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى أن صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا ولـــيس هـــذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة، فإن أولياء الله تعالى فى دار الدنيا أيضا بهذه المثابة

وما هم عنها بمخرجين)[الحجر: ٤٥ ، ٤٨]،(وقالوا الحمد لله الــذي أذهــب عنــا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب[٥٦٩]) [فاطر: ٣٤-٣٥]،(إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيــون يلبسون من سنــدس وإستبرق[٥٧٠] متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين[٥٧١] يــدعون

بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له مــن نعــيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه ، إلى زوجة لغيره أحسن من زوجته ولا إلى مشتهى ألــذ مما رزقه الله وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لأمر رب الأرض والسماء فيموتون كذلك ويخسرون على ذلك . النيسابورى جــ٨ ص ٩٥.

([٥٦٧]) المراد بالإخوه إخوه الدين والتعاطف، والسرر: جمع ســرير قيــل هــو المجلس الرفيع المهيأ للسرور. وقال الليث سرير العيش مستقره الذى يطمئن عليه حال سروره وفرحه، والتركيب يدور على العزة والنفاسة، عن ابن عباس يريد على ســرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، وعن مجاهد تدور بهم الأسرة حينمــا داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين، والتقابل التواجه يقيض التدابر، وتقابــل الإخــوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الآخر بالكلية. النيسابورى جـــ ١٤ ص ٢١".

([٥٦٨]) أى تعب تلويح إلى كونها سالمة من المنغصات وهو إشــارة إلــى نفــى المضار الجسدانية كما أن نزعنا ما فى صدورهم من غل " إشارة إلى نفــى المضــار الروحانية. النيسابورى ص ٢١ جــ١٤.

([٥٦٩]) النصب التعب والمشقة التى تصيب المزاول للأمر المنتصب له، واللغوب ما يلحقه من الفتور والكلال. النيسابورى جــ٢٢ ص ٩٥.

([٥٧٠]) قد جاء فى صفة ثياب أهل الجنة ما جاءت به الآيات الكريمــة الآتيــة: "يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضراً من سندس وإستبرق" الكهــف ٣١

فيها بكل فاكهة آمنين[٥٧٢] لا يذوقون الموت إلا الموتة الأولي. ووقاهم عذاب الجحيم . فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم)[الدخان: ٥٢-٥٧] ، (والسابقون الســابقون[٥٧٣]

وقوله تعالى: " يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير " الحج ٢٣. وقوله عز وجل: " عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وســقاهم ربهم شرابا طهوراً " قال النيسابورى فى لباس أهل الجنة " ولأهل الجنة لباســاً لبــاس التحلى ولباس الستر" وقال فى لباس الستر " بين السندس، وهو مارق من الديباج وبــين الإستبرق، وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين "، وقال ابن كثيراً إن السندس لباس رفاع رقاق كالقمصان وما جرى مجراها وأما الاستبرق فغليظ الديباج، وفيه بريق". وجاء فى لسان العرب " وفى الحديث أن النبىﷺ بعث إلى عمر رضى الله عنه بجبه سندس، قال المفسرون فى السندس إنه رقيق الديباج ورفيعه، وفى تفسير الإستبرق إنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه". وعلى ذلك فثياب أهل الجنة من الحرير المطرز ليس بالرقيق الشفاف ولا بالغليظ الكثيف.

(٥٧١) – قال النيسابورى اختلفوا فى الحور فعن الحسن هن عجائزكم ينشــئهن الله خلقاً آخر ، وقال أبو هريرة لسن من نساء الدنيا. ، وقال ابن كثير هــن الزوجــات الحسان الحور العين " اللاتى لم يطمــثهن إنــس قــبلهم ولا جــان" كــأنهن اليــاقوت والمرجان".

(٥٧٢) أى مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنــون مــن انقطاعــه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا. وقــال النيســابورى "يــدعون" أى يحكمــون ويأمرون فى الجنة بإحضار ما يشتهون من الفواكه فى أى وقت ومكان " آمنين " مــن التخم والتبعات. النيسابورى جـ ٢٥ ص ٨٨. ابن كثير جـ٤ ص ١٤٦.

(٥٧٣) الآيات " فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشــئمه مــا أصحاب المشئمه والسابقون السابقون أولئك المقربون ..." قال ابن كثير: " ينقســم

الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شـق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين، قال السدى وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر يؤتون كتـبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار، وطائفة سابقون بين يديـه عـز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سـادتهم فـيهم الرسـل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين " وعن ابن عباس فى " أزواجا ثلاثة " قال هى التى فى سورة الملائكة " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات.

وعن السابقين عن عائشه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أتدرون من السابقون إلى ظل الله قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين إذا اعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للنـاس كحكمهم لأنفسهم" ، وقال السدى "هم أهل عليين" وعن ابن عباس " والسابقون السابقون" قال : يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلى بـن أبـى طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ ، وعن ابن سيرين السابقون السابقون الذين صـلوا إلى القبلتين، وعن قتادة "والسابقون السابقون" أى من كل أمة. وعن ابن أبى أسوده قال: "أولهم رواحا إلى المسجد، وأولهم خروجا فى سبيل الله. قال ابن كثير هذه الأقوال كلها صحيحة فإن المراد بالسابقين: "هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كمـا قـال تعالى: " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض" وقال تعالى: "سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض " فمن سابق فـى هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان فى الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجـزاء مـن جنس العمل وكما تدين تدان، ولهذا قال " أولئك المقربون فى جنات النعيم".

أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخـــرين[٥٧٤] علـــي ســـرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون[٥٧٥] بـــأكواب وأبـــاريق وكأس من معين[٥٧٦]لا يصدعون عنها ولا ينزفون[٥٧٧]وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير

---

(٥٧٤) ثلة أى جماعة من الأولين وقليل من الآخرين، وقد اختلفوا فى المـــراد بقوله الأولين والآخرين فقيل المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمه وهـــو قول مجاهد والحسن البصرى وأستأنس بقولهﷺ "نحن الآخرون السابقون يوم القيامـــة " وعن أبى هريرة قال: لما نزلت " ثلة من الأولين وقليل من الآخرين " شق ذلك علـــى أصحاب النبىﷺ فنزلت " ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " فقال النبىﷺ "إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنـــة وتقاسمونهم النصف الثانى" البخارى الرقاق . انظر تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٢٨٤.

(٥٧٥) أى مخلدون على صفة واحدة لا يتكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون.

(٥٧٦) الأكواب فهى الكيزان التى لا خراطيم لهـــا ولا آذان، والأبـــاريق التـــى جمعت الوصفين والكئوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس مـــن أوعية تنقطع وتفزغ بل من عيون سارحة.

(٥٧٧) لا يصدعون عنها ولا ينزفون: أى لا تصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال فى الخمر أربع خصال السكر، والصداع والقئ والبول فذكر الله تعـــالى خمـــر الجنـــة ونزهها عن هذه الخصال. تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٨٦.

مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلــؤ المكنــون[٥٧٨]جــزاء بمــا كــانوا يعملــون) [الواقعة: ١٠-٢٤] ،(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود[٥٧٩] وطلح منضود[٥٨٠] وظل ممدود[٥٨١] وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعــة

---

(٥٧٨) عن الرسولﷺ "حور عين" حور بيض عين ختام العيون شفر الحــوراء بمنزلة جناح النسر" وقالﷺ كأمثال اللؤلؤ المكنون " صفاؤهن صفاء الدر الــذى فــى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى.

(٥٧٩) – السدر شجر النبق " القاموس المحيط " والسدر المخضود : هو الــذى لا شوك فيه وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر يقول ابن كثير فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفى الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله عن الرسولﷺ "أليس الله تعالى يقول "فى سدر مخضود" خضد الله شوكه فجعــل مكان كل شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر " تفسير ابن كثير جــ٤ ص ٢٨٨.
وخضد الشجر : قطع شوكه القاموس المحيط .

(٥٨٠) قال مجاهد "منضود" أى متراكم الثمر. قال ابن عباس يشبه طلح الــدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل. وعن أبى سعيد (وطلح منضود) قال الموز. وهو الذى لا شوك له. عن الرسولﷺ عندما سأله الأعرابى فقال يا رسول الله أسمعك تذكر فــى الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكا منها يعنى الطلح، فقال الرسولﷺ إن الله يجعــل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل حضوة التيس المليود فيها سبعون لونا مـــن الطعــام لا يشبه لون الآخر " والطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاء واحدته طلحه وهو شجر كثير الشوك. تفسير ابن كثير جــ ٤ ص ٢٨٨.

وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمـــين([٥٨٢]) [الواقعة: ٢٧-٣٨] ،(وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيهـا لاغية) [الغاشية :٨- ١١] .

٦٣٩- أبو بكر البزار من حديث أبي سعيد الخدري عن النبيﷺ قال: " خلق الله تبارك وتعالي الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك وقال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة: طوبي لك منزل الملوك"([٥٨٣]) وهـذا يـروى موقوفاً عن أبي سعيد قال: " خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة فقالت: طوبي لك منزل الملـوك ".

([٥٨١]) عن أنس عن النبىﷺ فى قوله تعالى: "وظل ممدود" قـال " فـى الجنـة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها " تفسـير ابـن كثيـر جـــ ٤ ص ٢٨٩. البخارى فى الرقاق رقم ٦٥٥٢.

([٥٨٢]) "إنا أنشأناهن إنشاء " أى أعدناهن فى النشأة الأخرى " بعد ماكن عجـائز رمصا صرن أبكاراً عربا أى بعد الثيوبه عدن أبكاراً عربا متحببـات إلـى أرواحهـن بالحلاوة والظرافة والملاحة. وعن الرسولﷺ "يعنى الثيب والإبكار التى كن فى الدنيا. عن الحسن قال: أتت عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فقال: " يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز " قال فولت تبكى، قال اخبروها أنهـا لا تـدخلها وهى عجوز إن الله تعالى يقول: إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً" رواه الترمذى.
عربا عن الرسولﷺ: "عربا كلامهن عربى" ، وقال زيد بن أسـلم: "العـرب حسـنات الكلام. " أترابا " عن ابن عباس يعنى فى سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة وقـال مجاهـد الأتراب المستويات.

([٥٨٣]) مجمع الزوائد ١٠ / ٤٠٠ .

٦٤٠- وذكر الترمذي عن أبي هريرة قال: "قلت يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء. قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبؤس ويخلد لا يموت لا يفني شبابهم ولا تبلي ثيابهم" [٥٨٤].

٦٤١- ومن حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري: "أن ابن صياد سأل النبيﷺ عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص" [٥٨٥].

٦٤٤- وذكر مسلم أيضاً من حديث سهب بن سعد عن رسول اللهﷺ قال: "أن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها" قال أبو حاتم : فحدثت به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال: حدثني أبو سعيد الخدري عن النبيﷺ قال: "أن في الجنة شجرة يسير الراكب ذو الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها "[٥٨٦].

٦٤٥- وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: "يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم (

([٥٨٤]) الترمذى رقم ٢٦٤٦ .

([٥٨٥]) الدرمك هو الدقيق الحوارى الخالص البياض شرح صحيح مسلم ٥٢/١٨ ، أخرجه مسلم فى الفتن ٢٢٤٣/٤ الحديث ٢٩٢٨/٩٣.

([٥٨٦]) البخارى فى الرقاق رقم ٦٥٥٤ .

وظل ممدود) ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).(٥٨٧)

٦٤٧- وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : " ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب " (٥٨٨).

٦٤٩- وذكر ابن المبارك عن سليم بن عامر قال: " كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: إنه لينفعنا الله بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابى يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أدري في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال السدر فإن له شوكاً مؤذياً فقال رسول الله ﷺ: " أو ليس يقول (سدر مخضود) خضد الله شوكة فجعل مكان كل ذي شوكة ثمرة فإنها لتنبت تمراً تفيق التمرة منها علي أثنين وسبعين لوناً طعام ما فيه لون يشبه الآخر"(٥٨٩). ويروي ثمراً بالثاء المثلثة فيها كلها .

٦٥٠- وقال عليه السلام: "وذكر سدرة المنتهي وإذا ثمرها كالقلال" ذكره مسلم بن الحجاج(٥٩٠) رحمه الله .

٦٥١- وذكر مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "عن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضي يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط

---

(٥٨٧) الترمذى رقم ٣٢٩٢.

(٥٨٨) الترمذى فى الجنة ٤ رقم ٢٥٢٥ .

(٥٨٩) اخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٤٧٦.

(٥٩٠) مسلم فى الإيمان١٤٥ ، ١٤٧ الحديث ٢٥٩ / ١٦٢، والبخارى فى بدء الخلق رقم ٣٢٠٧.

أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" (٥٩١)

٦٥٢- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلي والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين"(٥٩٢).

٦٥٩- وذكر النسائي من حديث زيد بن أرقم قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم أتزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال : أي والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة. قال الرجل: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذي فقال النبي ﷺ: حاجة أحد منهم رشح يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر .

٦٦٠- وذكر الترمذي من حديث أنس بن مالك قال: "سئل رسول الله ﷺ: "ما الكوثر؟ قال: ذلك نهر أعطانيه الله، يعني في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر ،قال عمر: إن هذه لناعمة. قال رسول الله ﷺ: آكلها أنعم منها(٥٩٣).

---

(٥٩١) مسلم فى الجنة ٢١٧٦/١ الحديث ٢٨٢٩/٩ والبخارى فى الرقاق جـ ١١ رقم ٦٥٤٩ .

(٥٩٢) مسلم فى الجنة ٢١٧٧/٤ الحديث ٢٨٣١/١١ والبخارى فى بدء الخلق جـ٦ رقم ٣٢٥٦ .

(٥٩٣) الترمذى فى الجنة ٦٨٠/٤ ، ٦٨١ الحديث ٢٥٤٢.

٦٦٢- أبو بكر بن عبد الله الشافعي من حديث أنس بن مالك عن النبيﷺ: " يبعث أهل الجنة علي صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلي شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلي ثيابهم ولا يفني شبابهم" ذكره الترمذي[٥٩٤] وحديث أبي بكر أكمل .

٦٦٥- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبىﷺ قال: " ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل: (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) [٥٩٥] .

٦٦٦- وعن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبىﷺ قال: "إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضاً" [٥٩٦] .

٦٦٨- وذكر الترمزى من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أدنى اهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب لهم قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء" [٥٩٧] .

٦٦٩- وذكر الترمذى من حديث على بن أبى طالب قال: قال رسول اللهﷺ: "إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام إليه أعرابى

---

(٥٩٤) رقم ٢٦٦٦

(٥٩٥) مسلم في الجنة ٤/٢١٨٢ الحديث ٢٢/٢٨٣٧ [illegible]

(٥٩٦) البخاري في [illegible]

(٥٩٧) الترمذي [illegible]

فقال: لمن هى يا رسول الله؟ قال: هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعـــام وأدام الصـــيام وصلى لله بالليل والناس نيام" (٥٩٨) .

٦٧٢- وعن سعد بن أبى وقاص عن النبىﷺ قال: "لو أن ما يقل ظُفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ولو أن رجلاً من أهل الجنـــة أطلع فبدت أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم"(٥٩٩).

٦٧٤- وذكر الترمذى أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبىﷺ قـــال: " إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يُـــرى مُخهـــا وذلك بأن الله عزّ وجل يقول: (كأنهن الياقوت والمرجان) فأما الياقوت فإنه حجـــر لـــو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لأريته من ورائه" (٦٠٠) ويروى هذا عـــن عبـــد الله بـــن مسعود قوله.

٦٧٩ – وذكر البراز فى مسنده عن أبى هريرة قال: " قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة؟ قال: أى والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى فى اليوم الواحد إلـــى مائة عذراء"(٦٠١).

٦٨٠- وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رســـول اللهﷺ: " أهـــل الجنـــة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً" (٦٠٢).

---

(٥٩٨) الترمذى رقم ٢٦٤٧ .
(٥٩٩) الإمام أحمد فى سنده ١/ ١٧١ . زوائد الزهد رقم ٤١٦.
(٦٠٠) الترمذى فى القيامة رقم ٢٥٣٣، والدارمى فى الرقائق ٢/ ٣٣٦.
(٦٠١) المجمع ١٠/ ٤١٦.
(٦٠٢) المطالب العالية ٤/ ٤٠١.

٦٨١ – وذكر الترمذى من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه: " أن رجلاً سـأل النبىﷺ فقال: يا رسول الله هل فى الجنة من خيل؟ قال: إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحـمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك فـى الجنـة حيـث شـئت إلا فعـلت"(٦٠٣).

٦٨٢– قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل فى الجنة من إبل؟ قال: فلـم يقل له ما قال لصاحبه فقال إن يُدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسـك ولـذت عينك".

٦٨٣– وذكر الترمذى من حديث عبادة بن الصامت أن رسول اللهﷺ قال: "فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العـرش فـإذا سـألتم الله فاسـألوه الفردوس" (٦٠٤).

٦٨٤– وذكر الترمذى أيضاً من حديث أبى هريرة قال: قال رسـول اللهﷺ: " فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين عام " (٦٠٥).

٦٨٥– وذكر الترمذى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى عن النبىﷺ قـال: " إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداها لوسعتهم" (٦٠٦).

---

(٦٠٣) الترمذى رقم ٢٦٦٦ .
(٦٠٤) الترمذى رقم ٢٦٥١.
(٦٠٥) الترمذى رقم ٢٦٤٩.
(٦٠٦) الترمذى رقم ٢٦٥٣.

٦٨٦- وذكر النسائى من حديث أبى هريرة أن النبىﷺ قال: "من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة، ومـــن شرب فى آنية الذهب والفضة فى الدنيا لم يشرب بها فى الآخرة" ثم قال رسول اللهﷺ: "لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة".

٦٨٧- وذكر مسلم من حديث أبى بكر بن عبد الله بن قيس عـــن أبيـــه عـــن النبىﷺ قال: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهمَا وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن" [٦٠٧].

٦٨٨- وذكر الترمذى عن حكيم بن معاوية عن أبية عن النبىﷺ قـــال: " إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعده" [٦٠٨].

٦٩١- وذكر البخارى عن سهل بن سعد عن النبىﷺ قال: " للجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون" [٦٠٩] .

باب ما جاء أن أهل الجنة لا ينامون

٦٩٤- ذكر البزار في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: قيل يـــا رســـول الله: "أينام أهل الجنة؟ قال: لا، النوم أخو الموت" [٦١٠] زاد أبو الحسن الدار قطني " الجنة لا موت فيها " ذكره من حديث جابر أيضاً .

---

(٦٠٧) البخارى فى التوحيد جـــ١٣ من فتح البارى رقم ٧٤٤٤.

(٦٠٨) الترمذى رقم ٢٥٧١ والامام أحمد ٥/٥.

(٦٠٩) البخارى فى بدء الخلق جـــ٦ الحديث رقم ٢٢٥٧١.

(٦١٠) المجمع ١٠/ ١٨.

باب ما جاء في زيارة أهل الجنة ربهم

٦٩٥- ذكر الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: "أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيهـا سـوق؟ قـال: نعـم، أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهـم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدي لهم فـي روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دنـي علي كثبان المسك الكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبـو هريرة: قلت يا رسول الله وهل نري ربنا ؟ قال: نعم هل تتمارون في رؤيـة الشـمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا ، قال : كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقي في ذلـك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتي يقول للرجل فيهم: يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب أفلم تغفر لي ؟ فيقول بلي فبسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه فبينا هم علي ذلك غشيتهم سحابة من فـوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ويقول ربنا قوموا إلي ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظـر العيـون إلي مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر علي القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيهـا ولا يشتري وفي ذلك السوق يلق أهل الجنة بعضهم بعضاً قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقي من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتي يتخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيهـا ثم ننصرف ألي منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً لقد جئـت وأن لـك مـن

الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا " [٦١١]

باب

٦٩٦- وذكر الترمذي من حديث صهيب عن النبيﷺ في قوله تعالي: (للذين أحسنوا الحسني وزيادة)[٦١٢][يونس : ٢٦] قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، قالوا: ألم يبيض وجوهنا؟ ألم ينجنا من النار؟! ألم يدخلنا الجنة ؟! قالوا: بلي، فيكشف الحجاب فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه " [٦١٣].

باب ما جاء أن في الجنة سوقاً

٦٩٧- ذكر مسلم من حديث أنس بن مالك أن رسول اللهﷺ قال: "إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ويزدادون حسناً

---

(٦١١) الترمذى رقم ٢٦٧٣ وابن ماجه رقم ٤٣٣٦ .

(٦١٢) "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" أستدل أهل السنة بقوله تعالى: "الذين أحسنوا الحسنى وزيادة " على رؤية المؤمنين لله فى الجنة دون حجاب، فقد قال الرسولﷺ " فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهى الزيادة، كذلك فسرها الصحابة رضى الله عنهم، ولما عطف الزيادة على الحسنى دل على أنها جزاء آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها، وكذلك قوله تعالى: "ولدينا مزيد" قالوا فيها المزيد هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى .

(٦١٣) أخرجه مسلم فى الإيمان ١٦٣/١ الحديث ٢٩٧ /١٨١.

وجمالاً فيرجعون إلي اهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهـم أهلـوهم: والله لقـد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد أزددتم بعدنا حسناً وجمالاً " (٦١٤)

باب في صفة النار وصفة أهلها وما أعد الله لهم فيها

قال تبارك وتعالي: (إن الذين كفروا(٦١٥) بآياتنا(٦١٦) سوف نصليهم(٦١٧) ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها(٦١٨) ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيمـاً)[

---

(٦١٤) -أخرجه مسلم فى الجنة ٢١٧٨/٤ الحديث ٢٨٣٣/١٣ وانظر إحياء علـوم الدين جـ ٤ ص ٥٢٥ .

(٦١٥) يخبر تعالى عما يعاقب به فى نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله. قال الفخر الرازى فى حقيقة الكفر هو عدم تصديق الرسول فى شئ مما علـم بالضـرورة مجيئه به، ومثاله من أنكر وجود الصانع، أو كونه عالما قادراً مختاراً ، أو كونه واحداً أو كونه منزها عن النقائص والآفات، أو أنكر نبوة محمدﷺ أو صحة القرآن الكريم أو أنكر الشرائع التى علمنا بالضرورة كونها من دين محمدﷺ كوجوب الصـلاة والزكـاة والصوم والحج وحرمة الربا والخمر فذلك يكون كافراً؛ لأنه ترك تصديق الرسول فيما علم بالضرورة أنه من دينه. التفسير الكبير جـ٢ ص ٤٠٤ .

(٦١٦) عمم الفخر الرازى الآيات فقال: يدخل فى الآيات كل ما يدل علـى ذات الله وأفعاله وصفاته وأسمائه والملائكة والكتب والرسل، وكفرهم بالآيات ليس يكون بالجحد ، ولكن – كما قال الرازى فى تفسيره بوجوه: منها أن ينكروا كونها آيات، ومنها عـدم النظر فى هذه الآيات، ومنها الشك فيها والقاء الشبهات حولها، ومنها إنكارها مع العلـم بها على سبيل العناد والحسد. انظر التفسير الكبير جـ٩ ص ٢٥٤. بينما حـدد ابـن كثيـر الآيات فى دخلوهم النار قال: الآية، أى ندخلهم ناراً دخولا يحـيط بجميـع أجـرامهم وأجزائهم.

النساء : ٥٦] ،(إن الذين كذبوا بآياتنا[٦١٩] واستكبروا[٦٢٠] عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة[٦٢١]حتى يلج الجمل في سم الخياط[٦٢٢] وكذلك نجزي المجرمين لهم

---

(٦١٧) نصليهم أى ندخلهم النار لكن قوله تعالى:" نصليهم ناراً" فيه زيادة على ذلك فإنه بمنزلة شويته بالنار، يقال شاه مصلية أى مشوية . الفخر الرازى جـ٩ .

(٦١٨) نصليهم أى ندخلهم النار لكن قوله تعالى:" نصليهم ناراً" فيه زيادة على ذلك فإنه بمنزله شويته بالنار ، يقال شاه مصلية أى مشوية. الفخر الرازى جـ٩ .

(٦١٩) أى الذين كذبوا بالدلائل الدالة على المسائل التى هى أصول الدين، فالدهرية ينكرون دلائل إثبات الذات والصفات، والمشركون ينكرون دلائل التوحيد ومنكرو النبوات يكذبون الدلائل الدالة على صحه النبوات، ومنكروا نبوة محمد ينكرون الدلائل الدالة على صحة نبوته، ومنكرو المعاد ينكرون الدلائل الدالة على صحة المعاد. انظر التفسير الكبير. جـ١٣ ص ٦٧.

(٦٢٠) الاستكبار طلب الترفع بالباطل وهذا اللفظ فى حق البشر يدل على الذم ، قال تعالى: صفة فرعون " واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق"

(٦٢١) قال الفخر الرازى فى تفسيره" لا تفتح لهم أبواب السماء " هى من أعظم أنواع الوعيد والتهديد ذلك لأن السماوات موضع بهجة الأرواح وأماكن سعادتها ومنها تنزل الخيرات والبركات وإليها تصعد الأرواح حال فوزها بكمال السعادات ، فالكفار والمشركون محرومون منها. وفى قوله تعالى " لا تفتح لهم أبواب السماء" أقوال أوردها الرازى فى تفسيره وهى عن ابن بريد لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشئ مما يريدون به طاعة الله ، وقال الرزاى إن هذا التأويل مأخوذ من قوله تعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " فاطر: ١٠. ومن قوله تعالى: " كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين " المطففين: ١٨.

من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش[٦٢٣]وكذلك نجزي الظالمين) [الأعـــراف: ٤٠-٤١] ، (لم يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهـــورهم[٦٢٤]ولا هـــم

وقال السدى وغيره لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، وتفتح لأرواح المؤمنين.
القول الثالث: ان الجنة فى السماء فالمعنى: لا يؤذن لهم فى الصعود إلى الســماء ، ولا تطرق لهم إليهم ليدخلوا الجنة .
القول الرابع: لا تنزل عليهم البركة والخير، وهو مأخوذ من قولـــه تعـــالى : " ففتحنـــا أبواب السماء بماء منهمر" القمر:١١ مفاتيح الغيب جـ١٣ ص ٦٩.

(٦٢٢) يلج: الولوج الدخول، والسم: ثقب الإبرة. بين الله تعالى أن دخولهم الجنة ميئوسا منه قطعا وذلك لأنه تعالى وقف دخولهم الجنة على أمر محـــال وهـــو ولـــوج الجمل، الذى هو أعظم الأجسام، فى ثقب الإبره، وهو أضيق المنافذ، ومن المعروف أن الموقوف على المحال محال.

(٦٢٣)-المهاد جمع مهد وهو الفراش، والغواشى جمع غاشية وهـــى كـــل مـــا يغشاك قال المفسرون: المراد من هذه الآية الإخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء، وفراش ولحاف. الفخر الرازى جـ ١٣ ص ٧٠ .

(٦٢٤) وإنما خص الوجوه والظهور لأن من العذاب لهما أعظم موقعا ولكثرة ما يستعمل ذكرهما فى دفع المضره عن النفس، وفى قوله " لو يعلم" ، دليل على أن وقت العذاب للكفار غير معلوم لهم بل تأتيهم الساعة بغتة وهم لها غير محتسبين ولا لأمرها مستعدين فتدعهم حائرين واقعين لا يستطيعون حيلة فى ردها ولا عمـــا يـــأتيهم منهـــا منصرفاً. وإنما لم يعلم الله المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيـــه مـــن المصـــلحة لأن المرء مع كتمان ذلك أشد حذراً وأقرب إلى التلاقى . انظر الفخر الرازى جـ٢١ ص ١٣٠.

ينصرون)[الأنبياء :٣٩] ،(فالذين كفروا قطعت لهم ثياب(٦٢٥) من نار تصب من فوق رؤوسهم الحميم. يصهر به ما فى بطونهم والجلود(٦٢٦) ولهم مقامع من حديد(٦٢٧) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيه(٦٢٨) وذوقوا عذاب الحريق)[الحج: ١٩-٢٣]، (تلفح(٦٢٩)وجوههم النار وهم فيها كالحون(٦٣٠)) المؤمنون:١٠٤(أولئك الأغلال فى

---

(٦٢٥) المراد بالثياب إحاطة النار بهم كقوله تعالى: " لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ".

(٦٢٦) الحميم الماء الحار. يصهر: أى يذاب إذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره فى الباطن نحو تأثيره فى الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم.

(٦٢٧)- المقامع السياط وفى الحديث " لو وضعت مقمعة منها فى الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها " أى لم يستطيعوا حملها أو رفعها.

(٦٢٨) معنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى إذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق. انظر الفخر الرازى لتفسير الآيات جـ٢١ ص ٢٥٧ مجلد ١١.

(٦٢٩) قال ابن عباس رضى عنهما أى تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم ، وقال الزجاج اللفح والنفخ واحد إلا أن اللفح أشد تأثيراً.

(٦٣٠) الكلوح أن تتقلص الشفتان ويتباعدا عن الأسنان، كما ترى الرؤوس المشوية . الفخر الرازى جـ٢٢ ص ٤١٠ المجلد ١١.

أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم[131]ثم فى النار يسجرون[132]) غافر: ٧٢
(والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا[133]ولا يخفف عنهم من عذابها[134] كذلك نجزى كل كفور. وهم يصطرخون[135] فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غيرالذى كنا نعمل أول نُعَمِّركُم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير. فذوقوا

([131]) المعنى أن يكون فى أعناقهم الأغلال والسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل فى الحميم أى فى الماء السخن بنار جهنم.

([132])السجر فى اللغة الإيقاد فى التنور. ومعناه إنهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم. ويقرب منه قوله تعالى : " نار الله الموقدة " انظر الكشاف جـ٣ ص ٤٣٦ لشرح الأيات .

([133])-أى لا يقضى عليهم بالموت فلا يموتون فيستريحون بل العذاب دائم . الكشاف ومفاتيح الغيب.

([134]) قال الرازى فى الآية لطائف: ١- إن عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا إما أن يفنى إن دام كثيراً وإما أن يألف البدن العذاب ويصير مزاجا فاسداً متمكنا لا يحس به المعذب ، ولكن العذاب فى الآخرة فى كل زمان شديد والمعذَّب فيه دائم.
٢- فى المعذبين اكتفى بأنه لا ينقص عذابهم ولم يقل نزيدهم عذابا ، أما فى حالة المثابين ذكر الزيادة فى الثواب بقوله: " ويزيدهم من فضله "

([135]) الاصطراخ من الصراخ صوت المعذب أى لا يخفف عن الكفار العذاب وإن اصطرخوا واضطربوا. الفخر الرازى جـ٢٤ ص ٣٧ مجلد ١٣.

فما للظالمين من نصير) فاطر : ٣٦ ، ٣٧ (إن شجرة الزقوم[١٣٦] طعام الأثيم كالمهـل يغلى فى البطون كغلى الحميم[١٣٧] خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم[١٣٨] ثم صبوا فـوق رأسه من عذاب الحميم) الدخان : ٤٣ – ٤٨] ، (وأصحاب الشـمال مـا أصـحاب الشمال فى سموم وحميم[١٣٩] وظل من يحموم[١٤٠] لا بارد ولا كريم[١٤١])الواقعـة :٤١

([١٣٦]) قال صاحب الكشاف: إن شجرة الزّقوم فيها ثلاث لغـات شـجرة بفـتح الشين وكسرها وشيره بالياء. وروى أنه لما نزل " أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم؟ قال ابن الزبعرى: إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم ، فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال : تزقموا فإن هذا هو الذى يخوفكم به محمد فنزل " إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، وهو الفاجر كثير الآثام جـ٣ ص ٥٠٦ .

([١٣٧]) المهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت، وقيل هو ذائب الفضة ، وعكس القطران ومذاب النحاس وسائر الفلذات . والحميم الماء الحار الـذى انتهـى غليانه الكشاف جـ٣ ص ٥٠٦ ومفاتيح الغيب جـ٢٧ ص ١٥٦".

([١٣٨]) المهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت، وقيل هو ذائب الفضة، وعكس القطران ومذاب النحاس وسائر الفلذات. والحميم الماء الحار الذى انتهى غليانه الكشاف جـ٣ ص ٥٠٦ ومفاتيح الغيب جـ٢٧ ص ١٥٦".

([١٣٩]) فى سموم: حار نار ينفذ فى المسام " وحميم " ومـاء حـار متنـاه فـى الحرارة قال الرازى فى مفاتيح الغيب الحكمة فى ذكر السموم والحميم وترك ذكر النار وأهوالها. إنه إشارة بالأدنى إلى الأعلى فقال هواؤهم الذى يهب عليهم سموم ، وماؤهم الذى يستغيثون به حميم مع أن الهواء والماء أبرد الأشياء، وهما أى السموم والحمـيم من أضر الأشياء. بخلاف الهواء والماء فى الدنيا فإنهما من أنفع الأشـياء فمـا ظنـك بنارهم التى هى عندنا أيضا حر. ولوقال: هم فى نار كنا نظن أن نارهم كنارنا لأنا مـا

-٤٤ (خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه[٦٤٢] إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضُّ على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم

رأينا شيئا أحر من السموم ولا أبرد من الزلال، فقال أبرد الأشياء لهم أحرها فكيف حالهم مع أحرها. جـ٢٩ ص ٢٨٧ . مجلد ١٥.

(٦٤٠) – دخان أسود بهيم. قال الرازى اليحموم فيه وجوه: ١- أنه اسم من أسماء جهنم ٢- أنه الدخان . ٣-أنه الظلمة، وأصله من الحمم وهو الفحم فكأنه لسواده فحم فسموه باسم مشتق منه، وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى، وربما الزيادة فيه جاء لمعنيين: الزيادة فى سواده والزيادة فى حرارته.

وقال الرازى إن فى الأمور الثلاثة إشارة إلى دونهم فى العذاب دائما لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم الهواء الذى هو السموم ، وإن استكنوا كما يفعله الذى يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان فى الكن فى ظل من يحموم وان أرادوا الرد عن أنفسهم السموم بالاستكنان فى مكان من حميم فلا انفكاك لهم من عذاب الحميم . ويحتمل أن يقال فيه ترتيب وهو أن السموم يضربه فيعطش وتلتهب نار السموم فى أحشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه ، ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل ظل اليحموم. " مفاتيح الغيب جـ٢٩ ص ٢٨٧ مجلد ١٥.

(٦٤١) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال ، سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوى إليه من أذى الحر، وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح إليه ، والمعنى كما جاء فى الكشاف: أنه ظل حار ضار إلا أن للنفى فى نحو هذا شأنا ليس للإثبات ، وفيه تهكم لأصحاب المشأمه وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذى هو لأضدادهم فى الجنة لا بارد ولا كريم. الكشاف جـ٤٩ ص ٥٥.

(٦٤٢) يأمر الله الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الأغلال فى عنقه ثم توره إلى جهنم فتصليه إياها أى تغمره فيها، قال الفضيل بن عياض: إذا قال الرب

ولا طعام إلا من غسلين[١٤٣] لا يأكله إلا الخاطئون) الحاقة: ٣٠ ، ٣٧ (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاماً ذا غصة[١٤٤] وعذابا أليما)المزمل: ١١ ، ١٢(إن جهنم كانت مرصاداً[١٤٥] للطاغين مآباً لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بَرْداً ولا شراباً[١٤٦] إلا

عز وجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألفا ملك أيهم يجعل الغل فى عنقه . " ثم الجحيم صلوه " أى اعمروه فيها. وعن ابن عباس فى " فاسلكوه " تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى . " تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٤١٦.

(١٤٣) الغسلين: غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم : الكشاف جـ٤ ص ١٥٤.

(١٤٤) الأنكال هى القيود الثقال، الجحيم هى النار الشديدة الحر والاتقاد، ومن طعام ذى غصة. وهو الذى ينشب فى الحلوق فلا يساغ: يعنى الضريع وشجر الزقوم . الكشاف جـ٤ ص ١٧٧.

(١٤٥) قال الزمخشرى المرصاد: الحد الذى يكون فيه الرصد ، والمعنى أن جهنم هى حد الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم. أو هى مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهى مآرب للطاغين. وعن الحسن وقتاده نحوه قالا: طريقا وممراً لأهل الجنة، وذكر الرازى قول القاضى أن المرصاد أى المرتقب، وهذا يفيد أن جهنم كانت كالمنتظره لقدومهم من قديم الزمان وكالمستدعية والطالبة لهم. " الكشاف جـ٤ ص ٢٠٩ ، مفاتيح الغيب جـ٣١ ص ١٤٧ مجلد ١٦".

(١٤٦) الأحقاب: جمع حقب وهو المدة من الزمن، واستعمال الحقب يدل على تتابع الأزمنة وتواليها والمعنى أن الطاغين يلبثون فى جهنم حقبا بعد حقب (أى مدة من

حميما[٦٤٧] وغَسَّاقاً[٦٤٨] جزاء وفَاقا إنهم كـانوا لا يرجـون حسـاباً وكـذبوا بآياتنـا كذَّاباً[٦٤٩]وكل شئ أحصيناه كتاباً فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً)[النبأ : ٢١ ، ٣٠] (هل أتاك حديث الغاشية [٦٥٠] وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة[٦٥١] تصلى ناراً حامية تُسقَى

الزمن) كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابـا غير ذائقين فيها برداً ولا شراباً إلا حميما وغساقاً ثم يبدلون بعد الأحقاب جنس آخر من العذاب غير الحميم والغساق" انظر الكشاف جـ٤ ص ٢٠٩" وحالهم فـي جهـنم أو فـي الأحقاب (أى الأزمنة المتتالية) ألا يذوقوا فيها برداً وهو البرد المعروف – على أصح الأقوال مع شدة الحر يربحهم أو ظل يمنع من نار ولا يجدون شرابا يسـكن عطشـهم ويزيل الحرقة عن بواطنهم ؛ فلا يجدون هواءً بارداً ولا ماء بارداً. مفاتيح الغيب جـ٣١ ص ١٥١.

(٦٤٧) الحميم : الماء الحار المغلى جداً.

(٦٤٨) الغساق: ما يسيل من صديدهم. بعد ما ذكر الله تعالى عقوبة الكفار بين فيمـا بعده أنه جزاء وفاقا "أى أنه تعالى أنزل بهم عقوبة شديدة وفاقا لما أتوا به من معصـية شديدة فكان الجزاء من جنس العمل كقوله تعالى:" وجزاء سيئة سيئة مثلها " الشورى ٤٠.

(٦٤٩) ذكر الله تعالى أنواع جرائمهم التى عليها استحقوا الجزاء وهى إنهم كـانوا لا يخافون أو لا يتوقعون حساب الله وفى ذلك تكذيب للرسل بما جاءوا به مـن عنـد الله تعالى يتصل بأمور الآخرة ، فكانوا منكرين بقلوبهم للحق ومصرين علـى الباطـل. " مفاتيح الغيب جـ٣١ ص ١٥٤ –١٥٦".

(٦٥٠) الغاشية: القيامة وإنما سميت القيامة بهذا الاسم لأن القيامه تحيط الخلق مـن جميع جهاته فهى ترد على الخلق بغتة وهى كقوله تعالى: " أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من

من عَيْن آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يُسمِن ولا يغْنى من جوع(١٥٢)) الغاشية : ١-٧.

٧٠١- ومن حديث مسلم أيضاً عن أبى هريـرة أن رسـول الله ﷺ قـال: " ناركم هذه التى يُوقِدُ ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها " (١٥٣).

عذاب الله " يوسف ١٠٧. وكذلك فهى تغشى الناس جميعا مـن الأولـين والآخـرين ، وتغشاهم بالأهوال والشدائد ، وكل ما أحاط الشئ من جميع جهاته فهو غاش له.

(١٥١) الآيات وصف لأهل الشقاوة، فالكافرون يوم القيامة يكونوا خاشعين أى أذلاء قد عراهم الخزى والهوان، كما قال "ولو تـرى إذ المجرمـون ناكسـوا رءوسـهم " السجدة:١٢ والذل يظهر فى الوجه لأنه ضد الكبر الذى محله الرأس والدماغ، وعـاملين لأنها تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال الثقيلة وخوضها فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل، والتقحم فى حر جهنم والوقوف عراة حفـاة جياعـاً عطاشى فى العرصات قبل دخول النار فى يوم كان مقداره ألف سنة، وناصبين متعبين لأنهم دائما يكونون فى ذلك العمل." مفاتيح الغيب جـ٣١ ص ٣٧١ م ١٦، وانظـر غرائـب القرآن جـ٣٠ ص ٧٧.

(١٥٢) الآيات تشرح مشروب وطعام أهل الجحيم فمشروبهم وهو من عين آنيـة أى متناهية فى الحرارة ومطعومهم وهو الضريع، " لا يسمن ولا يغنى من جـوع" وعلـى ذلك فطعامهم ليس من جنس طعام الإنس ولكن من جنس الشوك الذى ترعـاه الإبـل، وهو الضريع كما قال بذلك سعيد بن جبير أن شجرة ذات شوك، وإن كان الضريع نافع للإبل فى الدنيا والإبل تسمن به إلا أنه ليس كذلك فى الآخره حين يكون طعاماً للكفار . غرائب القرآن ص ٧٨ جـ٣٠.

٧٠٢- وذكر سفيان بن عيينة من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة "(٦٥٤).

٧٠٣- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: " أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة " (٦٥٥).

٧٠٤- ومن حديث مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: " كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبى ﷺ: تدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار ، الآن حين انتهى إلى قعرها " (٦٥٦).

---

(٦٥٣) البخارى فى بدء الخلق جـ٦ ص ٣٣٠ رقم ٣٢٦٥ ومسلم فى الجنة ٢١٨٤/٤٦ الحديث ٢٨٤٣/٣٠ .

(٦٥٤) مسند الإمام أحمد ونحوه للحاكم وابن ماجه عن أنس، وفى الجامع لابن عيينه "عن ابن عباس رضى الله عنهما " هذه النار ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها أحد. ذكره ابن حجر العسقلانى جـ٦ ص ٣٣٤ كتاب بدء الخلق.

(٦٥٥) أخرجه الترمذى رقم ٢٢٧١٧

(٦٥٦) أخرجه مسلم فى الجنة ٢١٨٤/٤ ، ٢١٨٥ الحديث ٢٨٤٤/٣١ .

٧٠٥- ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم وبينهم حجاب فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون الأنهار تطرد بينهم: (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين) فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار [١٥٧].

قال بعض المفسرين هو معنى قول الله تعالى:(كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)[السجدة:٠] .

ولعلك تقول وكيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة ؟ أو كيف يسمع بعضهم كلام بعض؟ وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك : لا تقل هذا فإن الله تعالى يُقَوّى أبصارهم وأسماعهم حتى يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً،وهذا قريب فى القدرة جداء وإذا تأملته وجدته .

٧٠٦- وذكر الترمذى من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : (أتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [آل عمران : ١٠٢] قال رسول الله ﷺ: "لو أن قطرة من الزقوم مطرت فى الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه"[١٥٨].

([١٥٧]) انظر الدر المنثور ٣/٦٠.

([١٥٨]) الترمذى رقم ٢٧١١، والإمام أحمد فى مسنده ١/٣٠٠ والبغوى فى شرح السنه ١٥/٢٤٦.

٧١١- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة قـال: قـال رسـول الله ﷺ: " يخرج عُنُق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق ويقول إنى وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين"(٦٥٩).

٧١٢- وذكر من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبـى ﷺ قـال: (وهـم فيهـا كالحون) [المؤمنون : ١٠٤] قال: " تشوبه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلـغ وسـط رأسه وتسترخه شفته السفلى حتى تضرب سُرَّته"(٦٦٠).

٧١٣- وذكر من حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله: (يسـقى مـن مـاء الصديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) [إبراهيم: ١٦ ، ١٧] قال: يُقَرَّب إلى فيه فيكرهه فـإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبـره يقول الله عز وجل (وسُقوا مـاءً حميمـاً فقطـع أمعـاءهم) [محمـد ﷺ: ١٥] ويقول:(وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه(٦٦١)) [الكهف : ٢٩] الآية .

٧١٤- وذكر من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: إن الحميم ليُصَـب علـى رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص على جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمزق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان" (٦٦٢).

(٦٥٩) أخرجه الترمذى رقم ٢٧٠٠ وقال حسن صحيح غريب

(٦٦٠) أخرجه الترمذى رقم ٢٧١٣ تحفه .

(٦٦١) الترمذى رقم ٢٧٠٩ تحفه .

(٦٦٢) الترمذى رقم ٢٧٠٨

٧١٥- وذكر مسلم من حديث أبى هريرة عن النبىﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: "رأيت عمرو بن لحى بن قمعه بن جندب أخا بنى كعب هؤلاء يَجُر قُصَبه فــى النــار" (٦٦٣) وقد تقدم والقصب : الأمعاء .

٧١٦- ومن حديث مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللهﷺ: " يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال : يا ابــن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يارب . ويؤتى بأشد النــاس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيــت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول: لا والله يارب ما مر بى بؤس قط ولا رأيــت شدة قط "(٦٦٤).

٧١٨- ومن حديث مسلم عن أبي هريرة قــال: قــال رســول اللهﷺ: ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث " (٦٦٥) .

٧١٩- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبى هريرة رفعه قال: "ما بين مِنْكَبى الكافر فى النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع"(٦٦٦).

---

(٦٦٣) مسلم فى الجنة ٤/ ٢١٩١ الحديث ٥٠ / ٢٨٥٦

(٦٦٤) مسلم فى صفة القيامة ٤ :٢١٦٢ الحديث ٥٥/ ٢٨٠٧

(٦٦٥) أخرجه مسلم فى الجنة ٤/ ٢١٨٩ الحديث ٢٨٥١/٤٤

(٦٦٦) البخارى فى الرقاق ١١ رقم ٦٥٥١ ومسلم فى الجنة ٢١٨٩/٤ ، ٢١٩٠ الحديث ٤٥ / ٢٨٥٢.

٧٢٠- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبىﷺ قال: " إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مصل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة " (٦٦٧) .

٧٢٢- وعن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: "إن الكافر ليُسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوّطأُهُ الناسُ".

٧٢٣- ويروى عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: " أيها الناس إبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون فى النار الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى تصير فى خدودهم كأمثال الجداول ولو أجريت فيها السفن لجرت " (٦٦٨) ذكره الترمذى وغيره.

٧٢٤- وذكر مسلم عن أنس بن مالك عن النبىﷺ قال: "يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً: لو كان لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك أحسبه قال ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك " (٦٦٩) .

---

(٦٦٧) الترمذى رقم ٢٧٠٣ ، تحفه ، وقال حديث حسن غريب صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه ٥٩٥/٤ ، وابن حبان فى صحيحه .

(٦٦٨) الترمذى رقم ٢٧٠٣، تحفة ، وقال حديث حسن غريب صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه ٥٩٥/٤ ، وابن حبان فى صحيحه .

(٦٦٩) البخارى فى الرقاق فتح البارى جـ١١ رقم ٦٥٥٧ ومسلم فى صفة القيامة ٢١٦٠/٤ ، ٢١٦١ ، الحديث ٥١ / ٢٨٠٥.

٧٢٥-وذكر البخارى عن أنس عن النبىﷺ قال: "يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما فى الأرض من شئ أكنت تفتدى به ؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت صلب آدم أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك ".

٧٢٦- ويروى من حديث أبى هريرة عن النبىﷺ قال: "إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقتهم فنفختهم نفخة لم تترك لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب".

باب ذكر أهون أهل النار عذاباً .

٧٢٧- ذكر مسلم عن العباس أنه قال: " يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشئ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار"[٦٧٠].

٧٢٩-وذكر مسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللهﷺ: " إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحد أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً " [٦٧١].

---

(٦٧٠) مسلم فى الإيمان ١/١٩٤ الحديث ٣٥٧ / ٢٠٩ .

(٦٧١) الاستغفار أو الشفاعة للكافر لتخفيف العقاب كما هو مفهوم الحديث مردود بقوله تعالى: "إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنه الله والملائكة والناس أجمعين لا يخفف عنهم العذاب خالدين فيها ولا هم ينظرون".

الحديث ٣٦٤ / ٢١٣ وانظر البخارى فى الرقاق فتح البارى جـ١١ ص ٤١٧ رقم ٦٥٦٢ ونص البخارى عن النعمان بن بشير قال سمعت النبىﷺ يقول: "إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم ".

٧٣٠–وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: " لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه"[٦٧٢].

٧٣١– وذكر مسلم أيضاً من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "أهون الناس عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منها دماغه"[٦٧٣].

٧٣٢–وذكر مسلم أيضاً من حديث النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أهون النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه"[٦٧٤].

قال ابن التين: يحتمل أن يراد بأهون أهل النار عذابا أبو طالب، وقد صرح مسلم بذلك فقال: "أهون أهل النار عذابا أبو طالب ". والمرجل: قدر من نحاس ويقال أيضا لكل إناء يغلى فيه الماء من أى صنف كان. والقمقم معروف من آنية العطار، ويقال هو إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء يكون من نحاس وغيره، فارسى ويقال رومى وهو معرب وقد يؤنث فيقال قمقمة . فتح البارى جـ١١ ص ٤٣٠ – ٤٣١.

(٦٧٢) البخارى فى الرقاق فتح البارى جـ١١ ص ٤١٧ رقم ٤٥٦٤ ومسلم فى الإيمان ١٩٦/١ الحديث ٣٦٢ / ٢١٢.

(٦٧٣) مسلم فى الإيمان ١٩٦/١ الحديث ٣٦٢ / ١١٢.

(٦٧٤) مسلم فى الإيمان ١٩٦/١ الحديث ٣٦٣ /٢١٣.

الحديث هنا يفيد أن أبا طالب من أهون أهل النار عذابا وليس ذلك بالشفاعة من الرسول ﷺ وذلك لأن الله تعالى نهى عن الاستغفار والشفاعة للكفار وقد كان سبب نزول الآية. " انك لا تهدى من احببت ..." أنه عندما دعا الرسول ﷺ أبا طالب للايمان وأبى

باب ذكر: من أشد الناس عذاباً

٧٣٣- ذكر قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: " إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبى أو مُصوّر يصورّ التماثيل " (١٧٥) .

باب أخذ النار من المعذبين على قدر أعمالهم

٧٣٤- ذكر مسلم من حديث سمرة بن جندب أنه سمع النبى ﷺ يقول: " إن منهم من تأخذه إلى حُجزتِه ومنهم من تأخذه إلى عنقه"(١٧٦).

٧٣٥-وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى تَرْقوته"(١٧٧).

٧٣٦-وذكر البزار من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ: "إن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع أجزاء العذاب، ومنهم من فى النار إلى صدره مع اجزاء العذاب ن ومنهم من فى النار إلى ترقوته مع أجزاء العذاب، ومنهم من قد انغمس فيها"(١٧٨).

إلا الكفر، قال الرسول أنه سوف يستغفر الله له ما لم يمنعه الله ، وقد منعه الله تعالى بهذه الآية الكريمة. صحيح مسلم جـ١ ص ١٨١ وفاة أبى طالب رقم ٣٨ المكتب الثقافى ".ويكون ذلك صحيحا بهذا المعنى وذلك لأن أهل النار على دركات.

(١٧٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤٠٧/١.

(١٧٦) مسلم فى صفة الجنة ٤/ ٢١٨٥ الحديث ٣٢ / ٢٨٤٥ .

(١٧٧) مسلم فى صفة الجنة ٢١٨٥/٤ – الحديث ٣٣ / ٢٨٤٥.

(١٧٨) انظر اتحاف السادة المتقين ١٠ : ٥١٢ وانظر كنز العمال رقم ٣٩٥٠٩ ونصه فى كنز العمال " ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكا من نار ، يغلى

باب ذكر الخلود

٧٣٧- ذكر الترمذى من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قـال: "يجمـع الله الناسَ يوم القيامة فى صَعيدٍ واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا يتبـع كـل إنسان ما كانوا يعبدون . فيمثل لصـاحب الصـليب صـليبه، ولصـاحب التصـاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع علـيهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك، الله رُبنا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم يتوارى ثم يطلع فيقول: ألا تتبعـون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذ بالله منك، الله ربنا هذا مكاننا حتى نرى ربنا هو القمر ليلة البدر قالوا: لا يارسول الله قال فإنكم لا تضارون فى رؤيته تلك السـاعة ثـم يتوارى ثم يطلع فيعرفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعونى فيقوم المسـلمون ويوضـع الصراط فيمر عليه مثل جياد الخيل والركاب وقولهم عليه : سلم سلم ، ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج ثم يقال: (هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ثم يطـرح فـوج فيقال: (هل امتلأت وتقول هل من مزيد) حتى إذا اوعبوا فيها وضع الـرحمن قدمـه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ثم قالت قط قط فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنـة وأهـل النار النار قال أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثـم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجـون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء هـؤلاء: قـد عرفناه هذا الموت الذى وكل بنا. فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت"(٦٧٩).

منها دماغه كما يغلى المرجل، ما يرى إن أحداً أشد منه عذابا وإنه لأهـونهم عـذابا " الجزء ١٤ ذكر أهل النار وصفتهم .

(٦٧٩) جاء فى مسند الإمام أحمد عن أبى موسى الأشعرى قال قـال رسـول الله ρ يجمع الله عز وجل الأمم فى صعيد يوم القيامة فإذا بدا لله عزوجل أن يصدع بين خلقه

٧٣٩- وذكر مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ " يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال : فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود. ثم قرأ رسول الله ﷺ: (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده إلى الدنيا"(٦٨٠).

ونحن نستعيذ بالله من عذابه الذى لا يقوم له جميع الوجود فكيف الحشرات منه والدود، ومن غَصَّة الذى لا يُستطاع سمعه فكيف نزوله ووقعه، ونسأله رحمته التى نتقلت عنها بأفعالنا ونتباعد عنها بقبيح أعمالنا، بمنه وطوله لا رب غيره ولا معبود سواه ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وسلم تسليماً وشرف وكرم عدد ما ذكره الذاكرون وقدر ما غفل عنه الغافلون، والحمد لله رب العالمين.

كمل نسخاً والحمد لله حق حمده وصلى الله على النبى المصطفى محمد عبده ورسوله ، وذلك ليلة الخميس الحادى عشر من شهر شوال فى سنة ثمانى وأربعين

مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم فنقول نحن المسلمون فيقول ما تنتظرون فيقولون ننتظر ربنا عز وجل قال ويقول وهل تعرفونه إن رأيتموه فيقولون نعم فيقول كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول أبشروا أيها المسلمون فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا " المجلد الرابع ص ٤٠٨.

(٦٨٠) مسلم فى الجنة ٤ / ٢١٨٨ الحديث ٤٠ / ٢٨٤٩ .

وستمائة بمدينة تونس قدرها الله على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه القائل بأن لا إلـــه إلا الله ولا معبود سواه محمد بن موسى بن مسبح المحلاوى بن الخزرجى ثم القرطـــى الراغب فى بركة دعاء قارئه أن يغفر الله له ولمؤلفه وقارئه ومسمعه وصلى الله علـــى محمد وسلم .

جاء فى نهاية المخطوط ما يلى :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم :

قرأ على جميع هذا الكتاب وهو كتاب العاقبة تأليف الإمام الحافظ أبى محمـــد عبد الحق ابن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدى الأشبيلى-رحمه الله-صـــاحبه العـــالم الفاضل المحدث الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح أبـــى عمـــر وعثمان بن أيوب اللؤلؤى الكتبى أعزه الله تعالى بطاعته وذلك بإجازتى من جماعـــة من الأشياخ إن لم يكن سماعاً منه المسند المحدث الأصيل أبو هريرة عبـــد الـــرحمن ابن الحافظ الكبير ابى عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى قالوا: أخبرنا العلامة القاضى أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكتانى الشافعى كتابه أن الأمير أبا محمد عيسى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد الهكارى أنبأه عن الخطيـــب أبى الحسن على بن محمد بن جميل المعافرى خطيب المسجد الأقصى قال: أنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدى الأشبيلى المؤلف إجـــازة إن لـــم يكن سماعاً فذكره وسمعه كاملاً الخواجا الأجل الفاضل الأصيل شرف الدين أبو البنا محمود بن عبد المؤمن بن إبراهيم بن البغدادى والمحدث الفاضـــل الفقيـــه الأصـــيل برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ المحدث الفاضل شهاب الدين أبى العبـــاس أحمد بن أبى محمد الحسن العجلونى الحنبلى.وسمع من باب صفة الجنة إلـــى آخـــر الكتاب عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ صلاح الدين بن صالح بـــن عمـــر الخيرى وشمس الدين محمد بن شرف الدين بن صدقة بن عبد الوهاب بن البـــزورى الحريرى ، والحاج إبراهيم بن ماجد بن عبد الله البراذعـــى ، وولـــدا القـــارئ عبـــد اللطيف وعبد الكريم فى الثالثة ، وصح ذلك وثبت فى عدة مجالس آخرها يوم الثلاثاء

العشرون من شهر الله المحرم عام ثمانية وعشرين وثمانمائة ببستان الخواجا المذكور جوار جسر البط ظاهر دمشق المحروسة ، وأجزت ذلك لهم ما يجــوز لـــي وعنـــي روايته بشرطه والله الحمد .قال ذلك وكتب: محمد بن يزيد بن عبد الله بن محمد بـــن أحمد عفا الله عنهم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

أبو عبد الله محمد إسماعيل (هو ناسخ كتاب العاقبة)

تم بحمد الله

الخاتمـــــة

بعد هذا العرض المختصر لكتاب العاقبة أشير إلى أهم المسائل للجانب العقدى التى ضمنها الكتاب، بيانها كالتالى:

١- أسماء الله توقيفية دون الصفات عند الغزالى . وتحديد أسماء الله بتسع وتسعين إسم لا ينفى وجود غيرها.

٢- أفعال الله غير معللة بالغرض عند الأشاعرة فإن كل شىء صنعه ولا علة لصنعه، وقد وافقت المعتزلة الأشاعرة فى القول بأن أفعال الله ليست معللة بالغرض، مع الاختلاف بينهما فى مفهوم ذلك ؛ فالأشاعرة ترى أن لله أن يفعل القبيح ولا يسأل عما يفعل والمعتزلة ترى أن الله يفعل لحكمة والحكمة تقتضى عدم فعل القبيح.

٣- لا إله إلا الله تجمع بين النفى والإثبات التى تعنى حصر الألوهية لله تعالى. ولابد من اليقين عند قول لا إلـه إلا الله واليقين لا يكون إلا بموت الشهوات، وموت الشهوات يحصل عند قرب الإنسان من الموت ولذلك صارت هذه الكلمة مقبوله منه ولذلك أمر الرسول ﷺ بتلقين الشهادة عند الموت ، وهو أمر ندب دون الإكثار منه لضيق حاله. وقول لاإله إلا الله تقى من الشرك.

٤- رؤية الله تعالى يوم القيامة ثابتة بالقرآن الكريم تلميحا والسنة الشريفة تصريحا

٥- التقرب بالضحايا لغير الله تعالى شرك فالأصل فى الذبح أن يكون لله وهو عبادة يتقرب بها العبدإلى الله وملعون من الله من يذبح لغيره تعالى .

٦- التوكل على الله هو أن تغدو وتروح فى طلب المعيشة من أجله أى الأخذ بالأسباب وهو مقتضى الإيمان بالقدر؛ فيحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب مع الإيمان بأن الأسباب ليست مؤثرة بنفسها واعتبارها كذلك شرك فى التوحيد. والتوكل نصف الدين والنصف الثانى الإنابة، وأفضل التوكل توكل الأنبياء والمرسلين وورثتهم وهو استعانتهم صلى الله عليهم أجمعين وسلم بالله فى إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين فى الأرض.

٧- طلب الهداية ممن قد هداه الله تعنى طلب الثبات على الهداية وهو معنى زيادة الإيمان عند الماتريدى وآخر مراتبها الهداية إلى الصراط المستقيم فى الآخرة. و الهدى عند الأشاعرة من الله وأساسه الداعى للفعل الذى يخلقه الله فى قلب

الإنسان؛ الله يفعل بالمؤمن ما يكون أقرب إلى ثباته على الإيمان من شرح الصدر بزيادات الأدلة ، والكافر على العكس من ذلك، والمعتزلة حملت الهدى من الله على الزيادة والتثبيت على الهدى الذى كان من الإنسان فهو جزاء على عمله. وشرح الصدر يكون بقذف نور فى الإنسان وسببه الإشتغال بعمل الآخرة.

٨- الدعاء مستجاب وقضاؤه على قسمين مبرم ومعلق والإجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الإجابة بغير عين المطلوب للمصلحة.

٩- الكبائر هى الإشراك بالله وقتل النفس المحرمة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف والسحر وأكل مال اليتيم وقول الزور وأكل الربا وقذف المحصنات الغافلات واستحلال آمين البيت الحرام وشرب الخمر والقنوط من رحمة الله واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله.

١٠- أفعال العباد عند المعتزلة مخلوقة للعبد بقدرة أعطاها الله له فالعبد هو الفاعل لأفعاله على الحقيقة ومريدها. وهى عند الأشاعرة مخلوقة لله على الحقيقة، وتفرق الأشاعرة بين الإرادة والرضى والأمربالنسبة لله تعالى.

١١- الرزق هو كل ما يتغذى به الإنسان والحيوان من حلال وحرام عند الأشاعرة ، والحرام لايجوز أن يكون رزقا عند المعتزلة وهوعندهم ما ينتفع به وليس للغير المنع منه، والرزق رزق على الإطلاق كالماء والكلأ والملح ورزق على التعيين وهو الأشياء المملوكة. والرزق هو الإنتفاع دون تقيد الملك.

١٢- الرزق هو كل ما يتغذى به الإنسان والحيوان من حلال وحرام عند الأشاعرة ، والحرام لايجوز أن يكون رزقا عند المعتزلة وهوعندهم ما ينتفع به وليس للغير المنع منه، والرزق رزق على الإطلاق كالماء والكلأ والملح ورزق على التعيين وهو الأشياء المملوكة. والرزق هو الإنتفاع دون تقيد الملك.

١٣- الرزق هو كل ما يتغذى به الإنسان والحيوان من حلال وحرام عند الأشاعرة ، والحرام لايجوز أن يكون رزقا عند المعتزلة وهوعندهم ما ينتفع به وليس للغير المنع منه، والرزق رزق على الإطلاق كالماء والكلأ والملح ورزق على التعيين وهو الأشياء المملوكة. والرزق هو الإنتفاع دون تقيد الملك.

١٤- الرقى جائزة مالم تكن شركا، والرقى الجائزة هى ما لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبى ﷺ.

١٥- الطيرة منهى عنه دون الفأل وينبغى لمن تفاءل أن يتأول الفأل بأحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن عليه سبيلا.

١٦- الخوف من أجل الطرق وأنفعها للقلب، وهى فرض على كل أحد وقد جاء بها الأمر من الله تعالى، والخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

١٧- الصلاة على الرسول ﷺ فرض غير محدد بوقت لأمر الله به والدعاء معلق بالصلاة على الرسول والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله.

١٨- لا تفاضل بين الأنبياء فى النبوة ، فهى خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل فى زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات وأما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وإنما تتفاضل فى أمور أخر زائدة عليها.

١٩- من آيات الرسول محمد ﷺ انشقاق القمر.

٢٠- الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة.

٢١- مقاطعة الكفار والمنافقين والمنع من مواصلتهم بأى سبب من الأسباب واجبة.

٢٢- الموت صفة وجودية عند الأشاعرة وعدمية عند المعتزلة. والموت هوبطلان التعلق الذى كان بين الروح والبدن. تمنى الموت لضر نزل بالإنسان من مشاق الدنيا مكروه، ولا ينهى عن تمنى الموت إن كان خشية فتنة فى الدين.ممن يخاف الموت يخافة أن يقطعة عن الإستعداد لليوم الآخر. وموت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فهى ذائقة الموت بهذا المعنى.

٢٣- الشهيد عند الرازى ليس هو مقتول الكافر، فالشهيد هو الذى يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان فالشهيد هو القائم بالقسط ، والمقتول فى سبيل الله شهيد وكما أن المبطون شهيد والغريق شهيد. والشهيد فى الدرجة الثالثة من الفضل؛ فأفضل الخلق هم الأنبياء ثم الصديقون، ثم من له درجة الشهادة، ثم من له درجة الصلاح.

٢٤- حسن الظن بالله مستحب عند الموت.

٢٥- إتباع الجنائز فرض كفاية وهو بقصد إما الصلاة أو الدفن وهو أفضل النوافل، ويستحب لمن رأى جنازة أن يقول امضوا فإني على الأثر.

٢٦- سؤال القبر وعذابه حق ولم تنكره المعتزلة.

٢٧- الميت ينتفع بدعاء المسلمين، والإستغفار لهم والحج والصدقة وهداية القرآن للميت دون أجر عليه تنفعة.

٢٣- زيارة القبور مباحة ومستحبة على الجملة للتذكر والإعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الإعتبار، وزيارة النساء للقبور جائزة دون الإكثار من ذلك ودون التبرج عند الخروج.

٢٤- من أشراط الساعة الدجال الذى يدعى الألوهية ويظهر الله على يده أمور لا تكون إلا من الله. خروج يأجوج ومأجوج. نزول عيسى ابن مريم عليه السلام؛ فهو حى فى السماء ولايتوفى إلا فى الأرض.

٢٥- الحافرة إسم لأول الأمر.

٢٦- البعث ممكن وكل ممكن فى مقدور الله تعالى ويرجع ذلك إلى علم الله تعالى بالجزئيات. والإحياء يكون لكل إنسان بجوهره، ولذلك يبقى الله على عجب الذنب إشارة إلى إعادة الله الأرواح إلى تلك الأعيان التى هى جزء منها.

٢٧- وقت حصول الساعة غير معلوم للخلق وهى لاتجيء إلا بغتة فجأة على حين غفلة من الخلق. وقد اقترب أجلها ؛ فإن الباقى من التكليف أقل من الماضى.

٢٨- أهل الآخرة غير مكلفين.

٢٩- الملائكة منهم الحفظة الحافظون لأعمال الإنسان ومنهم إسرافيل صاحب الصور أو القرن. ومنهم ملك الموت وأعونه.

٣٠- النفخ فى الصور نفختان النفخة الأولى لإخراج الأرواح من الأجساد فيصعق من فى السماوات ومن فى الأرض، والنفخة الثانية، لإرسال الأرواح لتدخل فى الأجساد وهى دون الأولى فى الفزع.

٣١- الناس يجيئون فرادى يوم القيامة معناه فراغى من كل ما حصلوه فى الدنيا وعولوا عليه.

٣٢- لا تجوز الشفاعة فى حق المشرك، والشفاعة لأطفال المشركين مختلف فيها عند العلماء ؛ فهم فى الجنة عند المعتزلة ولا يحتاجون إلى شفاعة أحد وعند الأشاعرة هم فى حاجة إلى الشفاعة.

٣٣- والشفاعة العظمى والشفاعة العامة هى شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى الله تعالى بينهم، بعد ان يعتذر الرسل أصحاب الشرائع من آدم ونوح وإبراهيم وعيسى عليهم السلام، ولم ينكر هذه الشفاعة أحد. أما الشفاعة لخروج أهل الكبائر من النار أنكرتها المعتزلة وقال بها اهل السنة.

٣٤- يعرض الكفار والمنافقون على الله يوم القيامة ، ويشهد عليهم الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم فى الدنيا بأنهم كذبوا على الله فى الدنيا، اما المؤمن فيناجيه الله سرا ويغفر له.

والأشهاد أربعة الملائكة والحفظة، وأمة محمد ﷺ والجوارح. وتعرض الصحف التى تسجل فيها أعمال العباد فى الدنيا.

٣٥- يختصم الناس عند ربهم يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم محقوهم ومبطلوهم حتى يؤخذ لكل منهم ممن لصاحبهقبله حق حقه.

٣٦- السؤال فى الآخرة، يسأل المرسل إليهم عما أجابوا به الرسل تقريعا أو توبيخا ، ويسأل المرسلون إكراما بظهور براءتهم.وتسأل أمة محمد عن تبليغ الرسل للأمم تمييزا لأمة محمد فى الفضل عن سائر الأمم.

٣٧- أول مايقضى بين الناس فيما يتعلق بمعاملات الخلق الدماء، وفيما يتعلق بعبادة الخالق الصلاة.

٣٨- الميزان حق ورد به الكتاب والسنة وهو بعمود وكفتين عند أهل السنة، والموزون فيه صحف الأعمال.

٣٩- الحوض للرسول ﷺ حق، والإيمان به فرض. والصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف.

٤٠- الجنة والنار مخلوقتان على الجملة، كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان. والجنات هى السماوات عند ابن حزم. وبقاء الجنة دائم كما أن نعيمها لأهلها دائم،وكذلك النار باقية وعذابها باق.

٤١- ثياب أهل الجنة من الحرير المطرز ليس بالرقيق الشفاف ولا بالغليظ الكثيف.

اسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى وأن ينفع به المسلمين.

د/سلوى عبد الرحمن محمد يونس

ثبــت بالمراجـــع

*** القرآن الكريم**

*** كتب الأحاديث**

١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى
٢- صحيح مسلم بشرح النووى المكتب الثقافى
٣- مسند ابن حنبل
٤- الترمذى

*** كتب التفاسير**

١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخرالدين الرازى
٢- مكتبة الإيمان بالمنصورة

٣- تفسير النسفى /للإمام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفى عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر
٤- تفسير الجلالين
٥- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن ابن محمد النيسابورى بهامش جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى
٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل يأليف أبى القاسم جار الله محمود ابن عمر للزمخشرى الخوارزمى - دار الفكر
٧- تفسير القرآن العظيم ابن كثير- دار التراث العربى
٨- تفسير الماتريدى المسمى تأويلات أهل السنة لأبى منصور محمد بن محمد المتريدى السمرقندى تحقيق وتعليق د/ ابراهيم عوضين والسيد عوضين / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

*** المرجع العامة حسب الروف الأبجدية**

١- الأسماء والصفات للبيهقى المركز الإسلامى للكتاب
٢- الانتصار والرد على ابن الروائدى / تأليف أبى الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلى/ مكتبة الكلبات الأزهرية
٣- أصول الدين الإمام الإستاذ أبى منصور عبد القاهر طاهر التميمى البغدادى دار الكتب العلمية بيروت
٤- إحياء علوم الدين للغزالى/ بقلم الدكتور بدوى طبانة/ عيسى البابى الحلبى وشركاه
٥- لإمام على بن أبى طالب نهج البلاغة / شرح الشيخ محمد عبده دار البلاغة بيروت

٦- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة / للإمام الحافظ الكبير البيهقى دار الكتب العلميه بيروت لبنان
٧- الإرشاد إلى قوطع الأدلة فى أصول الإعتقاد/ إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى تحقيق أسعد تميم مؤسسة الكتب الثقافية
٨- إتحاف المريد بهامش حاشية محمد الأمير
٩- أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على ابن محمد بن حبيب البصرى ١الماوردى/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده مصر
١٠- الإيمان / تأليف العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية / دار الطباعة المحمدية
١١- البداية والنهاية / الحافظ ابن كثير / دار الفكر العربى
١٢- تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس/ الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى
١٣- تطهير الإعتقاد من أدران الإلحاد
١٤- حاشية محمد الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة النوحيد
١٥- الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لأبى محمد بن عبد الله المتوغى سنة ٢١٤هـ دار الفضيلة.
١٦- الروح /لابن القيم الجوزى/تحقيق د/محمد انيس عبادة د/ محمد فهمى السرجانى مكتبة نصير توزيع مكتبة جمهورية مصر
١٧- الشفاء/ للقاضى عياض
١٨- شرح العقيدة الطحاوية / حققها وراجعها جماعة من العلماء / دار الفكر العربى
١٩- شرح الأصول الخمسة / القاضى عبد الجبار بن أحمد تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة
٢٠- صفة اشراط الساعة/ للسرخسى
٢١- عجائب القرآن الإمام فخر الدين الرازى تحقيق عبد القادر أحمد عطا دار الكتب الإسلامية.
٢٢- الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام أبى محمد على بن حزم الظاهرى. دار الفكر
٢٣- الفوائد تأليف الإمام شمس الدين محمد ابن أبى بكر بن القيم الجوزية دار الريان للتراث
٢٤- كتاب نهاية الإقدام فى علم الكلام تصنيف الشيخ الإمام العالم عبد الكريم الشهرستانى
٢٥- كتاب على شرح الكبرى للسنوسى الحامدى
٢٦- كتاب الكبائر للإمام الحافظ محمد شمس الدين الذهبى الدمشقى المكتبة التوفيقية
٢٧- كتاب التوحيد / للإمام أبى منصور الماتريدى تحقيق الدكتور فتح الله خليف / دار الجامعات المصرية.

٢٨- المطالب القدسية فى احكام الروح وآثارها الكونية للشيخ محمد حسنين مخلوف
٢٩- ٣١- معنى لاإله إلا الله
٣٠- ٣٢- مدارج السالكين للإمام أبى عبد الله بن محمد بن أبى بكر أيوب ابن قيم الجوزية دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع
٣٣- المنجد فى اللغة والأعلام
٣٤- الورد الحسان فى البعث ونعيم الجنان السيوطى بهامش كتاب دقائق الأخبار فى ذكر الجنة والنار للإمام عبد الرحيم أحمد القاضى.

الفهـــــرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٧٩٤٤ / ٢٠٠٣
دار أجياد للطباعة والنشر